درر القلائد في سيرة الزرقاوي القائد

سيرة الأمير أبي مصعب الزرقاوي تقبله الله

الطبعة الثانية | 1447 هـ

تصنيف:

أبـي بـكـر المدنـي
عمر بن عثمان بن علي


حمّل الآن..
DOWNLOAD NOW





بسم الله الرحمن الرحيم



درر القلائد

في سيرة الزرقاوي القائد



الطبعة الثانية | ١٤٤٧ هـ

تصنيف:

أبي بكر المدني

عمر بن عثمان بن علي

مؤسسة صرح الخلافة



مركز إنتاج الأنصار



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

إن الله بحكمته وقدرته يهيئ لأمة الإسلام من يجدد لها دينها، ويسعى لإقامة شرعه على هدي نبيه ﷺ، وعلى ما كان عليه الخلفاء الراشدون، ومن تبعهم بإحسان من أئمة الإسلام. وكان منهم في هذا الزمان، أحد أمراء المسلمين العاملين الصادقين –نحسبه والله حسيبه–: الأمير الشهيد **أَبُو مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِي** –تقبله الله–. **قال الخليفة أبو بكر البغدادي**: ساق الله دولة الصليب أمريكا إلى بلاد الرافدين، واشتعلت جذوة الجهاد، فحمل الراية وتقدم الركب الشيخ المجاهد أبو مصعب الزرقاوي –تقبله الله–؛ فقد كان مجددًا في عصره، مربيًا معلمًا أجاد فأفاد وعم خيره البلاد. بل وما من مجاهد اليوم في دولة الإسلام إلا وللشيخ عليه فضلٌ كبيرٌ[1].

مع انتشار صيته في المشرق والمغرب وبين المسلمين والكفار، إلا أنه لم تكتب سيرة وافية بحقه، ومن كتب من أصحابه استدرك بعضًا منها؛ لذا في هذا المصنف ستجمع الروايات التي ذكرها أصحابه ومن التقى به من غيرهم.

من كتب سيرته هم على ثلاثة أصناف: صنف صاحبه وعرفه؛ وهؤلاء أصحابه في

[1] الكلمة الصوتية: وبشر المؤمنين، مؤسسة الفرقان.

العراق وخراسان والشام. وصنف قابله لكن لأسباب طارئة مثل السجن أو في معسكر أو نحو ذلك. وصنف لم يقابله وكتب عنه وموارده القيل والقال وجمع الشاذ من الأخبار، فهؤلاء لا يعتد بقولهم ولا يؤخذ منهم وينتشر هذا الصنف فيما كتبه الكفار والمرتدون.

وأما طبقات من روى سيرته:

طبقة صحبته في الشام وخراسان والعراق، وهؤلاء قليل واستشهدوا قبل أن يرووا عنه، ونقلت روايتهم من غيرهم، مثل عبد الهادي بن دغلس.

وطبقة صاحبته زمن مكثه في إحدى الديار أو عدد منها ولم تصحبه في العراق، أمثال أبي قدامة ساطي بن محمد بن أمين ويتسمى بصالح الهامي، وأبي عبيدة عبد الله بن خالد العدم (ت: ١٤٣٦هـ)، وأبي جرير الشمالي والمكنى بأبي ثائر الأردني، وأبي جهاد المصري محمد بن خليل الحكايمة (ت: ١٤٢٨هـ).

وثالثها الطبقة العراقية، والتي صحبته من روحته الثانية لخراسان أو في العراق، وهم من جاهد معه في العراق أمثال أبي علي الأنباري عبد الرحمن بن مصطفى القرشي (ت: رجب ١٤٣٦هـ) ويكنى بأبي إيمان وأبي علاء العفري وأبي صهيب العراقي وعبد الله بن رشيد البغدادي (الأول)، وأبي محمد الفرقان وائل بن عادل الفياض (ت: ذو الحجة ١٤٣٧هـ) ويكنى بأبي عبيدة عبد الحكيم وأبي ساجد، وأبي حمزة المهاجر عبد المنعم بن عز الدين البدوي (ت: جمادى الأولى ١٤٣١هـ) ويكنى بأبي إسماعيل المهاجر وأبي أيوب المصري، وأبي محمد العدناني الحسيني القرشي طه بن صبحي فلاحة (ت: ذو القعدة ١٤٣٧هـ)، وأبي أنس الشامي عمر بن يوسف جمعة (ت: شعبان ١٤٢٥هـ)، وأبي الغادية

سليمان بن خالد درويش (ت: جمادى الأولى ١٤٢٦هـ)، وميسرة الغريب محمد بن وائل حلواني (ت: ١٤٢٨هـ)، وأبي جعفر الأنصاري الشامي، وغيرهم. وبعض روايات الطبقة العراقية رواها ثقات عنهم مثل رواية عبد الله بن أبي علي الأنباري، ورواية صحيفة النبأ، ورواية أبي سليمان الحلبي أحمد أبو سمرة (ت: ربيع الآخر ١٤٣٨هـ) والمكنى كذلك بأبي ميسرة الشامي، وغيرهم. وما تعدد كنى أصحابه العراقيين إلا تعمية عن أخبارهم، وتضليلاً للعيون والجواسيس في هذا الزمان من كفار الفرنج والروافض والمرتدين.

هنالك طبقة من الرواة ممن قابله وصحبه لكن دلس وكذب في روايته مثل رواية عصام البرقاوي المكنى بأبي محمد المقدسي، قد كذبها الزرقاوي وجهاد القشة وأبو قدامة. ورواية محمد بن صلاح الدين زيدان الملقب بسيف العدل المصري، وقد كذبها أسامة بن لادن (ت: جمادى الأولى ١٤٣٢هـ) في رسالة إلى عطية الله الليبي (ت: رمضان ١٤٣٢هـ).

قال أسامة بن لادن: كان من ضمن ما أرفقتموه لي سابقًا مقالًا منسوبًا لسيف العدل بعنوان (السيرة الذاتية للقائد الذباح أبي مصعب الزرقاوي) –رحمه الله–[1] وبعد اطلاعي عليه ظهر لي بجلاء أنه مكذوب في نسبته لسيف العدل وفيه إساءة لأخينا أبي مصعب –رحمه الله– ولسيف وللتنظيم بشكل عام وفيه تحفيز شديد للإخوة في العراق بأن يقيموا دولة لم تكتمل مقومات نجاحها ومما يَظهَر أن الكاتب ليس هو سيف العدل ذكره في المقال بأنه أخذ تفويضاً مني ومن الشيخ أبي محمد للتعامل مع قضية أبي مصعب

---

[1] لها مسمى آخر: تجربتي مع أبي مصعب الزرقاوي.

-رحمه الله- في حين أن في ذلك الوقت لم تكن الوحدة قد تمت بيننا وبين جماعة الجهاد فأي شخص كان معايشًا لنا في تلك الفترة سيقول إنه أخذ التفويض مني ومن الشيخ أبي حفص -رحمه الله- بينما الكاتب لم يذكر شيئًا عن الشيخ أبي حفص -رحمه الله- علماً أنه لم تكن هناك أي مشكلة مما ذكر وأننا لم نفوض أحداً لحلها وفيه سرد لقصص ليس لها أي أساس من الصحة فأرجو أن يتم تحليل النقاط الخطيرة التي احتوى عليها المقال وتوضيح ماذا أراد الكاتب أن يدس فيها كما أرجو أن تقوم بتكذيب نسبته لسيف وتذكر أنه في السجن مما لا يتيح اطلاعه عليه وتبرئة نفسه منه وأن هناك أشخاصًا بل أجهزة تابعة لبعض دول المنطقة مهمتها الافتراء على المجاهدين وتشويه صورتهم ويكون التكذيب بأن سيف العدل براء من المقال دون زيادة في وصفه[1].

وهنالك بعضٌ ممن صحبهم الزرقاوي أو طلب العلم عندهم أو أثنى عليهم يومًا، وبعد استشهاده ضلوا وأضلوا، وزاغوا عن عقيدة أهل السنة والجماعة؛ إما بمناصرتهم للمرتدين وإعانتهم للطواغيت، وإما بانتهاجهم منهج الخوارج بالتزام الفرقة دينًا وتبديعهم لإمام المسلمين، أو سلكوا مسلك البغاة وأتبعوا ضلالهم بإعانة لأهل البدع أو الردة. ومنهم من غير وبدل في منهجه وعقيدته وسعى لاستخراج فتوى لإجازة التصويت في الانتخابات الشركية. فما نقل من رواياتهم أو ما روي عنهم كان قبل ضلالهم. فاللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك.

ومن البدع التي وقع بها من وصلته سيرة لأحد النبلاء؛ اتخاذ ما اجتهد به أهل العلم

[1] الجامع لأعمال شيخ المجاهدين (ط٢)، مراسلاته مع عطية الله، الرسالة ١، ص٨١٣، بتصرف يسير.

أو أمراء المسلمين أدلة مستقلة وحجة على المخالف وتقليدهم فيها وقياس النوازل عليها دون الرجوع إلى أصول وقواعد الفقه والسياسة الشرعية، ودون فقه للواقع. فهؤلاء قومٌ تفقهوا قبل أن يسودوا ويوم وقعت النوازل والحوادث اجتهدوا باتباع هدي النبي ﷺ فيما نزل بهم وفهموا واقعهم المحيط بهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. فكم من خارجي أو باغٍ أو مبتدع سعى لشق صف دولة المسلمين بحجة أن المصلحة في الفرقة والتشرذم وألا تكون للمسلمين دولة ولا إمام ولا جماعة واحدة، وبحجة أن الفرقة كانت منهجًا لأحد أمراء الإسلام، فأبطل الله من هذا سعيه.

ومن البدع التي قام بها من ظن أن بصحبته لأحد نبلاء الإسلام في فترة من عمره أو كونه قريبه، أن الحجة معه والضلال مع من خالفه، فسعى لمخالفة السنة وتفريق الجماعة وانتهج منهج المبتدعة والفسقة، إما بقعوده عن نصرة الدين أو التحاقه بالفرق المتخالفة، فلا الدِّينَ نصر ولا للمسلمين جمع ولا الكافرين كسر، فكسر الله من هذه نهجه.

ومن البدع أن يوالى ويعادى الناس على قدر حبهم وكرههم لأحد أعلام المسلمين ممن لم يجعلهم الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ مقياسًا على الإيمان، فيتخاصموا ويفترقوا على هذا الميزان البدعي.

ومن التدليس أن تؤخذ أقوالٌ أو أفعالٌ لأحد الأعلام، فتحرف عن مقصودها ويُلبس في معناها أو يزاد عليها أقوالٌ أخرى لم تُقصد، حتى توافق هوى المدلس، ومخطئ الجاني سواء كان قصد الخير أو عكسه.

كانت لدى الأمير رغبة أن تكتب حوادث معركة الفلوجة الثانية ممن شهدها، فلقد

كان يدبر أمر المعركة لكن لم يشهدها؛ **قال العدناني**: "وقد طلب مِنَّا الشَّيخُ أبو مصعبٍ الزَّرقاويُّ -رحمه الله- تدوينَ أحداثها للتَّاريخ وشهاداتنا عليها". فمن أراد أخبارها فليرجع إلى ما صنفته في (لفت الأنظار لما جاء في معركتي الفلوجة من أخبار).

في بعض الروايات أُدخِل عليها العبارات الأدبية أو الاستطرادات التي لا صلة لها بالرواية أو حديث في مسائل علمية ليست من الحوادث التي مر بها الزرقاوي أو ألقاب ألبست للناكصين على أعقابهم، فسيتم اختصارها حسب مضمونها من غير إخلال أو تحريف أو جناية على الروايات الأصلية. وستختصر كذلك البيانات والخطابات ونحوها عن الآيات والأحاديث والمقدمة والنهاية. وسيضاف في النهاية صفحة لموارد الروايات والبيانات وغيرها مفصلة حسب الرواة وتعليقات على بعضها. وستحول التواريخ الأعجمية إلى الهجرية.

مختصرات

أبو مصعب الزرقاوي	الزرقاوي
أبو علي الأنباري	الأنباري
أبو حمزة المهاجر	أبو حمزة
ميسرة الغريب	ميسرة
محمد بن صفي أبو المنتصر	أبو المنتصر
أبو جعفر الأنصاري	أبو جعفر
أبو أنس الشامي	أبو أنس
أبو سليمان الحلبي	أبو سليمان
مجلس شورى المجاهدين في العراق	مجلس الشورى
أبو اليمان البغدادي	أبو اليمان

الفهرس

درر القلائد

في سيرة الزرقاوي القائد

باب أحمد



مؤسسة صرح الخلافة

فصل في اسمه وكناه

الأمير، المجاهد، وأحد الممهدين لقيام دولة الخلافة الإسلامية الحديثة، أحمد بن فضيل بن نزال بن زبّود الخلايلة، من بني حسن. ولد في رجب لعام ١٣٨٦ هجرية في الزرقاء في الأردن من أرض الشام.

كناه وألقابه: أمير الاستشهاديين، الأمير الذباح، أسد الرافدين، أبو محمد الغريب وكانت أحبها إليه، أبو أحمد، أبو مصعب الزرقاوي وهي التي عُرف بها منذ أيام جهاده في خراسان.

قال الزرقاوي عن تاريخ عشيرته: يا قوم؛ عودوا لدينكم؛ فهو مجدكم وعزكم، ومجد آبائكم وأجدادكم الذين نالوا شرف الانضواء تحت لواء صلاح الدين الأيوبي في حطين، وشرف المشاركة في تحرير القدس مع قبائل أخرى، فأقطع صلاح الدين للقبائل التي شاركت معه أراضيَ حول القدس من أجل حمايتها من الصليبيين، وقال: "هذا مسرى جدكم فحافظوا عليه"، يقصد النبي ﷺ، وكانت حصة (بني حسن) في الجزء الجنوبي الغربي من القدس؛ حيث عاشوا وتكاثروا في قرى الولجة وعين كارم والمالحة وغيرها.

قلت: واختلف في نسب بني حسن، منهم من قال: يرجعون إلى بني عذرة من قحطان، ومرجعهم في هذا كافر أعجمي إنجليزي تعلم العربية وألف كتابًا في أنساب القبائل، ومتى كانت العرب يأخذون أنسابهم من أعجمي كافر؟! وطائفة من العرب أرجعوا نسبهم إلى الحسين بن علي رضي الله عنه.

فصل في نشأته

قال أبو قدامة: عاش الزرقاوي طفولته بالزرقاء في حي معصوم قرب المقبرة، كان بيت أبي مصعب من أقرب البيوت للمقبرة بل يعد بمثابة برج مراقبة لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة إلا رأوها. نشأ أبو مصعب في حارات حي معصوم يلعب الكرة ويعيش أجواء فوضى الفتيان كبقية أبناء جنسه، كان بين تلك الحارات ثارات وثارات، تعلم الفتيان فنونها فصقلت شخصياتهم وساهمت في بنائها مما أشعرهم أنهم رجال. لقد كان متميّزا بين أبناء جيله، إضافة إلى تميزه في المراحل الدراسية المختلفة وذكائه، وكذلك تميزه بين أشقائه. في مراحل عمره الأولى كان يخافه من يعرفه من أقرانه، إضافة إلى حبهم له واحترامهم، فقد عرف بحزمه وقوته، وكذلك عرف عنه بحمله للعصا وهو صغير، ويحرص الذهاب مع والده ومرافقته أينما ذهب وحيثما ارتحل، تعود الفتى على ذلك، فقد كان أبوه وجيها في عشيرته ومختارا لها، يحسب له حساب وذا هيبة شديدة ووقار. اكتسب من صفات والده شيئا كثيرا، ولاحظ عليه أهله ملامح الرجولة والشجاعة منذ الصغر.

قال أبو قدامة: حدثني والده -رحمه الله-: أنه كان يقاتل مع مجموعة القائد عبد الله التل في فلسطين، وكانت تجري بينهم وبين اليهود معارك حامية الوطيس، وقد قتلوا أثناء المعارك قريبًا من سبعين يهوديًا، في الوقت الذي كان اليهود يقومون بقتل الفلسطينيين بلا هوادة، وأكد والده أنه قتل وحده اثني عشر يهوديًا منهم مجندتان يهوديتان، كانت إحداهما قد أزهقت أرواح بعض المقاتلين بتصويبها عليهم من برجها، فقام والد الزرقاوي بالرماية عليها وتصويبها بدقة، وأنزلها عن برجها جثة هامدة، ثم ذكر لي أن اليهود

حاصروهم وقطعت عنهم الإمدادات، فتقدم إليهم القائد عبد الله التل لنجدتهم، وأخرجهم من الحصار المضروب عليهم، وأنقذهم من خطر محدق بهم وموت محقق. أعجب أبو مصعب برجولة أبيه، وتربى في أحضان والده المقاتل. وحين ذهب أبو مصعب للجهاد اعتز والده بذلك، أراد الزرقاوي أن يكمل طريق والده، فقد كان يشعر أنه امتداد لوالده. كان أبوه مقاتلاً شجاعًا مهيبًا، ويحب مجالسته والاستماع لبطولاتهم بدفاعهم عن أرض الإسلام فلسطين.

فصل في أهله

والداه

قال أبو قدامة: تميّز أبو مصعب باتصافه كثيرًا بالعطف والحنان على والديه منذ صغره وحتى كبر، ولا يتحمل أن يرى دموعًا تنزل من أمه، وكان بارًا بأمه رحيمًا بحالها وعطوفًا عليها، وعلاقته العاطفية بوالدته به قوية، والدته كانت محبتها متميزة له وتدعو له كثيرًا بالفرج، وأن يحفظه الله بملائكة الأرض والسماء حتى في الساعات الأخيرة من خروج روحها، توجهت إلى القبلة وكانت تدعو له بهذا الدعاء، وتقول: "حرمت منه بالجهاد والسجن فهل يا ترى أراه قبل أن أموت". وحين ذهبت معه أمه إلى باكستان، مرضت مرضا شديدًا فخاف وحزن عليها كثيرًا، وكان يبكي ويقول: "هل تموت أمي هنا فأدفنها"، ثم شفاها الله، وحين عادت إلى الأردن، كان لا يحب أن يدخل غرفتها التي كانت بها، وإذا دخلها بكى، وقد كان يداعبها كأنها طفل صغير ويلاطفها حتى عندما كان في السجن.

كانت أمه مدرسة، ولقد تربت منذ صغرها تربية أهل البادية التي في جوهرها مكنونات الدين ومعادنه، كان لوالدته أثر كبير في حياته، فقد كانت طويلة الصمت، كثيرة العمل، طبيعتها كتلة حنان ومودة، ولقد أرهقت حياتها في خدمة زوجها الوجيه المضياف، وتصل الليل بالنهار في خدمة الناس والقيام بحقوق الضيافة، فهي عاملة وذكية وصاحبة إكرام للضيف، ولقد كان إهانة لها عدم إكرامها لضيفها، حتى لو لم يكن عندها شيء لاستدانت لتكرم الغير. وكنت أعجب منها، كيف يكفيها خمسون دينارًا،

ويؤم بيتها من لا يكفيهم مئات الدنانير، ولكن عجبي ينقضي حين أعلم من هي، فقد كانت متوكلة على الله، فكفاها الله المؤونة وكفاها الحاجة. كانت تحب الذهاب للعمرة أو الحج؛ فقال أبو مصعب لأحبته من المجاهدين أن يحجوا عن أمه وأبيه، فقاموا بالحج عن أبيه وأمه.

يذكر دائمًا والدته ولا ينساها أبدًا، كانت حريصة حرصًا شديدًا عليه، وتزوره في السجن بعد تجشم الصعاب كي تكتحل عينها برؤيته. ففي الوقت الذي تكون زيارة لوالدته، يتزين لها ويلبس أجمل الثياب وأفضلها حين يعلم أن أمه قادمة إليه، ويضع أجمل الطيب فيتعجب إخوته منه ويستغربون فهو لا يفعل هذا الشيء ذاته لزوجته، فيقولون له: "لماذا تفعل ذلك"، فيقول أبو مصعب: "اليوم زيارة أغلى الغوالي أمي"، ويخبرهم أنها قادمة إليه. ويقول كثيرًا: "يا أمي أتمنى أن أخرج من السجن وأقبل قدميك وأبقى تحتهما وأعوضك عن الذي مضى"، كان مرحًا معها ويدخل السرور على قلبها، ويقول لها كذلك:" يا أمي لا تطلبيني طلب بلا أمريني أمر، قولي يا أحمد أحضر كذا فلك السمع والطاعة".

قال الزرقاوي في أحد رسائله لأمه: حبيبتي الغالية؛ إن سألت عني فإني والحمد لله بخير ولا ينقصني سوى رؤية وجهك الطاهر، ويعلم الله ما أحنُّ لشيء في هذه الدُّنيا أكثر مما أحن إليك يا ست الحبايب، ولو بقيت العمر عند قدميك ما أوفيتك شيئًا من حقك.

وقال أيضًا فيها: فكم كنت أتمنى أن أكون عندك في رمضان لأدخل السرور على

قلبك وأعوضك ما فات من سنيٍ سجني، ولكن قضاء الله نافذ لا محالة والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة، وهذا يا أمي دين الله غالٍ يحتاج إلى بذل الغالي والرخيص، فاصبري يا حنون، فإن لم نجتمع في الدُّنيا فالملتقى عند الله الكريم الجواد الرحيم، ولكن احرصي يا حنونتي أن تطيعي الله في كل شيء، وأكثري من فعل الخيرات في رمضان، وإياك ومجالسة الرجال ومصافحتهم، فهذا رجائي عندك؛ لأنني يا أمي لا أحب لك إلا طاعة الله والبعد عن سخطه.

قال أبو قدامة: زارت أم الزرقاوي أحد محارمها وكان يعمل في أحد البنوك، وقام بإعطاء والدة أبي مصعب عشرة دنانير عيدية العيد، وحين علم أبو مصعب بذلك، قال لأمه: "يا أمي هل عيّدك عشرة دنانير؟" ثم قال لها: "يا أمي نحن لا نأكل مال حرام من مرابٍ، خذي مني مال حلال"، وأعطاها عشرة دنانير، وأخذ العشرة التي أعطاها إياها قريبها، وصرفها حيث يريد، ولم يكن يحب لأمه هذا، ولقد كان ورعًا.

إخوانه

له أخوان وسبع أخوات.

قال أبو قدامة: وأكاد أقول إن الأم وبناتها السبع، كأنهن نسخة واحدة في الأدب والخلق والتربية والتدين والصلاح، بل يضرب بالأم وبناتها المثل عند معارفهن وأقربائهن، حتى وصل الحال ببعض أقربائهن، أنهم لا يعرفون أن في تلك الأسرة نساء، وذلك لقلة خروجهن واحتجابهن عن مخالطة الآخرين، فقد كان يشعر أن شقيقاته يقتربن من كمال النساء النسبي مقارنة مع بنات جنسهن، ويعجب لدماثة أخلاقهن وأدبهن جميعًا. وقد

كان يحفظ لأخواته هذه الأخلاق، ويقول: "إنني أعجب من أخواتي"، وذلك لتميزهن وشدة ألفتهن وإتلافهن، ومحبتهن لأمهن ولبعضهن البعض، ولقد أحب أمه وشقيقاته حبًا جمًا. كان يقول دائمًا لشقيقته آمنة أم قدامة: " لم أرَ علاقة كعلاقة أخواتي". ولقد سماه بعض إخوته المجاهدين بـ(الصياد)؛ أي يبحث لأخواته عن طراز معين من الرجال.

وقال: تقول شقيقته مريم: "كان يتمنى أن تعود الحياة منذ الصغر ليرى مراحل حياته مع والديه وأهله، كانت ذكراهم تملؤه شوقًا وحبًا، يتمنى أن يراهم ويتملى منهم بأن يقوا شاخصين أمام عينيه ينظر لهم متى أحب". تقول عنه شقيقته أم قدامة: "منذ أن التزم لم يترك قيام الليل، وكنت أصحى عليه في الليل وأراه يصلي ويطيل الصلاة، وغالبًا ما كنت أصحى من النوم، فأجده قد وضع لي تحت مخدتي دينارًا أو نصف دينار، حيث كان هذا دأبه معي ومع شقيقاته". وتذكر عنه شقيقته ماجدة فتقول: "أما عن عواطفه تجاه أمه وأخواته، لقد كان حنونًا برًا كريمًا في أمه وأخواته، شديد الود والحب لهن ويحافظ على ودهن وكان لا يشتري أغراضًا لبيته إلا وأحضر لوالدته مثله، جزلا معطاء لوالدته وأخواته". وكان بعض أخواته يسكن في مناطق بعيدة عن الزرقاء ولا يشعرن بالغربة، فلا يكاد يغيب عنهن حتى يعود مجددًا ودائمًا معطاء بالفلوس، كان يحب أخواته جدا ويتشوق للجلوس معهن والحديث إليهن، ويرى أنهن صاحبات مستوى رفيع وخلوقات، ويقول عنهن دائمًا: الطاهرات، وكان لهن بمثابة الأب الحنون العطوف على بناته. ولأبي مصعب سبع شقيقات أصغرهن زوجة أبي القسام. وتضيف شقيقته فتقول: "كانت شخصية الزرقاوي تسير نحو الفهم العميق للإسلام والعمل الدقيق للإسلام بخطى حثيثة

ومتئدة وقام بالتأثير على إخوانه وأهل بيته فجلهم قد التزم التزامًا صحيحًا".

وقال: ولقد زوج أخواته الثلاث؛ أحدهم اسمه خالد العاروري أبو القسام. وأما الآخر فهو أشرف أبو إبراهيم هيثم عبيدات وهو كان صاحبًا لأبي مصعب قبل زواجه، وجارًا له يسكن قريبًا منه، ويراه كثيرًا، ترافقا رحلة الجهاد في أفغانستان ثم زوجه أخته. وكانت طريقة زواج أشرف أبي إبراهيم من شقيقة أبي مصعب تدل عظم هذه الشخصية وسموها، حيث اتصل الزرقاوي بأشرف في الساعة السادسة والنصف صباحًا وقال له: "بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله أعرض عليك شقيقتي للزواج". وقد تكرر الأمر كذلك مع أبي القسام خالد العاروري حيث عرض عليه شقيقته. كان حنونًا ورقيقًا في تعامله مع الأطفال، ويبش في وجوههم ويحملهم ويلاعبهم ولا يستاء من إزعاجهم وضوضائهم مهما فعلوا ويحرص على شعورهم. كانت شقيقته (زوجتي) تحبه وهو يبادلها ذلك الشعور، بل كنت أحيانًا أقول عن زوجتي أمامه ممازحا إياه وإياها: "إنها تهابك أكثر مني"، فأشعر بسروره من قولي.

وقال أبو قدامة: سمع الزرقاوي أن شقيقته قامت بالتسجيل في كلية إسلامية، كان المدرسون بها رجالاً، فتألم لذلك أشد الألم وتقيأ دمًا، وقد كان معه قرحة ويكتم ألمه، ولما علمت شقيقته بذلك تركت التسجيل والدراسة حرصًا على مشاعر أخيها واستجابة لأمره، وأخذت تدرس القرآن على أيدي حافظات لكتاب الله، وقد قامت بحفظ معظم القرآن وهي على وشك إتمام حفظه، وكم تشكر لأخيها هذا الصنيع، وتقول: "الحمد لله الذي أكرمني وأنقذني قبل أن أقع بالاختلاط فليس من المروءة الاختلاط بالرجال".

زوجاته

تزوج من أربعة، شاميتين وعراقية ونجدية، فأولهن أم محمد وهي أم أبنائه وابنة خالته، والثانية تزوجها في خراسان وهي إسراء ابنة الشهيد ياسين بن جرّاد، وفي العراق تزوج الثالثة، والرابعة وفاء اليحيي أم محمد.

أبناؤه

له ثلاث بنات من نسله: آمنة وهي الكبرى، وروضة، وإسلام من الزوجة الثانية، وخمسة أبناء من نسله محمد ومصعب، وابن ثالث من الثانية، والرابع من العراقية، ونزال من النجدية. وربيبتاه من زوجته الرابعة، وأخوهما محمد.

قالت ربيبته أم الخطاب: كنّا أول ما تعارفنا بالشيخ -تقبله الله- نتعامل معه بهيبة واحترام، ونضع حدودًا لكل تصرفاتنا معه، لما سمعنا عنه من أنه رجل شديد وصارم في قراراته. ولكن بعد أن عرفناه جيدًا، وجمعتنا به الحياة الطبيعية، لمسنا أنه كان رجلاً صالحًا، كريمًا خلوقًا، عطوفًا علينا، والأهم من كل ذلك، حرصه علينا في أمور ديننا. وما أمطرنا به من نصائح مفيدة في حياة الجهاد.

وكانت له غاية حرص عليها جدًّا تتمثل في استعجال بتحفيظنا القرآن الكريم مُجوَّدًا قبل أن يُقتل، حتى يطمئن علينا، وقد كان يوصينا دومًا بألا نترك القرآن أبدًا. وبينما كان ناصحًا لنا في أمور الدين، كان في المقابل هيّنًا ليّنًا متسامحًا في أمور الدنيا، وإن أخطأنا، ينبهنا لكن بصبر وحكمة، ويصفح عنا.

وكنا سابقًا نصلّي صلاتنا بشكل فردي كلٌّ على حدة، وبعد أن عشنا معه، عوّدنا على الصلاة جماعة، وكان يردد حديث: "صلاة الجماعة تفوق صلاة الفذّ بسبع وعشرين درجة"، -أو كما قال النبي ﷺ-، وقد علّمنا -تقبله الله- أوقات الصلاة، وكيفية معرفتها من الشمس، وعلّم أخي الأَذان، فكانا يتناوبان عليه: يؤذن هو تارة، ويوجّه أخي للقبلة ويجعله يؤذن تارة أخرى، كما كان يوصينا بالدعاء بين الأَذان والإقامة، كون هذا الوقت من أوقات الإجابة بإذن الله تعالى، وبكل ما سبق، تعوّدنا -بفضل الله ثم بفضل الشيخ- على الصلاة جماعة، والدعاء بعد الأَذان، وأن نعتمد على أنفسنا في معرفة دخول أوقات الصلاة، كتب الله أجره.

وكنا نحن الثلاثة نتسابق عند كل صلاة، فأحدنا يصبّ عليه الوضوء، والثاني يناوله منشفته ليجفف عنه بقايا الماء، والثالث ينتظره في مكان صلاته ليعطيه إزاره، إذ كان الشيخ -تقبله الله- يحرص عند كل وقت صلاة بأن يلفّ على وسطه قماش الإزارِ، ثم يصلي بنا جماعة، ولم يكن أحدنا يتخلّف عن صلاة الجماعة هذه مهما كانت الظروف، ولا حتى عند صلاة الفجر، وبعد فراغنا من الصلاة، لم يكن الشيخ يسمح لأحدنا بالكلام حتى نستكمل أذكار الصلاة كاملة، هذا وقد كان يوصينا بقراءة كل الأذكار الأخرى كذلك.

كان -تقبله الله- رجلاً كريمًا شديد الحياء، خلوقًا في التعامل، وكان يذكر إخوانه بصفاتهم الحسنة دائمًا، ولم نعهد عليه أنه جاء على سيرة أحدهم بذم أو انتقاص، بل ما كان يذكرهم إلا بخير، فمثلاً كان يقول لنا عن أحدهم: "فلان مثل الذيب"، ويقول

عن أخ آخر: "فلان رجل مخلص في عمله"، ويقول عن ثالث: "فلان رجل صالح"، وهكذا. وكان يمتعنا بذكر قصصه مع الإخوة الذين عاشوا معه حياة جهاده، ويثني عليهم.

وكثيرًا ما كان الشيخ –تقبله الله–، يردّد لأمي قائلاً: "هؤلاء الأولاد لا أحسب إلا أنهم أولادي من صلبي، فلا تستشعري أنهم من غيري، هذا شعوري والله على ما أقول شهيد، وأنا أرى فيهم الخير الكثير، فأسأل الله أن يهديهم ويصلحهم"، وكان دائمًا يوصيها بنا خيرًا. وله في تربيتنا طرق عديدة ونصائح مختلفة، فمثلاً كان يقول لأمي: "أم خطاب يجب أن تحافظ على صلاتها، وتحفظ وِردها، وتكون ربّة بيت صالحة ملتزمة، محافظة على أمور دينها. ومحمد يجب أن يصبح رجلاً صالحًا، حافظًا لكتاب الله، محافظًا على دينه، غيورًا على نساء بيته، ويلزم أذكاره أينما كان". وكان كلما خرج من البيت، واستودعنا الله تعالى، يوصي أخي ويقول له: "يا محمد، حافظ على أمك وأختَيك بعدي، ولا تفرط فيهن، ولا تنس أذكارك ولا حفظ القرآن، وكن رجلاً في غيابي".

كما كان يوصيني أنا أيضًا، فيقول: "يا أم خطاب، حافظي على وردك اليومي، وأطيعي أمك، واسمعي لما يقوله أخوك، فهو رجل البيت في غيابي"، وكان ينادي على أختي الصغرى أم تراب، ويقول لها: "أنت أيضًا يا أم تراب، اسمعي كلام أمك وتعلمي، ولا تتركي الصلاة". وكان –تقبله الله– يدلل أختي الصغيرة هذه، ويحبها بشدة، وقد كنّاها بأم تراب لأنها كانت كثيرًا ما تلعب بالتراب، وكان يعلمها الصلاة، ويقول لأمنا: "علميها القراءة والكتابة، وحفّظيها قصار السور"، علمًا أن أمي بدورها كانت حريصة

جدًّا علينا من ناحية التعليم وحفظ القرآن الكريم وتفسيره، وكانت تعتزم تعليمنا الولاء والبراء وأصول الفقه الإسلامي.

وكثيرًا ما كان الشيخ -تقبله الله- يلعب مع أختي ألعابًا بسيطة بالأصابع، ويعلمنا لعبة كان يلعبها في صغره، حيث يمشي بأصابع يديه على يد أختي، ويقول لها: "دقّي مرعي، لا تخترعي"، ويظلّ يكررها حتى يصل إلى كتفها فتضحك، وهذا محض مثال بسيط من أمثلة كثيرة عن حنان الشيخ مع الصغار. ورحمته بهم، وعطفه عليهم.

ولقد عوّدتُ أخويّ على أن نناديه بلفظ "أبي"؛ لفرط حبنا له وتعلّقنا به، ودائمًا ما كنا نقول لأمي: "هذا هو أبونا الكفء فعلاً، وليس الذي تركناه؛ الذي لا يعرف من الدين ولا الاهتمام بالتربية شيئًا"، فكان الشيخ يفرح كلما ناديناه بتلك الكلمة، ويقول لأمي مازحًا: "بعض الناس ظفر بالاهتمام كله، وبعضهم لا"، ويبتسم فتضحك أمي، وتقول: "أن أفرح بخدمتهم بك بهذه الطريقة"، فيجيبها: "جزاك الله خيرًا"، ويبتسم. ولطالما حكى لنا -تقبله الله- قصصه مع أمه التي كان يحبها حبًّا جمًّا، ويحترمها بشدة، وكان بارًّا بها، غيورًا عليها.

كما كان -تقبله الله- يعلّم أمي كثيرًا من المسائل في الدين، وكانا إذا اختلفا في مسألة، بحثا عنها في الكتب وتدارساها، ثم يأخذان بقول من كان كلامه مدعّمًا بالدليل القوي منهما. وكان -تقبله الله- قد أهدى سواكًا لأمي بعد أن عقد عليها مباشرة، كما كانت آخر رسالة أرسلها لها قبيل مقتله، يرافقها سواك هدية، تأسّيًا منه بحب النبي ﷺ للسواك.

قال أبو جعفر: ولم يغفل خلال هذا عن واجبه تجاه أهل بيته في هذا الصدد، بل كان لربيبه محمد نصيب الأسد من اهتمام الشيخ بتعليمه وتأديبه، وإعداده وتثقيفه، وكان يشجعه على حفظ القرآن الكريم، ويوفر له كل شيء حتى يحبّب له الخير، لدرجة أن محمداً حفظ خلال ثمانية أشهر فقط أربعة وعشرين جزءاً بفضل الله، ولم يكن كبقية الأطفال ذوي الاهتمامات المسفّة واللهو العابث، بل كان رصيناً متزنًا، وطُويلب علم صغيرًا، حرص الشيخ على أن يكون ممن نشؤوا في طاعة الله.

فصل في هدايته

سأل أبو اليمان البغدادي: متى كانت بداية توجهك إلى التدين؟ الجهة التي احتضنتك هل كانت ذا توجه معين أو ذات تدين عام؟ هل كانت هناك شخصية معينة تأثرت بها قبل هدايتك؟ الانتقال من التدين العام إلى ذروة الإسلام وهو الجهاد، كيف تمّ ذلك؟

فأجاب الزرقاوي: كان ذلك في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، وكانت بدايتي في مسجد الحسين بن علي الكائن في مدينة الزرقاء ثم بعد التزامي بستة أشهر ذهبت إلى أفغانستان حيث أرض الجهاد. الشباب الذين اهتديت على أيديهم كانوا من أصحاب التدين العام، وتعرف أن المرء قبل الالتزام لا يميز بين المناهج، لكن على العموم كان تديني تديناً عاماً. لم يكن هناك أي شخصية قد تأثرت بها قبل التزامي وكان الداعي الذي دفعني إلى التدين أني مررت بأكثر من حادثة تعرضت فيها للهلاك وشارفت معها على الموت فشعرت أن الله عزّ وجل ينذرني، وبعدها اهتديت والتزمت طريق الإسلام.

خلال وجودي مع الإخوة في المسجد كنت -بفضل الله تعالى- محافظاً على صلاة الجماعة، وكان الإخوة يتذاكرون أخبار الجهاد في أفغانستان، وكانت تأتينا من هناك بعض الأشرطة للشيخ عبد الله عزام -رحمه الله- الذي كان له تأثيرٌ كبيرٌ في توجّهي صوب الجهاد، وكانت تأتينا كذلك مجلة الجهاد وبعض الأفلام المرئية التي أثّرت فيّ كثيراً وجعلتني من بين الشباب الذين حرصوا على الذهاب إلى ساحات الجهاد في أفغانستان وعزمت على الهجرة تاركاً ورائي أهلي، حيث لم يكن مضى على زواجي إلا مدة قصيرة

جداً تقارب الشهرين، وكان عمري آنذاك ثلاثًا وعشرين سنة.

قال أبو قدامة: في عام ١٤٠٨هـ انطلقت الانتفاضة الفلسطينية المباركة، فهدى الله تعالى في حيه مجموعة كبيرة من الشباب في فترة واحدة على إثرها، كان الزرقاوي أحد أولئك السائرين في ركاب المهتدين، عرف بهدايته طريقه إلى مسجد الحسين في حيه، بعد أن قام بدعوته إلى الصلاة إخوته في الدين فاستجاب لهم. اعتاد الفتى الذهاب إلى مسجد الحي للصلاة، فتعلق قلبه في المسجد. فبدأ من مسجده ذاك المسجد الذي هاجر منه إلى الجهاد في سبيل الله نحوُ عشرين مجاهدًا، ولم يظفر مسجد في الأردن بهذا العدد، كان ذلك المسجد بحق مسجد المجاهدين، وأول ركب المهاجرين السائرين إلى الجهاد، ذاك المسجد الذي انطلق منه المهاجر المجاهد الشهيد خليل بشير القريوتي أبو محمود -رحمه الله-، وثلة من المجاهدين. فأصبح يدعوهم إلى بيته ويكرمهم، عمّر بيته بزواره وأصبح مضيافًا كوالده الكريم ثم توجه بعضٌ من صحبه إلى الجهاد وشدوا رحالهم. أيقظ جهادهم في أبي مصعب الرجولة والتضحية، وبدأ يفكر ويبحث عن الطرق الموصلة للمجاهدين. تأثر أبو مصعب بالشيخ عبد الله عزام وثورة الحجارة. كان يسمع لمحاضرات الإخوان المسلمين التي تحرض على الجهاد في فلسطين. وفي تلك الفترة كانت راية الجهاد الأفغاني خفاقة بانتصارات المجاهدين التي دوت في مشارق الأرض ومغاربها، وكان يتابع أخبار المجاهدين من خلال مجلة الجهاد، التي كانت توزع في المساجد والمحاضرات الصوتية والمرئية للشيخ عبد الله عزام وقادة الجهاد، فتفاعلت نفسه إلى الجهاد في أفغانستان. قبل زواجه كان قد خطا خطوات عملية نحو الانطلاق إلى أفغانستان ثم بعد زواجه خف

حديثه قليلاً فظن أصحابه ربما تغيّر رأيه تجاه الجهاد، وأصبح مهمومًا بذلك حيث تزوج وكان عمره ثلاثًا وعشرين سنة.

في يوم زواجه جاء أحد أصحابه المجاهدين من أفغانستان، وكان مصابًا إصابة بالغة في بطنه، فتشوق أبو مصعب لزيارته، وأخذ يسأله عن أحوال المجاهدين، فألهب حديث صاحبه عن الجهاد قلبه وأحرق مشاعره فزاد شوقًا وعزمًا، وأخبره أبو مصعب بقراره التوجه إلى أرض الجهاد، إلا أن صاحبه أراد له التريث لحداثة التزامه، وطمعا في أن يذهبا معًا، خاف عليه، كان يرى صاحبه –كما يرى كثير من الناس في أيامنا هذه– أنه ربما لا يناسبه التوقيت في الذهاب للجهاد حيث حداثة الالتزام، فلم يلبث أشهرًا حتى شد الرحال وعزم على تلبية النداء. وكان حديث عهد بزواج، فقد مضى على زواجه نحو خمسة أشهر. توجه إلى السفارة الباكستانية في عمان ليأخذ تأشيرة شأنه كشأن بقية الشباب لكنه لم يستطع تحصيل التأشيرة، فلم يكن من السهل التوجه إلى أفغانستان، بل كان جدًا صعبًا وعسيرًا أن يفيّز المتسابقون إلى الجهاد من بلادهم، وقد حاول كثير من الشباب عمل حيل كثيرة على السفارات، لكنها كانت جلها تبوء بالفشل، بل بعضهم من يحلق لحاهم أو يقومون بأعمال تشعر من يراهم أنهم أناس غير ملتزمين وغير متوجهين إلى الجهاد، ومع ذلك فقد كان الباكستانيون في السفارات يعرفونهم ويطردونهم، فيعودون بألم وحسرة، بل بعضهم لا يستطيع مجرد الاقتراب من السفارة، حيث عرف عن العاملين في السفارة بفجاجتهم وصعوبتهم مع السائرين نحو الجهاد، بل كانوا يهددونهم بحرس السفارة. توجه الزرقاوي لليمن، فلم تكن الأنظمة في بلادنا تسمح التوجه إلى الجهاد، وخاصة بلاد الشام ومصر إضافة إلى العراق وليبيا ودول المغرب العربي والدول العربية

عامة. فلم يكن من السهل تحصيل التأشيرة، فقد أصبحت ذات قيمة ويجد السائرون إلى الجهاد مشقة شديدة في تحصيلها، بعد أن كانت من أرخص تأشيرات العالم، وتعطى في المطار، فقد رفع الجهاد قيمتها وأصبحت أهم من تأشيرة الدول الغربية.

فصل في أخلاقه

حياؤه

قال أبو قدامة: وكان حياؤه عجيبًا، كان لا يقبل مخالطة الرجال بالنساء أو الاختلاط بالنساء كان يغير المنكر بعينيه بعض الأحيان.

قال أبو جعفر: كان الشيخ شديد الحياء، حتى أنه لا يستطيع أن يُحِدّ النظر في وجه من يتكلم معه، وإذا نظر إليه الشخص، حوّل الشيخ نظره إلى الأرض.

وقال أبو جعفر: وقد سألته زوجته عندما خرج في التصوير: "لماذا لا تنظر إلى الكاميرا؟"، فقال: "إنني أستحي أن أنظر إليها". وكان أكثر الإخوة إذا جلسوا معه لأول مرة، يندهشون، ويتساءلون: "هل هذا هو الشخص الذي أرعب العالم، بينما لا يستطيع أن ينظر إلينا من شدة حيائه؟!"، وعندما يقوم بتسجيل كلمة: فإننا نخرج من المكان، ويبقى هو والإعلامي فقط.

وقال: كان مرهفًا حساسًا، يحب الصحراء والتأمل فيها، ويذهب إليها كفترة استراحة وحسب قبل أن يتحرك لبقية القواطع.

صلته لرحمه وكبار السن

قال أبو قدامة: كان أبو مصعب يصل رحمه كثيرًا ويقوم بمساعدة المحتاجين منهم، وله جولات كثيرة عليهم وله معهم مواقف لا ينسونها. ولم يكن لينسى النساء الكبار من خالاته وعماته وبعض أقربائه، حتى وصل به الحال أن يصل رحمي أمي وجدتي، فكانت

جدتي البالغة من العمر مائة سنة، تدعو له، وتحبه وتذكر صفاته، وكانت تقول عن أبي مصعب: "أبو مسعد". كان يصل أمي التي تدعو له دائمًا بدعاء أمه فتقول: "اللهم احفظ ابن دلة بملائكة السماء والأرض"، ودلة هي والدة أبي مصعب، والدلة رمز الجود والكرم عند العرب.

كرمه

قال أبو قدامة: كنت أسكن أنا وإياه في بيت واحد بشقتين في باكستان، كان يحب شقيقته الصغيرة حبًا جمًا وهي متعلقة بأخيها كثيرًا، وهي ماهرة في طهي الطعام منذ صغرها، حيث تعلمت من والدتها المضيافة شدة الكرم والعادات الحميدة، كان يدعو أصحابه للغداء وتكون دعوته لواحد ثم ما يلبث أن يحين وقت الغداء حتى يجيء بمجموعة ثم ينطلق ومعه كتابه، ويترك عندي أصحابه الذين لا أعرفهم.

وقال: لا يحب أن يأكل وحده، وكم من مرة تكون دعوته لصديق وينتهي به المطاف لتكون الدعوة لمجموعة كبيرة من المجاهدين، كان يُشعر المجاهدين أن بيته هو بيتهم وكان لا يفرق أو يتكلف في مجيئهم عنده، وبياتهم إن توفرت إمكانية البيات والبقاء، وهو بطبيعته اجتماعيًا يحب تكوين العلاقات والصداقات، وتجده يجدد حياة الصحابة في مقاسمة إخوانه ما يملك، ولا يسأل عن المادة جاءت أو ذهبت، وأي شيء يخصه فهو من أزهد الناس فيه، ولا تشكل المادة عنده شيئًا ولا يسأل عن الدنيا وزخرفها إضافة إلى كرمه الشديد، ولو كان معه مبلغٌ من المال وهو محتاج إليه وطلبه أحد إخوته يعطيه، أو يستدين له ولا يرد سائله خائبًا، وتراه تعجبه المواقف فيحب أن يكافئ بأحسن منها.

وكانت تمر عليه أيامٌ شديدة لا يكون معه مالٌ وأيامٌ أخرى تجده ميسورة، وكان مرزوقًا وميسورا أمره وعنده سهولة ويسر في التعامل مع أمور الدنيا.

وقال أبو قدامة: كان يحب إخوته ويهديهم ما يجد عنده، وقد ذكر لي أحد أصحابه أنه حينما كان في جدة، قال لأحد إخوانه في الله تعالى، إنه لا يوجد عندي شيء أهديك إياه إلا قلم الحبر هذا (ماركة باركر).

وقال: سمع أني مضطر، وعليّ دين بشيك، وبحاجة إلى فلوس، فذهب واستدان من أحد أصحابه وأرسل لي قيمة الشيك، ولم أكن أعلم أنه يعلم بذلك.

قال أبو جعفر: كان الشيخ أبو مصعب الزرقاوي –تقبله الله– رجلا كريمًا شهمًا، حتى أنني أجزم أنه لم يدخل عليه أحد إلا أكرمه غاية الإكرام، وكانت تأتيه هدايا ثمينة من كل الإخوة والأصدقاء، فلا يبقى عنده شيء منها؛ لفرط كرمه! وحتى الطفل إذا دخل عليه: فإنه يعطيه هدية وإن كانت بسيطة؛ كمسواك أو أي شيء آخر، وقد بلغ كرمه: أنه لطالما سدّد الديون وأدّاها عن الإخوة.

وقال: وفي أيامه الأخيرة؛ قال لي: "اذبح ذبيحة لأي أخ يأتي من الإخوة"، إذ كان يحب الإخوة حبًّا عجيبًا، لدرجة أنه إن دخل عليه أخ: انبسطت أسارير وجهه، وابتسم فرحًا واستبشارًا.

وقال: وفي إحدى المرات؛ أهدى لأحد الإخوة أربعين رأساً من الغنم، فقلت له: "لماذا كل هذا؟"، فأجابني: "إنه رجل كريم؛ فيجب أن نكرمه".

وفاؤه لإخوانه

قال أبو جعفر: وكثيرًا ما كان يتذكر الذين قُتِلُوا بتأثر كبير، وكان يحبهم حبًّا جمًّا، وكان يحمل معه نعال أبي عبيدة بلال الكبيسي -تقبله الله- بعد مقتله، وكل فترة يخرجها من حقيبته، ويضعها مع ملابسه ويلبسها، ويقول لي: "يا أبا جعفر، هذه نعال بلال"، فيلبسها ويمشي، وبعدها ينظف الحذاء ويضعه مع ملابسه ويأخذه أينما ذهب، من شدة وفائه لصديقه، وحبّه لذكراه.

وقال أبو جعفر: وفي إحدى المرات قام الأخ أبو الغادية بحمل الإبريق والشيخ يتوضأ، فبعد أن انتهى الشيخ من الوضوء، قام هو ووضّأ الأخ أبا الغادية -تقبلهما الله- ، وضَّأَه وضوءًا كاملاً، حتى أنه غسل رجليه!

وقال: وكذا عندما ننتهي من الأكل، يقوم الشيخ بصب الماء على أيدينا، وكنت لا أقبل ذلك، وأُصِرّ حتى يقول: "اجلس وغسّل، فأنا أخوكم الصغير، ولا تضعوا حاجزًا بيني وبينكم".

وقال: وكان يحب الشيخ أسامة بن لادن -تقبله الله- حبًّا شديدًا، وقد سألته مرة: "سمعت أن هناك مشكلة بينك وبين الشيخ أسامة"، فرد غاضبًا: "كيف تحدث لي مشكلة مع شيخي وحبيبي أبي عبد الله؟! هذا كله كذب وافتراء".

وقال: كما كان يحب الشيخ أبا حمزة المهاجر -تقبله الله- حبًّا عجيبًا، وعندما نفذ الإخوة غزوة بدر بغداد، والشيخ ينظر إليها في التلفاز، قفز إلى الأعلى وهو يبكي ويكبّر،

ويقول: "لقد وعدني بها! لقد وعدني بها!"، يقصد الشيخ أبا حمزة.

وقال: وقد كان الشيخ -تقبله الله- لا ينفُسُ نفسه دون إخوانه بشيء، ورغم شدة حبّه لجبن الكرافت، إلا أنه رفض أن أشتريه له، لأنه غالي الثمن، ولا يريد أن يأكله حتى يأكله كل الإخوة، وكنت عندما أتسوق لبيت الشيخ، يقول لي: "هل كل الإخوة يأكلون كما نأكل؟ لا تجلب لي شيئًا لا يأكله الإخوة، فحالنا حالهم".

وقال: كم كان -تقبله الله- يحب الإخوة! لا سيما من لهم سمعة جهادية؛ أمثال عمر حديد، وأبي أنس الشامي، وأبي محمد اللبناني، وأبي جعفر المقدسي، وأبي عمر الحلبوسي، وأبي عبد الرحمن البيلاوي، وأبي عبد الله العبيدي، وبلال الكبيسي، وغيرهم، فكان يشيد بهم ويفتخر ببطولاتهم، ويذكر دومًا ملاحمهم مع الصليبيين وكرامتهم هم والإخوة، خاصة في معركة الفلوجة الثانية.

قال جراح القداح: زرته بالسجن وتعرفت عليه وما عرفته عنه إلا أنه يحب إخوانه في الله أكثر من أهله وأنه بكاء وأنه من حفظة القرآن. كنت يومًا معه في الزرقاء وهو يقود السيارة وكنت تحدثت معه عن الإخوة في الله وذكرت له أخًا في الله، فما رأيت إلا والدموع سالت من عينيه، فبكى وكانت شوارع الزرقاء مكتظة لا مجال للبكاء.

رحمته بالحيوان

قالت أم الخطاب: ولشدة ما كان رحيمًا رؤوفًا حتى مع الحيوان، وكمثال على هذا: كانت عندنا قطة تعيش حولنا، فكان الشيخ يقول لنا: "اسقوها ماء، فلقد دخل الجنة رجلٌ سقى كلبًا الماء، ودخلت امرأة النار في قطة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي

تركتها تأكل من خشاش الأرض، فانتبهوا". ومرة، دخلت هذه القطة ونامت في فراشه على قدميه، فلم يحرّكها حتى الصباح، كي لا تخاف القطة وتهرب، والجو وقتها كان باردًا.

قال أبو جعفر: مرة قمنا بجلب كلاب صغيرة العمر، يُسمّى واحدها عندنا بالعامية (جرواً)، أحضرناها من مكان يبعد أكثر من ٤٠ كيلو مترًا، وفي الليل، بدأت الكلاب الصغيرة تنبح كثيرًا، لأننا جلبناها من دون أمها، فخرج الشيخ وتساءل عن سبب نباح هذه الكلاب الصغيرة، قال له محمود العيساوي -تقبله الله-: "أمهم بعيدة"، فانتفض الشيخ وقال: فوراً ترجعون الكلاب إلى أمهم، وإلا سينزل الله غضبًا علينا كيف تحرمونهم من أمهم؟!"، فقمنا بإرجاعها من فورنا.

وقال أبو جعفر: وقد روت زوجة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله-، أنه في أحد الأيام البارد جدًّا في الصحراء، بدأت قطة تصرخ في الليل، فقال الشيخ لزوجته: "أعطيها طعامًا، لأنها جائعة"، فقالت: "لا أستطيع أن أقوم من شدة البرد"، فقال لها الشيخ: "انهضي وأطعميها، إنها جائعة"، فقامت زوجة الشيخ بوضع الطعام لها، حتى أكلت القطة وخرجت.

نبله

قال أبو قدامة: تراه بسيطًا مع إخوته بجلسات ترويحية وأحوال ترفيهية، ربما تستمر لساعة حتى يحمر وجهه في بعض الأحيان، ويتدخل بحزمه ليأمر بعض إخوته بالصمت لكثرة ما يقومون بإضحاكهم. وفي إحدى المرات عاب على أحد إخوته حين هزل في موضع الجد فقال له: "نحن نقف موقف جد وأنت تضحك لتهدم ما نبني". كان إذا

رأى أنه أخطأ مع أحد إخوته، فإنه يعتذر ويتدارك الأمر.

وقال: يطالب غيره بالدليل كميزان للاختلاف، حتى في الألفاظ الهزلية التي تصدر ممن يخالطهم، كان يصلح كثيرًا من أخطائهم، تلك التي تخالف الدين في المزح والجهل ويوجه مستمعه بأدب جم، لقد كان واضحًا صريحًا ومستقيمًا.

وقال: كان أبو مصعب يكره المدح ولا يحب الحديث عن نفسه، ولم أسمعه مرة واحدة يتحدث عن نفسه مدحًا وثناء أو يذكر جهده وجهاده وبلاءه، تحدث مرة واحدة عن صنف من التعذيب تعرض له، بناء على مقدمة استشهد بها في حديثه، واضحًا في حياته، عطوفًا وبكاءً لأي موقف يدخل الحزن إلى قلبه، ومرحًا ضحوكًا، ومن يجلس في جلسته تجده مسرورًا فرحًا، يخلص بشدة لمن يحبه ويتوسم فيه الصدق. فإذا أحب شخصًا فلا شيء عزيز عليه، ويعطيه ما يملك، وإذا كرهه ابتعد عنه ولا يتكلم عليه، يفضل ويؤثر أصحابه على نفسه، ويقدم لهم الغالي والنفيس، ويتمنى الخير لأقرانه كما يتمناه لنفسه، حديثه عذب ممزوج فكاهة وطرافة، وأكثر ما يميزه ابتعاده عن الجدل بسرعة حيث يتخلق بأخلاق الشهداء، ولا يوجد للتكلف في نفسه نصيب، أما خصومه فكان يحلم عليهم ويجاملهم بالسلام.

قال أبو جعفر: تحلى الشيخ أبو مصعب الزرقاوي –تقبله الله– بأخلاق راقية جدًّا، ومنها سعة الصدر، ورحابة الأفق، حتى أننا كنا نخالفه في بعض آرائه أحيانًا؛ فيقبل ذلك منا، وينزل على رأينا قائلاً: "خلاص: اللي تشوفه"، ولم أجده يومًا مستبدًّا برأيه. كما كان –تقبله الله– يُنزل الناس منازلهم، ويوقّر حتى أصغرهم، رغم أنه الأمير القائد، والبطل

المجاهد. وكنا نجلس أحيانًا أنا وأبو جعفر المقدسي -تقبله الله-، وبعض الإخوة، ونتمازح، فيدخل علينا الشيخ -تقبله الله- فجأةً؛ فنبادر بقطع الحديث ونسكت بيد أنه يقول: "استمروا في مزاحكم، لماذا قطعتم الحديث؟ لا تجعلوا فارقًا بيني وبينكم"، وكان دائمًا يذكر مقالب بلال الكبيسي -تقبله الله- ويضحك منها.

وقال أبو جعفر: ومرة تحرّكنا من موقع إلى آخر، وكانت المسافة أربعين كيلو مترًا، والشيخ راكب بجانبي ومدجّج بسلاحه، وأبو جعفر المقدسي الذي كان معنا وقتها، جالس في حوض السيارة (البدي)؛ لأن السيارة لا تتسع إلا لشخصين فقط كونهم مدجّجين بالسلاح، وعندما تحرّكنا مسافة عشرة كيلو مترًا، قال لي الشيخ: "ما هي المسافة بين الموقعين؟"، فأجبته: "المسافة أربعون كيلو مترًا"، فقال لي: "إذًا، عندما تصل نصف الطريق، توقف". وفعلاً توقفتُ كما أمرني، فترجّل الشيخ، وقال للأخ أبي جعفر المقدسي: "انزل من حوض السيارة، واجلس بجانب السائق"، فرفض أبو جعفر، فعقَّب الشيخ مُصِرًّا: "بالأمر، انزل واجلس بجانب السائق"، فركب أبو جعفر طاعة لأميره، بينما ركب الشيخ في حوض السيارة، وقال الشيخ معلّلاً: "نحن لسنا بأفضل منكم"، فقلت له: "يا شيخ أنت تقود السيارة، وأنا أصعد في حوض السيارة"، لكنه أجاب على اقتراحي قائلاً: "بل بالأمر، أنت تقود السيارة". وعندما تحرّكنا، وكان الغبار يحيط بالسيارة، التفت أبو جعفر إلى الوضعية التي كان عليها الشيخ في جلوسه، ثم قال متأثّراً: "والله لقد قتلني هذا الرجل من حيائه".

فصل فيمن تأثر به

قال أبو قدامة: الشهيد الشيخ عبد الله عزام تأثر كثيرًا به، وكان يقرأ ويسمع له ويردد أقواله كثيرًا، وهو يعيش على فتات المجاهدين القدامى العز بن عبد السلام وعبد الله بن المبارك. لم يكن ينتمي إلى مجموعة سلفية، كان ينظر إلى أسامة بن لادن أنه مجاهد. كان يردد كثيرًا مقولة الشيخ عبد الله عزام: إن ابن لادن رجل بأمة.

وقال أبو قدامة: كان الزرقاوي يحب سيد قطب كثيرًا، ويقرأ له كثيرًا في ظلال القرآن، وفي الحاكمية؛ ويستشهد بأقواله كثيرًا وخاصة فيما يتصل بموقفه من قوى الظلام وتيار الباطل.

فصل في نهمه بالقراءة

قال أبو قدامة: وحين ذهب للجهاد مغادرًا إلى أفغانستان أخذ كتبًا كثيرة معه، وكذلك كان يوصي أصحابه وأخواته أن يأتوا بكتبه إليه، وكانت الكتب عنده جزءًا من حياته ولقد أبقى عندي كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام للشهيد ابن النحاس. ويعطي أشرطة كهدايا لمن يعرف ويتوسم فيهم خيرًا لدعوتهم إلى الإسلام والتزامهم به.

وقال: كان أبو مصعب ذا ثقافة واسعة أهلته للاطلاع على كثير من الكتب الإسلامية القديم منها والجديد، فقد كان طالب علم وعمل مجتهدًا في طلب العلم. وعلى اتصال ومتابعة لكثير من الدوريات والمطبوعات التي كانت تصدر فيتابعها ويقرأها. وكان يقرأ من الكتب القديمة: البداية والنهاية لابن كثير وتفسيره وزاد المعاد ومختصره (منهاج القاصدين) وكتب الفتاوى لابن تيمية وتلميذه ابن القيم وكتب ابن حزم وخاصة المحلى وكذلك علوم القرآن وتفسيره وكتب السنن والمتون وشروحها إضافة إلى كتب الفقه وأصول الفقه ومصطلح الحديث والأدب والنحو والشعر والأخلاق والرقائق كذلك كتب التاريخ. ويهتم بكتاب علو الهمة لابن الجوزي كان يهتم بقراءته كثيرًا، وكتاب الروح لابن القيم ويهتم في كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية، ويقرأ كثيرًا في الجهاد وخاصة كتب الشهيد ابن النحاس (مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام) وهما مجلدان قيمان في الجهاد، وكذلك يحافظ على قراءة شرح بلوغ المرام في أدلة الأحكام وكذلك كان يحافظ على قراءة عشرة أجزاء من القرآن في

الجبهات يوميًا وخاصة في العراق. إلى جانب مواكبته للاطلاع المستمر على ما يدور حوله من أحداث بفهم الخبير وفقه العالم.

قال فؤاد بن حسين: يستحوذ نور الدين زنكي على إعجاب من الزرقاوي. فأينما حل الزرقاوي أو ارتحل يبحث عن الكتب التي تتحدث عن نور الدين، وأفضل الهدايا التي كان يتلقاها ممن عرفوه كانت كتب التاريخ التي تفصل الحديث عن جهاد وفتوحات نور الدين زنكي ضد الصليبيين.

قلت: فؤاد بن حسين حاطب ليل وتواصل مع بعض من يعرفه، وليس من أصحابه لكن حُبس مع الزرقاوي في نفس السجن لفترة كما سيأتي.

درر القلائد

في سيرة الزرقاوي القائد

باب خراسان الأولى



مؤسسة صرح الخلافة

سأل أبو اليمان: الرحلة إلى أفغانستان كيف تمت؟ ما هو سبب خروجك من أفغانستان؟ بماذا نفعكم الجهاد في أفغانستان وبماذا أضر؟ ما هي أهم الأخطاء التي شهدها الجهاد الأفغاني ضد الروس؟

فأجاب الزرقاوي: حصلت على الفيزا من السفارة الأردنية لأن الأمر كان وقتها ميسرًا من قبل هذه الأنظمة التي تأتمر بأمر أمريكا فسهلت انتقال الشباب إلى أفغانستان من أجل القضاء على الاتحاد السوفيتي وإيقاف زحفه نحو المياه الدافئة كما هو الحلم الروسي.

وتعلم أن العالم كان منقسمًا تحت سلطة المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي الشيوعي وكان كلاهما يتنافس على مناطق النفوذ لا سيما في الشرق الأوسط، ولما كانت الدول العربية على الأغلب تابعة للإرادة الأمريكية فقد غضّت الطرف عن إعلان الجهاد على الاتحاد السوفيتي ومن ثم يسّرت هذه الدول طرق الوصول إلى أفغانستان.

وقد كان وصولي إلى أفغانستان في سنة ١٤١٠هـ وبعد أن مكثتُ ثلاث سنوات هناك عدتُ إلى الأردن في عام ١٤١٣هـ. كنا في أفغانستان ولكن –سبحان الله– بدأت الأحزاب تتقاتل فيما بينها بعدما سقطت كابل ورأينا بعض الأوضاع التي كانت بعيدة عن المنهج القويم فارتأينا أن نخرج من أفغانستان لنحاول أن نفعل شيئاً في بلاد الشام وعلى وجه الخصوص في فلسطين والأردن.

على العكس لقد نفعنا الجهاد في أفغانستان وهذا أمر لا شكّ فيه. أما القصور فقد كان بسبب طبيعة الأوضاع في أفغانستان –آنذاك– حيث عشنا هناك حياة الجبهات

وكان جهاداً عاماً مع الكفار وكنا نجلس الشهور الطويلة في الجبهات، ولم يكن هناك برنامج منظم بحيث إنك تكون وسط جماعة تبدأ تربيتك تربية جهادية تشمل التربية الشرعية والتنظيمية ولم يكن هناك شيء من هذا بل كانت هناك معسكرات تتدرب فيها ثم تنزل إلى الجبهات لترابط وتقاتل فحسب.

كان الناس يقاتلون لإسقاط الحكم الشيوعي وتحكيم شرع الله عزّ وجل فالهدف من هذه الناحية كان واضحاً ولكن تبين لنا مع مرور الأيام أن الكثير من الجماعات المقاتلة كانت على منهج معوج، وهنا من الواجب علينا الاستثناء لأن هناك بعض الفصائل كانت ذات منهج جيد، ولا بد من التفريق ما بين حسن القصد وصحة المنهج ولا نشكك في النيّات فنقول: كان هناك قصور في الرؤية وهذا جعلهم يقبلون العلماني والشيوعي والقتال مع الوطني وفاتهم التمييز منذ البداية فواجهوا مشاكل جمّة في الأخير.

أغلب الرموز من القادة في أفغانستان كانوا (إخوانًا) أو علمانيين يزعمون الجهاد ك (سياف، ورباني وحكمتيار وأحمد شاه مسعود)، لهذا لم يكن منهجهم واضحًا على الرغم من زعمهم أنهم يريدون تطبيق الشريعة، وسبب ذلك أن أفغانستان كان لها ميزة تختلف كثيراً عن دول العالم الإسلامي وهي صفة الالتزام وحب تطبيق الشريعة، فطبيعة الشعب الأفغاني محافظ وهذا ما أدى إلى أن يكون السمت العام لهم سمتًا إسلاميًا، لكن من ناحية المنهج فإنه لم يكن مطروقاً عندهم بوضوح، فماذا كانت النتيجة؟ لقد أظهرت القيادات –التي كانت ذا منهج معوج– خياناتهم فيما بعد ك (سياف، ورباني وأحمد شاه مسعود) وتحالفوا مع البوذيين الهنادكة ومع الأمريكان، وقبلوا بالأمريكان ولم يقبلوا بـ

(طالبان).

وصوله إلى باكستان

قال أبو قدامة: يمم الزرقاوي وجهه شطر اليمن مع صاحبه أبي بلال المهاجر، وذلك قبل مقتل الشيخ عبد الله عزام، وهناك لم يتمكن من أخذ التأشيرة بيسر، فقال لصاحبه المهاجر: "نلتقي في أفغانستان إن شاء الله"، ثم رجع إلى الأردن لظرف ألم به، وكان هذا في ربيع الآخر ١٤١٠هـ. عاد أدراجه إلى الأردن وسمع عن مقتل الشيخ عبد الله عزام، ثم يسر الله له التوجه للجهاد من الأردن، فانطلق والتقى بصاحبه أبي بلال المهاجر هناك، وذلك بعد مقتل الشيخ عبد الله عزام بأيام. وصل إلى الجهاد، وكان المجاهدون العرب والأفغان، قد صدموا بمقتل شيخهم الحبيب، حيث كان الحزن باديًا على المجاهدين العرب، وأصبحت بيشاور اليوم غير بيشاور الأمس، فقد أصاب مقتل الشيخ عبد الله عزام من نفوس المجاهدين العرب مقتلاً. بكاه المجاهدون العرب والأفغان، ورثوا شيخهم. دفن في يوم مقتله يوم الجمعة الدامي في مقبرة الشهداء الأفغان في قرية (بابي) قرب مخيمات المهاجرين في بيشاور. حزن أبو مصعب لمقتل الشيخ عبد الله عزام في الأردن، ثم بعد ذهابه للجهاد تجدد الحزن لديه، فقد رأى تعلق المجاهدين العرب بالشيخ عبد الله عزام، وأثره الكبير عليهم.

ثم انطلق أبو مصعب إلى التدريب فتدرب، عاش حياة صنعته من جديد، ثم توجه بعد التدريب إلى الجبهات ونزل أرض المعارك ورابط هناك. عاد إلى الأردن ليأخذ أبا القسام خالدًا العاروري وبعض إخوته، إضافة إلى إحضار زوجته التي لم يمض على زواجه

منها سوى خمسة أشهر تقريبًا، وقد برر عودته بقوله: "لا يوجد لي أي مصلحة بالرجوع ولولا أني عدت لأخذ إخوتي لما عدت، وحين يقوم الجهاد في بلادنا سأعود إن شاء الله"، وهذا قبل عودته النهائية إلى الأردن. حين عاد من غيابه رجع بغير الصورة التي ذهب بها قبل أشهر، وكان ملاحظًا عليه من قبل إخوته، أنه زاد عمله وكثر صمته. وحين عاد أخذ يبشر ويحرض وينصح إخوته بالهجرة والجهاد والرباط ويقوم بنشر الدعوة للجهاد. ثم توجه إلى بيشاور بعد أن أخذ معه إخوته وزوجته واستقر فيها.

قال أبو قدامة: رأى أحد إخوة الزرقاوي في باكستان أن طموح الزرقاوي كبيرٌ، فأراد أن يقول له: رويدك لا تستعجل الثمرة قبل بدو صلاحها، لكنه لم يستطع أن يوصل رسالته شفاهية، فأهداه إياها في كتاب (قواعد الدعوة إلى الله) لأحد الدعاة، يدعوه فيها إلى التريث في تصوراته وأفكاره الجهادية واستعجاله، ووضع له صاحبه خطوطًا حمراء تحت عنصر الزمن وعدم استعجال النتائج، حيث الحماس الزائد الذي يؤدي إلى التهور، أعطاه إياها ليقرأها الزرقاوي بوضوح وتأمل، وليتمكن من التمهل في قراءتها كذلك، لكن نفس الزرقاوي الأبية كانت تشعر أنه حينما تنتهك حرمات الإسلام فإن عنصر الزمن واستعجال النتائج هو حجة علينا وليس لنا، وهو تخاذل وخور وليس حكمة وعقلاً.

عمله كإعلامي

قال أبو قدامة: بدأت مرحلة جديدة في حياته لم يتعود عليها من قبل، فلم يدرِ ماذا سيفعل، ولم يكن يملك كثيرًا من المال، وجاءته أول مولودة هناك، ثم أرشده أحد

إخوته للعمل بمجلة البنيان المرصوص، ليتسنى له الجهاد، وينقل أخبار المجاهدين وتكفيه المؤونة، فلم تطب لنفسه السامية أن يبحث عن كفالة مجاهد لأول وهلة، فعمل بمجال الإعلام الجهادي لينافح عن المجاهدين، وينصرهم بنقل واقعهم والتعريف بقضيتهم، ليشحذ لها الأنصار والدعم، أصبح مراسلاً في مجلة البنيان المرصوص التابعة لسياف (أمير إحدى الفصائل). تعرفت على أبي مصعب في تلك الفترة في مضافة المجاهدين بيت الشهداء؛ حيث كنت قد خرجت للتَّوِّ من المستشفى إثر إصابتي، فسألني عن العمل في مجال الإعلام، فحدثته وشرحت له، ثم انطلق للجهاد ينقل وقائعه ويجاهد، لكنه لم يلبث أن ترك العمل مع تلك المجلة بعد شهور قليلة. بعد أن ترك أبو مصعب مجلة البنيان، يسر الله له كفالة مجاهد تقيه المؤونة، فقد كانت هناك كفالات خاصة بالمتزوجين من المجاهدين تقيهم حاجتهم، وذلك كي تستمر عجلة الجهاد بقوة.

وقال أبو قدامة: عرفته أثناء إصابتي، وأنا مصاب رآني والدماء تغطيني، فأنا لم أكن أعرفه من قبل ثم بعد أن شفاني الله جاء وتعرف علي، وقال لي: "إنني أعمل في مجلة البنيان المرصوص مراسل صحفي"، فأراد مني أن أعلمه بعض أدبيات المراسلة والتحرير، وما إلى ذلك فقمت بتعليمه ومن ثم بدأت العلاقة بيننا. جاء وعرض عليّ أخته، فحقيقة أكبرت فيه هذا الخُلق وهذه الشجاعة وذكرني بأخلاق الصحابة -رضي الله عنهم- عندما كان أحدهم يعرض أخته أو ابنته على الصحابي الآخر. وعلمت أنني مصاب، فقالت: المصاب مكرم عند ربه أو المجاهد مكرم عند ربه.

فصل في جهاده

أول مشهد تفتحت عليه عيناه

قال أبو قدامة: في رجب ١٤١٠هـ، وصل أبو مصعب ميرانشاه قادمًا من بيشاور لحضور المعارك الساخنة في خوست، وقبل مجيئه بيوم قام المجاهدون بفتح جبل طورغر الاستراتيجي بعد أربع سنوات من الصراع المرير للسيطرة عليه ولم يتمكنوا خلالها إلا مرة واحدة. وجبل طورغر هو سلسلة جبلية تربطهما خطوط ارتباطية ويتكون من جبلين عظيمين يسمى بـ(طورغر الكبير) و (طورغر الصغير). حين توجه المجاهدون لاقتحام الجبل كانوا قريبًا من خمسين مجاهدًا أفغانيًا وستة مجاهدين عرب، كنت أحدهم مع الشهيد أبي معاذ الخوستي والشهيد ابن الخطاب من الجزيرة العربية والشهيد عكرمة الجزائري. كان قائد الهجوم الشهيد القائد ملا قندهاري، أحد طلبة العلم وكان حديث عهد بزواج، بنى بزوجته ثم جاء للجبهة، ولم يمكث معها سوى عشرين يومًا وكان عمره حينها قريبا من خمس وثلاثين سنة.

أثناء مسير المجاهدين إلى الجبل سبقت المجاهدين العرب لآخذ صورة للمجاهدين أثناء صعودهم على طورغر، فحاول منعي قائد الجبل والفتح ملا قندهاري، فأخرجت له البطاقة الصحفية بتوقيع جلال الدين حقاني فصمت حين رآها، وأكملت مسيري مع المجاهدين الأفغان على الجبل، كان الجبل مستعصيًا على المجاهدين وساعدتنا دبابة المجاهدين في الرماية على الموقع الذي أمامنا مما ساهم في صعودنا إلى الجبل بسهولة. وأثناء صعودنا رأيت دماء الشيوعيين مختلطة في التراب ثم تواجهنا مع الشيوعيين بقتال

شرس رمانا العدو ورميناه، ثم بدأ الشيوعيون يتراجعون أمام رماية المجاهدين القوية، وجرحت مجموعة من الشيوعيين كانت منبطحة على الأرض تحت أقدامنا أذلاء خانعين، ثم تقدمنا إلى الأمام وكنت من أوائل من تقدم للثكنات، فأسرت أحد الشيوعيين وعلم أنني عربي فأخذ يتحدث معي بالعربية، وكنت رافعًا عليه سلاحي فجاء ملا قندهاري وأخذه مني وأراد قتله، لكن كان الأفغان قد اجتمعوا فمنعوه من قتله ثم هزموا. أسر المجاهدون مجموعة كبيرة من الشيوعيين وكان فتح طورغر مقدمة لفتح خوست وبينهما قرابة سنة، نمنا على الجبل بعد فتحه وفي الصباح أصبت بلغم وكنت مع الشهيد ملا قندهاري والشهيد عكرمة الجزائري والقائد أبي الحارث الحياري. كان هذا اليوم يوما غير عادي بالنسبة لأبي مصعب، حيث كان في بيت ضيافة القاعدة في ميرانشاه الحدودية، ينتظر قافلة المجاهدين ليشدوا رحالهم إلى جبهة خوست الساخنة. وأثناء وجوده في مضافة القاعدة مع المجاهدين، سمع أن هناك عربيًا في مستشفى ميرانشاه قد وصل مصابًا بلغم على جبل طورغر، فهرع مع إخوته المجاهدين إلى المستشفى، ورأوا أخاهم المصاب، كان وضعه مأساويًا وإخوته المجاهدون من عرب وعجم من حوله يتألمون بصمت، رأى ذلك المشهد وربما كان أول مشهد رآه في حياته، أخوهم لم يكن يراهم فعيناه مصابتان ووجه مليء بالدماء ورجله مبتورة وهم صامتون من حوله، وقد رافقه قائد الجبهة القائد أبو الحارث الحياري، وكان صاحبًا عزيزًا ورفيقًا مخلصًا، عرفه قبل مجيئه للجهاد فرافقه رحلة الطريق وكان يرجو لصاحبه الشهادة. كان وصول الجريح بعد العصر وإصابته كانت في الثامنة صباحًا، وفي تلك الغرفة أخذ الجريح يناشد القائد ليأخذ للجبهة ما بقي معه من فلوس، رفض القائد فألح عليه الجريح بألم وأخرج الفلوس من جيبه ومدها باتجاه الصوت،

كان يشعر الجريح أن جبهة أخيه القائد تحتاج إلى الدعم، المجاهدون الأفغان كانوا يعطون جرحاهم ثلاثمئة روبية عونا لهم على إصابتهم. أبو مصعب كان يراقب هذا المشهد ويرمقه ويتملى منه ويصغي لما يسمعه فيبدو أنه قد تأثر به فحفظه، رأى الدماء تغطي أخاه الذي لا يعرفه، ولربما الجريح فتح إحدى عينيه المصابتين ليرى ما به أو يعبث بوجهه فيسمع صوتًا قويًا من صاحبه القائد يقول له: لا تفعل. ثم رأيته بعد شهر تقريبًا من إصابتي، جاء إلى بيت الشهداء مضافة الشهيد عبد الله عزام وتحدثنا قليلاً ثم قال لي: إنه يعمل في مجلة البنيان المرصوص، وأراد بعض النصائح فأسديتها له ونصحته بأن يسلك طريق الإعلام للدفاع عن أمة الإسلام ونصرتها.

حراسته على الجبل الأسود وإمارته له

قال أبو قدامة: وصل أبو مصعب مواقع المجاهدين في خوست وتوجه إلى المركز الرئيس لجبهة الشيخين عبد الله عزام وتميم العدناني بقيادة القائد المجاهد أبي الحارث الحياري وهو مركز مرتبط بجبل طورغر ومقدمات المجاهدين، حيث حط رحاله على طورغر، كان للمجاهدين العرب حصة الأسد في حراسته والثبات عليه. وقد استماتت الدولة الشيوعية في الدفاع عن الجبل قبل فتحه، وذلك بسبب موقعه الاستراتيجي، إذ يعتبر برج مراقبة لمنطقة خوست بأكملها، حرس أبو مصعب على جبل طورغر، وكان الجبل بمثابة كتلة من النار ملتهبة، لم يُبْقِ الشيوعيون سلاحًا إلا ودكوا به ذلك الجبل، حتى أنهم رموا عليه في يوم واحد سبع سكودات. وكان طيران الشيوعيين يقصف بقوة شديدة، وتنهال الرماية على الجبل من اتجاهات عديدة بالأسلحة الثقيلة وقد دك ذلك

الجبل دكا وزلزل زلزالاً شديدًا. كانت محاولات كثيرة لاسترداد الجبل تدعمهم الطائرات والمدافع والصواريخ، لكن أسود الإسلام كأبي مصعب وغيره من المجاهدين كانوا لهم بالمرصاد، فصدُّوا تقدم الشيوعيين المستميت ليعودوا أدراجهم خائبين.

كان الشيوعيون يستعيضون عن فشلهم بقذف الحمم البركانية التي يصبونها على المجاهدين صبا سواء على الجبل أو في جبهة أبي الحارث وجلال الدين حقاني القائد العام للمجاهدين، وكان المجاهدون العرب يقاتلون تحت إمرته ولم يكونوا ينضوون تحت قيادة الأحزاب الأخرى. كان أبو مصعب في خندقه لا يستطيع الخروج منه إلا للضرورة، الجبل الذي كان يرابط عليه أبو مصعب كان كالترس يتلقى السهام في ذلك العرين، لم يكن بيده حيلة إلا الصبر وانتظار الفرج من الله تعالى، ولقد أخافه هذا الوضع خوفا فطريًا وزلزله ولكن ليس للوهن. قام أبو مصعب مع المجاهدين بتحصين مواقعهم الأمامية في مواجهة الشيوعيين. لم ينزل أبو مصعب عن الجبل ولم يترك لنفسه الوسوسة بالنزول فكان يقطع هواجس النفس والشيطان بذكر الله وتلاوة القرآن والاستغفار.

جهاده في خوست

قال أبو قدامة: عاش أبو مصعب مع المجاهدين بعد استيلائهم على جبل طورغر الاستراتيجي وشعر المجاهدون أنهم حققوا تقدما مهما على أرض الواقع، وقد كان طورغر شريانًا حيويًا لخوست، فتجدد عزم المجاهدين لفتح خوست، ورأوا أنهم قد تجاوزوا الخطر المحدق بهم وسيطروا على إرادة الشيوعيين بثباتهم ورباطة جأشهم أمام آلتهم العسكرية الضخمة وقصفهم الشديد المرعب. كان لأبي مصعب وإخوته المجاهدين العرب الأثر

الكبير بثبات المجاهدين على جبل طورغر الكبير والصغير، وذلك باعتراف المجاهدين الأفغان، ولم يستطع الشيوعيون السيطرة على الجبل رغم محاولاتهم اليائسة والمستميتة وجعلهم الأرض نارًا تحت أقدام المجاهدين.

بدأ أبو مصعب مع إخوته المجاهدين العرب والأفغان مرحلة جديدة دفعتهم لتحصين مواقعهم من جديد والامتداد بشكل أفقي باتجاه الشيوعيين ضمن خنادق ارتباطية وعلى خطى هادئة، ولقد استفاد القائد جلال الدين حقاني من المجاهدين العرب وأفكارهم، فكانوا يقترحون عليه ويعطيهم الموافقة فيما يناسب خطة المجاهدين. وكانت للمجاهدين العرب مع الأفغان مقدمات أقربها للعدو مقدمة خمسمائة متر ثم بدأ المجاهدون يقتربون من العدو حتى أصبحت مقدماتهم تبعد قريبة من الشيوعيين خمسًا وسبعين مترًا. وأصبحت طريق المجاهدين خنادق ارتباطية داخل الأرض، على شكل شبكات لتفادي القتل والموت، ولقد قدم المجاهدون الشهداء تلو الشهداء في مرابطتهم أمام الشيوعيين، فما إن ترى دبابات الشيوعيين شخوص المجاهدين تتحرك حتى تقذفهم بنيرانها، فكثر شهداء المجاهدين وجرحاهم، رابط أبو مصعب في تلك المقدمات، يقطع وقته بحفظ القرآن وقراءة الصحيح وينهل من العلم فيتثقف ثقافته الدينية والعسكرية.

قال أبو قدامة: أخذ أبو مصعب مع إخوته المجاهدين يشددون من حصارهم المضروب حول خوست ومطارها ويعيقون وصول الإمدادات للشيوعيين، ولم تكن إمدادات الشيوعيين تصل إلا عن طريق الجو، فقد قام المجاهدون بقطع جميع الطرق المؤدية للمدينة منذ سنوات بسبب الطوق الأمني الطويل الذي يقيمه المجاهدون حول

المدينة، واستطاعوا بفضل الله أن يمنعوا وصول الإمدادات إلى المدينة عن طريق محاصرة مطار خوست الحربي، فلا تستطيع الطائرات الإقلاع منه أو الهبوط إلا خلسة. وكثيرًا ما كانت تهبط الطائرات فما يلبثن حتى تمطرها صواريخ المجاهدين بوابل النيران، فتفر هاربة وتقوم برماية إمداداتها للشيوعيين بالمظلات، وأحيانا الرياح تسوقها للمجاهدين غنيمة وهبة من رب السماء، كان يفرح المجاهدون برزق الله ورحمته لهم. ولقد أرهق هذا الوضع الشيوعيين فبحثوا عن مخرج بمطار آخر، فلحقهم أشاوس المجاهدين عربًا وعجمًا، وضيقوا عليهم ولقد كان لمجموعة من العرب الفضل في فكرة الضرب على المطار وتقسيم الرماية عليه بين المجاهدين، فلكل فئة من المجاهدين مساحة يقومون بتغطيتها حين تنزل الطائرات وكان هناك تنسيقٌ واتصالات بين المجاهدين بهذا الشأن، فما تلبث أن تنزل الطائرة حتى تكون الأرض امتلأت حممًا فتفر خائبة وهكذا أجبروا الشيوعيين على الضعف والتقهقر، وأصبح الشيوعيون يجأرون لحكومتهم بإنقاذهم، ولكن ليس بيد قادة الشيوعيين حيلة، وبدأت ساعة الصفر تدق فاستمات الشيوعيون بالدفاع عن خوست، وأخذ المجاهدون يحكمون الخناق على الشيوعيين وضريبتهم الشهداء والجرحى ولقد خاض المجاهدون معارك عديدة تمهيدا لفتح خوست وقدموا فيها كثيرًا من الشهداء الأفغان والعرب للسيطرة على مواقع الشيوعيين وخاض أبو مصعب هذه المعارك مع المجاهدين، كان آخرها تلك المعركة التي قتل فيها القائد ملا شاه زادة قندهاري وكان أبو مصعب مع إحدى المجموعتين اللتين تقدمتا في الليل خلف دبابتين للمجاهدين لتشق لنا طريق الألغام وكان هذا بعد إصابتي. كان معتليا ظهر الدبابة الأولى المجاهد الفذ وقائد فتح جبل طورغر الملا قندهاري واتجه المجاهدون إلى مواقع الشيوعيين ليلا كنا نهرول خلف

الدبابتين خوفًا من الألغام الأرضية. وأثناء زحف المجاهدين وتبادل الرماية هرب بعض الشيوعيين من مواقعهم ثم تبادل المجاهدون القصف مع الشيوعيين. وقد أصابت رماية الشيوعيين وجه القائد ملا قندهاري إصابة قاتلة بقذيفة (آر بي جي)، أطلقها أحد الشيوعيين المحترفين واسمه (بسم الله). فاستشهد ملا قندهاري على الفور وأدى هذا الوضع إلى إرباك صفوف المجاهدين وانسحابهم ليلاً، ولقد ستر الله بنا أن تصيبنا مجزرة في تلك الليلة، فقد كان الشيوعيون يضيئون سماءنا بالبالونات الكاشفة، ويرمون علينا رماية شديدة، وكان كل منا يظنُّ أن لا يرجع إلى الجبهة، ولكن الله سلم.

ولقد تمكن المجاهدون من أسر الشيوعي الذي قتل القائد ملا قندهاري وقاموا بقتله وحاول سمرقند الأردني أن يقتل الشيوعي لقتله صاحبه ملا قندهاري. كذلك اشترك أبو مصعب مع القائد جكتوران في معارك شديدة وكان المجاهدون قد أحاط بهم الشيوعيون في وسط النهار وبقيت جثث المجاهدين في مواقع الشيوعيين فأبى القائد جكتوران كعادة الأفغان إلا أن يخلص جثث المجاهدين العرب والأفغان من أرض المعركة وكان له ما أراد ثم جاء قدره بالشهادة وكان قائدًا مقدامًا ومجاهدًا عنيدًا قد بلغ من العمر قريبًا من خمسين سنة.ولقد أحب المجاهدون العرب هذين القائدين جكتوران وملا قندهاري. ثم تتابعت الأحداث وأدت إلى رغبة كثير من الجنود الشيوعيين لتسليم أنفسهم للمجاهدين، ولكن خوفهم من الألغام التي وضعها الشيوعيون بخرائط لا يعرفونها كان يدفعهم إلى تحين الفرص والمغامرة بأرواحهم والاستسلام للمجاهدين. وكان يستسلم بين الحين والآخر مليشيات شيوعية أُجبرت على قتال المجاهدين ولقد وصلت استماتة الشيوعيين أن يضعوا

مع كل مجموعة صغيرة رجل أمن حتى لا يحدث تمرد بين صفوفهم فأصبحت حالتهم المعنوية متدنية.

مشاركته في فتح خوست

قال أبو قدامة: سميت خوست بموسكو الصغرى ويعتبر فتح خوست الفتح الحقيقي لأفغانستان، فلم تجتمع عوامل النصر في مصر كخوست، ولقد كان المجاهدون يعلقون آمالهم على جلال أباد لتكون مفتاحا لكابل، لكن الله سبحانه أراد خوست مفتاحًا لكابل، وذلك لعدة اعتبارات أهمها وحدة المجاهدين وصدقهم وتوحدهم وإخلاصهم وقد عمل المجاهدون العرب جنبًا إلى جنب مع الأفغان وللمجاهدين العرب دور كبير في نجاح المجاهدين بالسيطرة على المواقع والثبات فيها. وكانت تقسم الجبهات في خوست إلى عدة محاور: المحور الأول والأهم، جبل طورغر وما يحيط به، ويغطي مساحة كبيرة في الجنوب والجنوب الشرقي ويسيطر المجاهدون على هذه المواقع بقيادة جلال الدين حقاني والمجاهدون العرب بقيادة القائد أبي الحارث الحياري. وكان أبو مصعب في منطقة مسرح عمليات القصف الشديد والمركز على المنطقة. وأما المحور الثاني فمنطقة الجنوب الشرقي لخوست مواقع الكوتشيون (البدو) وكانت قريبة من المطار وامتدادًا لجبل طورغر من الشرق. وأما المحور الثالث فهي منطقة وسط جنوب خوست وكان هناك فصيل صغير لمجموعة القاعدة وكانت بمثابة إثبات وجود وكان مركزهم الرئيس في جلال أباد بولاية ننجرهار ولم يكن مناسبًا أن يفتحوا جبهتين قويتين في خوست وجلال أباد. فقد كان عملهم جبارًا في جلال أباد؛ فقد كانوا يرابطون على جبل قباء مع إخوتهم الأفغان

ويمنعون بشراسة منقطعة النظير تقدم الشيوعيين باتجاههم رغم امتلاك الشيوعيين لمختلف الأسلحة الثقيلة في محاولة زعزعة المجاهدين الأفغان والعرب عن جبل الموت (قباء). ولو تمكن الشيوعيون من السيطرة على جبال سمر خيل (قباء) لاستطاعوا إلحاق هزيمة بالمجاهدين إلى الحدود الباكستانية الأفغانية بطورخم وهي مسافة قريبة من ثمانين كيلو مترًا ولتحول نصر المجاهدين في جلال أباد إلى هزيمة ولكن الله ثبت المجاهدين وكان للقاعدة دور ريادي في ثبات المجاهدين بمواقعهم في جلال أباد.

وقال أبو قدامة: في خوست لم تكن منطقة وسط الجنوب ساخنة ولكنها كانت تسد اختراق الشيوعيين لها في منطقة شيخ أمير. وأما المحور الثالث فهي منطقة الجنوب الغربي حيث تواجد المجاهدين اليمنيين في منطقة دير ملك، وقد كانوا في نقاط التماس مع العدو، وكانت منطقتهم ساخنة ولكن الشيوعيين لا يستطيعون التقدم منها، فهي مناطق شاسعة تساهم في تشتتهم وإرهاقهم، وكذلك كان المجاهدون يحيطون بمنطقة خوست من الخلف والمتصلة مع الجبال المرتبطة بمنطقة جبال (تورا بورا) ولقد كانت هناك أحزاب أخرى تجاهد في خوست كحزب حكمتيار وغيره من الأحزاب. وكانت الخطوط الأولى بمقدماتها القريبة من مواقع الشيوعيين تستعد لانطلاقة جديدة على الشيوعيين.

بقي أبو مصعب مع المجاهدين قريبا من سنة مع إخوته المجاهدين يعدون ليوم الفتح ويقارعون الشيوعيين بمنازلات كثيرة، يرومون من خلالها فتح خوست ويذهبون باتجاهات عديدة وهم مرابطون.

قام الشيوعيون بإلقاء القنابل الكيماوية على مراكز المجاهدين فبقيت مشتعلة ومتوهجة

لمدة طويلة، كذلك ألقى الشيوعيون على مركز أبي الحارث قنابل كيماوية. كان أبو مصعب في وقتها في المقدمات يترصد مع المجاهدين على مواقع الشيوعيين ويقومون بعمل كمائن والتقدم شيئا فشيئا، حيث بدأت فلول الشيوعيين تضعف فيتقدم المجاهدون وكان أبو مصعب يرقب المعركة ويشارك فيها ولقد كنا نمشي سويًا في إحدى الغزوات قريبا من سيل ماء، وكان الماء مرتفعا يغمر الركب ولم أكن أستطيع السير في الماء لوضع رجلي الصناعية، فكان لا بد من حملي، فقام أبو مصعب وحملني على ظهره حتى تعدى بي ذلك السيل، ولم أكن أعرف أبا مصعب حينها إلا قليلا. كان أبو مصعب يجاهد مع الأفغان والعرب فيذهب إلى الأفغان ويقوم بالقتال معهم، وهذا ما يجعلني لا أتذكر كثيرًا من جهاده ومواقفه، وكثيرًا ما كنت بجبهات أخرى ويفوتني معرفة التفاصيل وخاصة في بعض المعارك التي شارك بها.

شارك أبو مصعب المجاهدين في هجومهم على خوست من جبهة أبي الحارث، ولقد كانوا يطاردون الشيوعيين ويتقدمون من موقع إلى آخر، وكانت الطائرات فوقهم تدك الأرض وتحرقها حرقًا، ولكن عزم المجاهدين المتوثبين لدخول المدينة كان عظيما. ودخلت دبابات القائد حقاني من شرق المدينة، وكان عليها شقيق القائد حقاني خليل، وقد كنت راكبًا معه على ظهر إحدى دبابة الاقتحام، وكنت أشعر أن هذا اليوم هو من أيام الله بل ربما أخطأت حين تلفظت وقلت: إن هذا اليوم يشبه (يوم القيامة) بالنسبة لنا والله أعلم، أرهقت المجاهدين الطائرات، وكنت أراها أمامي تقذف وتقصف بشتى القذائف الصاروخية والكيماوية فأحزن لحال المجاهدين وأظنهم أُبيدوا. كانت تقصف عن قرب وكنت أتوقع الموت لكن الله سلم المجاهدين. تقدم أبو مصعب والمجاهدون من

جبهة أبي الحارث باتجاه المطار واستمات الشيوعيون في الدفاع عن مواقعهم، وبدا الجو غائمًا فغامر الطيارون وأخذوا يقصفون بشكل جنوني يحرقون الأرض من تحت أقدام المجاهدين ويضربون القنابل الكيماوية والعنقودية وصورايخ سكود ليصدوا المجاهدين، ثم شارك المجاهدين في التقدم إلى خوست حين فقد الشيوعيون صوابهم وجن جنون قادتهم في كابل حين علموا أن مواقعهم المتقدمة قد سيطر عليها المجاهدون فبدؤوا بالفرار. ولم تغنِ عنهم الألغام التي زرعوها للمجاهدين فقد تقدم المجاهدون تقدمًا تجاوزوا به عن خطر الألغام لكنهم لم يفلحوا وتقدم المجاهدون من محاور عديدة وارتبك الشيوعيون. وبدؤوا يفرون من مواقعهم والمجاهدون يطاردونهم ويسيطرون على مواقعهم الموقع تلو الآخر؛ حتى وصلت الجرأة بشيخ أفغاني غامر بنفسه، وقام بالتسلل إلى موقع رماية الشيوعيين قرب المطار، ونظر داخل الكوة التي يصوب منها الشيوعي سلاحه فقام أحد الشيوعيين بإصابته في رأسه بعد أن أدخل رأسه، وعندما رأى المجاهدون ذلك تقدموا ودب الرعب في قلوب الشيوعيين، فهربوا وقام المجاهدون من شتى الجهات بالتقدم مما أدى إلى اندحار الشيوعيين وتراجعهم فقام المجاهدون بقتل البعض منهم وهم هاربون أثناء تقدم المجاهدين داخل المدينة. كان فضل الله عليهم كبيرا تكاثفت الغيوم وحجبت الرؤية عن الشيوعيين من الجو، وكان نصر من الله أن صب عليهم الماء من السماء صبًا، وكثر السحاب فنزل المطر، وتعطل سلاح طيران الشيوعيين وكان رحمة للمجاهدين، وعلموا أن الله معهم وفقهم لنصره وفتح عليهم مدينتهم خوست. وأخذوا يضربون صواريخ سكود من قواعدهم على (موسكو الصغرى) خوست مدينتهم، ثم توجه المجاهدون إلى القلعة حيث موقع القيادة، ولم يلبثوا قليلاً حتى سيطر المجاهدون على القلعة وقتلوا من

فيها، وكان أحد القتلى عميدًا عليه أثر النعمة باديًا، وقد رآه أبو مصعب والمجاهدون صريعًا، لم تغن عنه شارتاه الحمراوان شيئًا. وقتل من قتل من الشيوعيين وأسر من أسر وأورث الله المجاهدين أرض عدوهم وغنيمتهم. كان أبو مصعب والمجاهدون يرون كيف أن الشيوعيين يخربون بيوتهم بأيديهم لأول مرة ويقومون بالرماية عليهم في مدينتهم، كان صواريخ سكود تقع قريبًا منا وتنفسنا رهج ترابها ودخل في بطوننا.

وقال أبو قدامة: ولقد تجلت قدرة الله الجبار في خوست، فكان يومًا عسيرًا على الشيوعيين ورحمة على المجاهدين فغطت سماء يوم الفتح سحاب كثيف على خوست ونزلت أمطار شديدة، أعاقت طائرات الشيوعيين عن القيام بمهامها، فأخذوا يقصفون خوست بشكل عشوائي ويحذرون في بعض الأحيان لكيلا تصيب الشيوعيين، ضربوا صواريخ سكود الموجهة من قواعدهم فأرادوا تدمير المجاهدين على خوست وهكذا قاموا بتخريب بيوتهم بأيديهم لكن لم يصب من المجاهدين كثيرٌ واستشهد من العرب ستة مجاهدين وجرح آخرون، أما الأفغان فقد استشهد بعضهم وجرح آخرون ولكن لم تكثر جراح المجاهدين وقتلاهم في هذه المعركة فقد كان نصر من الله وفتح كبير. وساهم أبو مصعب في هذا الفتح، وكتب لأهله يذكر لهم نعمة الله عليهم ويشكره، ويقول لهم مسليًا لهم بعده عنهم ومذكرًا أباه أنه على طريق الجهاد الذي شارك فيه أبوه من قبل في فلسطين. وكتب لهم يخبرهم أنه شارك في الفتح ليفرحوا بنصر الله، وذكر لهم أنه كان مع المجاهدين حين كان الشيوعيون يفرون من أمامهم كالدجاج وهم يتعقبونهم بالقتل والرماية عليهم.

جهاده في جرديز

قال أبو قدامة: بعد فتح خوست استراح المجاهدون العرب أيامًا ثم تقدموا باتجاه جرديز، كانت مواقع المجاهدين في جبال (سيتاكاندو)، وقد سيطر عليها المجاهدون منذ عهد متقدم من دخول الروس، ثم بعد فتح خوست تقدم المجاهدون وأصبحوا على مقربة من جرديز. كان أبو مصعب في موقع عبد الملك ثم انتقل إلى موقع صاحبه الشهيد ربعي الجزائري في الخطوط الوسطى ثم تقدم إلى موقع الجسر (جسر الشهداء) ثم إلى جبل (الأفاعي)؛ وهما مقدمتان لمواقع المجاهدين أمام الشيوعيين. ويمتد خط الشيوعيين أمام المجاهدين بشكل أفقي بثلاث عشرة دبابة كانت تحمي مقدمات الشيوعيين. وساهم أبو مصعب والمجاهدون في الزحف المبكر باتجاه جرديز والرباط قبالة مواقع الشيوعيين. كانت المواقع المحيطة بمدينة جرديز باردة والثلوج تكسو جبالها وأرضها في الشتاء، عاش المجاهدون سنوات طويلة يرابطون على جبال (سيتاكاندو) المطلة على جرديز. الثلوج تبقى على مرتفعات أفغانستان الجبلية طوال أيام السنة، وفي الصيف كنا نرى جداول الماء تسيل في الوديان، لذوبان بعض الثلوج في مرتفعاتها الجبلية، كانت قذائف الشيوعيين تشوه أرض جرديز الجميلة المغطاة ببياض الثلوج، في أجواء الثلوج تلك، لم ينس المجاهدون نشيدهم وهو يعانق تلك الجبال المغطاة ببياض الثلوج، يتسامرون بجهادهم في تلك الظروف الباردة، وينشدون نشيد إقبال. يضعون بدل (إفريقيا) (جرديز):

لم تنس (جرديز) ولا ثلوجها ***سجداتنا والأرض تقذف نارا
كنا جبالاً في الجبال وربما *** سرنا على موج البحار بحارا

وقال: كانت بداية معارك جرديز في أيام زواجي، سمع المجاهدون القادمون من الجبهة لحضور زفافي بتلك العمليات، وقاموا بمغادرة بيشاور على الفور بعد أن حضروا زفافي للتَّوِّ وكان قد مضى قريبًا من ثلاثة أيام على زواجي، انطلقوا إلى أفغانستان، وكان أبو مصعب من أوائل من انطلق إلى جرديز، افتقدته فلم أجده، ولم يخبرني أو يخبر شقيقته بذهابه، مضى إلى جرديز ليكمل حياة الجهاد التي اختطها من قبل، وشارك إخوته في القتال والرباط في جرديز كان له جهاد مع الأفغان حيث لم يكن طوال وقته يجاهد مع المجاهدين العرب. وقد حدثني أحد إخوته وكان أميرا لمجموعة من الطلبة الأفغان في الخطوط الأولى حيث يقوم الطلبة الأفغان في المدارس الدينية سواء في باكستان أو المناطق المحررة من أفغانستان بالذهاب للجهاد في عطلتهم إلى الجهاد أو في الأوقات الحاسمة فكان أحد المجاهدين العرب مدرسًا ومجاهدًا، فقال لي: "التقينا بأبي مصعب في الخط الأول ببوابة جرديز، وكان أبو مصعب يجاهد مع الأفغان في بعض الأحيان، فتقدم الصفوف مع الطلبة الأفغان، وكان الليل معتمًا، وإذا بالزرقاوي إلى جانبي ولم يشعرني بذلك، وكنت أتحدث مع الطلبة الأفغان فنظرت حولي، فإذا هو يفصلني بطالب، ولم يخبرني أو يسلم علي، إنما كان كأي طالب آخر، لم أنتبه له إلا حين دققت النظر إليه".

كان أبو مصعب يحرص أن يكون له عمل خالص مع الله لا يعرفه فيه أحد. قاتل أبو مصعب في جرديز ومن قبل قاتل في خوست، وهما الجبهتان الأكثر دموية والأسخن بعد جلال أباد في تلك الفترة. قتل صاحبه أبو أحمد عزام طارق صبحي في تلك المعارك قربه وكذلك جرح الشهيد أبو أحمد التبوكي (صالح) والذي استشهد في العراق أثناء الغزو الأمريكي. تأخرت بزواجي عن المجاهدين عشرين يومًا حيث فاتتني بعض المعارك الحاسمة

ثم انطلقت إلى جرديز وهناك على مشارف مواقع المجاهدين، التقيت بأبي مصعب وكان قد عصب رأسه بعمامة سوداء ولبس لباسًا أسودَ، كان أشعثَ أغبرَ، تعانقنا عناق الإخوة، وتوجهت بعد ذلك إلى مركز المجاهدين فوجدت صاحبي ربعيًّا الجزائري قد استشهد وسمى المجاهدون مركزهم الجديد باسمه.

جبل الأفاعي

قال أبو قدامة: في العشر الأواخر من رمضان عام ١٤١١هـ، توجهت إلى مقدمات المجاهدين في جرديز، رأيت الشهيد أبا مصعب الشمراني يترصد في موقعه الجبلي، توجهت إلى جسر الشهداء وكانت الرماية قوية كان المجاهدون في ذلك الجسر قلة، ويتخطفهم الموت من كل جانب، قصفت طائرات العدو موقع المجاهدين فهدم الكهف على من فيه وكانوا قريبًا أربعين مجاهدًا خرج أحدهم بعد ستٍّ وثلاثين ساعة. عند جسر الشهداء أصيب أبو حفص الشهيد جمال أبو هيبة، كانت مواقع الشيوعيين مستعصية على المجاهدين، ثم بعدها توجهت إلى جبل الأفاعي حيث هناك ثلة من أحبتي المجاهدين معتكفين كالأسود في براثنها عليه، أما دفاعات وخطوط التماس مع الشيوعيين تلك التي تربض عليه دبابات الشيوعيين الثلاثة عشر، كان على الجبل من تلك الثلة المباركة الشهيد أبو عبادة السوري والمجاهد القائد أبو مصعب الزرقاوي وأبو القسام خالد العاروري وأبو البراء الأيوبي أسامة سمار وشقيق أبي الحارث الحياري أبو عبد الله وبعض المجاهدين. كان المجاهدون يعبدون الله كثيرًا ويذكرونه، ويذكِّرون بعضهم البعض بأذكار الصباح والمساء ويحرصون عليها، وسمي موقعهم بجبل الأفاعي لكثرة ما تسكنه من أفاعٍ

وهوام، كانوا على يقين أنها لا تصيبهم ما داموا قد ذكروا الله بيقين، فقذائف الشيوعيين تمطرهم بقذائفها والأفاعي تعيش بينهم بقذائفها، لكنها لم تؤذ المجاهدين. كان الشيوعيون يقذفون المجاهدين بحمم من الصواعق والبراكين الصاروخية، ويرد المجاهدون عليهم أحياناً والأفاعي بقذائفها كانت تعيش بينهم كذلك. ولقد كانوا يقطعون رباطهم بتلاوة القرآن والتفقه بأحاديث رسول الله ﷺ وحفظ أبو مصعب البقرة وآل عمران والنساء وغيرها من السور الطوال تحت أزيز الرصاص ودوي القنابل والمدافع.

أثناء رباط أبي مصعب في المقدمة، علم بهجوم المجاهدين على الأحزمة الأمنية المواجهة للمجاهدين، وكان متحمسًا للدخول للعملية، وأخذ يرجو صديقه القائد أبا الحارث أن يجعله يتقدم مع المجاهدين، وكان قد ترك موقعه لبعض أصحابه، ولكن أبا الحارث كان قد فصل في أمر المشاركين في المعركة، وكان ضنينًا على الإخوة في المعارك، فكان يدخرهم للأيام القادمة وللشدائد والطوارئ. فحزن أبو مصعب حزنًا شديدًا ثم ذهب لنائبه الشهيد أبي معاذ الخوستي، وكان يرجوه أن يسمح له بالدخول في المعركة، فاتصل أبو معاذ مع أبي الحارث، فقال له: "أنت لك مكان آخر"، وكان أبو الحارث معروفًا بحزمه وشدته فزاد حزنه وكان أبو معاذ يحبه. ولقد دفعه حبه للشهادة أن لا يترك معركة تفوته أو يسمع بجبهة حامية إلا طرقها يبتغي الموت مظانه. ثم بدأت المعركة وكانت عملية التفافية على العدو بهجوم كامل قد بدأ قبل الفجر وأثناء هرولة بعض المجاهدين قرب دبابة المجاهدين -ولم أكن أرى في معارك المجاهدين إلا دبابة ونادرا دبابتين -زلقت رجل أحد المجاهدين فأصابتهما الدبابة فصاح أحد المجاهدين أبا الحسن التبوكي من هول المنظر، فرجعت الدبابة وقد أصابت من أبي سالم الإماراتي مصابًا وهشمت رجليه، وقد كان أبو سالم

ضابطًا في الجيش الإماراتي، ولكن لا يغني الحذر من القدر فسبق القدر الحذر. أخذ صاحبه لقمان الفلسطيني مراسل مجلة الجهاد يعالج أبا سالم الإماراتي وكانت مع لقمان دورة طبية لمدة أسبوعين أخذها في كلينك المجاهدين مع أبي القسام، وأثناء معالجة لقمان لأخيه أبي سالم أمام الشيوعيين اخترقت طلقة رجل لقمان الفلسطيني لتصيب الجريح أبا سالم في قلبه مقتلاً، فقام الأمير بإرسال أبي مصعب على هيئة التعزية للمشاركة ونقل الجريح، فتقدموا وكانوا أمام العدو وبينهم وبين المجاهدين حقل ألغام في منطقة مكشوفة للعدو فغامر أبو مصعب وإخوته المجاهدون، وعندما نقلوا لقمان والإماراتي قال لقمان لأبي مصعب: غلبتك، فقال له: "بسيطة لا شيء، بسيطة لا شيء". كانت هذه المقولة له في المعركة فما هو الشيء يا ترى بغير المعركة! وحمل صاحبه الجريح ثم بعد تورياته عن منطقة العدو قاموا بوضعه على النقالة.

طلبه للعلم في بيشاور

قال أبو قدامة: عاش الزرقاوي هذه الظروف وصقلته أحداثها وكان على علاقات بأولئك المجاهدين ثم كانت له علاقات أخرى بأحد طلبة ابن باز: أبي أحمد العجمي. وكان صاحب علم وقد طردته السلطات السعودية وكان يعطي دروسًا في الحديث والفقه والدين فتعلم منه أبو مصعب العلم. وكانت له علاقة وصحبة قوية كذلك بأحد طلبة العلم، أبي الوليد الفلسطيني وهو صديق قديم للمقدسي، إضافة إلى طلبه العلم عند علماء باكستانيين استفاد من علمهم كثيرًا في بنائه الداخلي، واستطاع أن يشق طريقه من خلال تجربته العلمية في ساحة بيشاور، التي كانت أشبه ما تكون بمنتديات فكرية

وساحات حوار، استفاد من مساجلاتها الفكرية وخصوماتها الدعوية وتياراتها الفكرية. وكان جهاد الأفغان يمثل منارة لأبي مصعب سار على إثرها، وكان يقول: "إن الله نصر الأفغان فهل هم بشر ونحن لسنا ببشر وسينصرنا الله كما نصرهم إن سرنا بنفس الطريق".

ممن صحبه من القادة

قال أبو قدامة: رافق أبو مصعب بعض قادة المجاهدين الأفغان والعرب كالقائد جلال الدين حقاني والقائد المجاهد أبي الحارث الحياري حيث كان يتنقل معهم كثيرًا ويأتي بمواد تموينية لجبهة القائد أبي الحارث، فقد كان أبو مصعب يسكن بمدينة ميرانشاه الحدودية ولقربه من أفغانستان ومعرفته بالمنطقة كان يذهب كثيرًا ويأتي لهم بما يحتاجون لمعسكرهم في بعض الأحيان.

أحب حقاني الزرقاوي، وأسكنه في بيت قربه وكان يتكون من عدة مرافق، به إحدى العجائز الأفغانيات وأم لأحد الشهداء اسمها صادقة، أوصى جلال أهالي المجاهدين من المهاجرين الأفغان في ميرانشاه أن يعتنى بأبي مصعب وأهله حيث سكن الزرقاوي بينهم وقاموا بتركيب سخان كهربائي في بيت أبي مصعب الزرقاوي بأمر من جلال الدين حقاني، كان حقاني يستبشر عندما يرى أبا مصعب، وكان يقول عنه إنه يرى في وجهه سيما الصلاح. وكان اجتماعيًا مع الأفغان يواسي مصابهم ويضمد جراحهم، فازدادوا له حبًا ولم يكن يسكن معهم أحد من العرب غير أبي مصعب. كان أبو مصعب يتردد على بيته أثناء مرابطته في جرديز ليطمئن على أهله بين الحين والآخر، كذلك كان يقوم بتزويد مركز أبي الحارث بالمواد التموينية، وفي مواسم الأعياد والمناسبات يذهب هو وأبو القسام مع مجموعة من المجاهدين ويأتون بالأضاحي.

فصل فيمن صحبه من الشهداء

أبو أحمد الأنصاري

قال أبو قدامة: صاحب أبو مصعب بعض المجاهدين ممن لهم دراية بالسلاح والألغام مثل الشهيد أبي أحمد الأنصاري وهو إيراني من أهل السنة، تعرف عليه واستفاد منه.

أبو أحمد

عزام بن طارق بن صبحي بن محمود

قال أبو قدامة: كان أبو مصعب قد عمق علاقته بمجاهدين استشهد منهم كثير. فكان منهم الشهيد أبو أحمد وكان صديقه ورفيقه وابن حيه في الزرقاء، وقد قال طارق قبل استشهاده: "لو كان هناك طريق لعزة الإسلام والمسلمين غير طريق الدماء والأشلاء والشهداء لدلنا عليه رسول الله ﷺ، ولكن هذا هو الطريق الوحيد لعزة الإسلام والمسلمين، ولا بد من الجهاد، والجهاد لا بد له من تضحيات ودماء وأشلاء وأرواح تزهق في سبيل الله".

أبو البراء المقدسي

قال أبو قدامة: أثناء وجود أبي مصعب في المقدمة مع صاحبه أبي البراء المقدسي عزام بن جرار، وأثناء إطلاق إحدى القذائف أصيب أبو البراء في بطنه إصابة قاتلة وأتى به صاحبه أبو مصعب إلى المؤخرة، وفي الطريق التقيت بهم في سيارة الإسعاف، وحينما رأيت أبا البراء ظننته جريحًا فلم أرد أن أكلمه ثم أصابع رجليه مربوطة فدققت النظر

فكان شهيدًا ولم تخطر ببالي شهادته، سألت أبا مصعب مستغربًا، فقال لي: "استشهد"، ثم رجع هو والشهيد إلى الخطوط الخلفية بمركز خليل شقيق جلال الدين حقاني، ودفن هناك في مقبرة الشهداء، كان الشهيد أبو البراء صاحبًا لأبي مصعب أحبه وتأثر به.

أبو العباس الحائلي

مازن بن مرزوق بن آل مازن الحربي

قال أبو قدامة: أما الشهيد أبو العباس الحائلي من الجزيرة العربية، فقد كان يعيش مع أبي مصعب في نفس الموقع وقد عرفه أبو مصعب صامتًا تاليًا للقرآن، قائمًا لليل وصائمًا النهار خدوما لإخوته، ولشدة جمال نفسه، تراه صامتًا مبتسمًا، وتشعر حين تنظر إليه أنه من أهل الآخرة ينتظر الشهادة، وتأثر أبو مصعب بأبي العباس الحائلي. وقد كتب في وصيته فقال: "إلى أبي الحبيب الذي تمنيت أن أجلس معه ولا أفارقه وأكون له خادما فعندما تأتيك وصيتي، فأوصيك أن لا تبكي علي، وأن تفتخر أن ابنك خرج إلى ساحات البطولة مصنع الرجال. واعلم أن الأجل لا يتأخر ولا يتقدم، والسعيد من اختار موته في سبيل الله وقد تمناها رسول الله ﷺ واعلم يا أبي أن ابنك لم يكن عاقا لكنه استجاب لنداء الإسلام وتاجر مع الله تجارة رابحة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}، فافرح أن ابنك تاجر مع الله ولا تنظر لفراقي في هذه الدنيا، وأكون لك شفيعا بإذن الله ولوالدتي يوم القيامة، وتجدني في الآخرة عند الحي القيوم، وأرجو منك يا أبي ألا تخرج دمعة على فراقي، وأوصي أهلي ألا يبكوا علي، واعلم أن الجهاد عزة والموت شهادة، وأوصي أخواتي أن يكنّ كالخنساء وأم عمارة وأن

يربين أبناءهن على حب الجهاد".

أبو حفص اللبناني، جمال بن محمود

قال أبو قدامة: كان مصاحبًا للشهيد أبي حفص الشهيد اللبناني، أبي هيبة فقد كان يداعبه كثيرًا ويضحك معه. أصيب أبو حفص الشهيد في مقدمة جرديز في موقع الجسر (جسر الشهداء)، مكان التقاء المجاهدين في انطلاقتهم لفتح جرديز، كان يربض في عرينه، ولقد كنت في ذاك الموقع مع المجاهدين، وكانت القذائف تسقط تترى. أصيب أبو حفص الشهيد إصابة بالغة في بطنه ويده، استشهد على إثرها في بيشاور بعد أسبوعين من بقائه في المستشفى.

أبو الشهيد القطري

محمد شاهين فهد الكواري

قال أبو قدامة: كان مع أبي مصعب الشهيد أبو الشهيد القطري، ذلك العابد الذاكر لله المتبتل صاحب الخلق والأدب. وقد كتب أبو الشهيد في وصيته: إن هذا الدين شجرة لا تروى إلا بالدماء، وأن هذا الدين غال جدًا لا بد من الدفاع عنه، والله إن النفس تهون والدم يهون في سبيل الله. يا أهلي.. يا أحبتي تمسكوا بتقوى الله ومحبة الحبيب الغالي سيد ولد آدم محمد ﷺ، واصبروا على التمسك بشرع الله والعمل به. وأما أنت أيتها الحبيبة الغالية–أمي– وجدت أفضل طريقة لمكافأتك وأرد لك الجميل بقول

الرسول ﷺ: "يشفع الشهيد في سبعين من أهله"، أما أنتم يا أصدقائي فاستيقظوا من النوم والغفلة وانظروا حولكم وأنتم يطيب لكم الضحك والتبسم، إن عملاء الخنازير والقردة خدروكم وأشغلوكم في أمور وأشياء هي من الدين ولكن ليس الدين كله. يا ناس أفيقوا واستيقظوا من سباتكم. وأوصي كل ما أملك على هذه الأرض أن ينفق في سبيل الله للمجاهدين.

أبو روضة

قال أبو قدامة: كان أبو مصعب صاحبًا للقائد السوري أبي روضة -رحمه الله- وقد كان يحبه وعندما أخبرته بشهادة أبي روضة وكان قد جاء من إسلام أباد بكى حزنا على فراقه، وكان أبو روضة رجلاً صاحب تقوى وجهاد، تجمع حوله كثير من المجاهدين العرب، وقد استشهد وهو يتلو القرآن وكان يتمنى أن يستشهد بعد أن يتم حفظ القرآن وحقق الله مناه، وكنت أرى أبا روضة يراجع حفظه للقرآن في بيت الشهداء، أبو مصعب أحب أبا روضة وسمى ابنته روضة.

أبو صديق، خالد بن علي بن الجبلي

قال أبو قدامة: وكان للمجاهدين اليمنيين دور كبير في الجهاد الأفغاني مع إخوتهم المجاهدين وكان أبو مصعب يحب المجاهدين اليمنيين ويذهب إلى بيوتهم وقد دعاهم في حفلة زواجي واستشهد منهم في فتح خوست الشهيد أبو صديق.

أبو محمود

خليل بن محمود بن بشير القريوتي

قال أبو قدامة: كان أبو مصعب صاحبًا للشهيد أبي محمود الملقب عماد الدين وابن مسجده، أثر أبو محمود بأبي مصعب حين كان أول من مضى للجهاد من مسجده فكان يتذكره كثيرًا وبعد أن التقوا معًا في باكستان زادت علاقة أبي مصعب بأبي محمود وكان يحبه كثيرًا. كان أبو محمود يدرب الطاجيك في أفغانستان فتعرض لكمين هناك نصبه له قطاع الطرق في أفغانستان.

أبو مسلم التونسي، بحري بن لسعد

وقال أبو قدامة: وأما الشهيد أبو مسلم التونسي فقد كان معه في المقدمات وكتب في وصيته فقال: "أمي، أبي، أوصيكم بالصبر والتقوى وذكر الله كثيرًا. وإذا شاء الله واتخذني شهيدًا لا تبكوا عليّ بل كبروا وهللوا لأن الشهيد يشفع لسبعين من أهله. إخوتي: انفضوا أيديكم مما علق بها من أرجاس الدنيا وأقبلوا على ربكم واقتدوا بهدي محمد ﷺ، ولا تغرنكم الحياة الدنيا فإن الآخرة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واعلموا أن الغنى غنى النفس والمعمر من عمر أخراه فهذه الدنيا لا تساوي جناح بعوضة، ولا تركنوا إلى الدنيا واعلموا أننا خلقنا لنعبد الله لا لنلهو. أمي أشهد الله أني أحبك أكثر من نفسي أنت ووالدي الكريم، اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كبيرا فاغفر لي مغفرة من عندك، وإلى اللقاء في جنات عدن".

أبو مصعب الشمراني

قال أبو قدامة: كان أبو مصعب صاحبًا للشهيد البطل أبي مصعب الشمراني صاحب الشخصية الفولاذية والعزم الحديدي، وقد قتل الشمراني طيارًا قبل أن يستشهد، وكان يؤم المجاهدين بصوته الجميل، يرتل فتشد السامع قراءته ولقد عرفته الجبهات في جلال أباد وخوست وجرديز عابدًا وزاهدًا ومجاهدًا، جنديًا وأميرًا، وقد رأيته في مقدمة جرديز في عرينه على أحد التلال فتذكرت بجسمه النحيل الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود. كان أبو مصعب الزرقاوي يسمع لأخيه أبي مصعب الشمراني وكان يحبه ويحترمه وتشده نفس أخيه السامية إليه.

أبو معاذ الخوستي، قدري الفلسطيني

قال أبو قدامة: كان أبو معاذ الخوستي صاحبًا لأبي مصعب وصديقا عزيزا له.

المعتصم بالله التونسي، حمادي بن عبد الله الزواغي

قال أبو قدامة: قد قال حمادي في وصيته: "أوصي كل إخوتي المجاهدين بالثبات على الطريق والتمسك أكثر بكتاب الله وسنة رسوله والدعاء لي بالقبول والرحمة وأوصي أهلي بالصبر عند الصدمة الأولى، والدعاء لي بالقبول، وأن تسامحوني على تقصيري والاتصال بكم والسؤال عن أحوالكم. وإلى الأخ الأمير أبي الحارث كل التقدير والاحترام لما يبذله من خدمات للجهاد".

خطاب

سامر بن صالح بن عبد الله السويلم

قال أبو قدامة: عرف أبو مصعب القائد خطابًا، وكان يود الذهاب إليه في الشيشان لكن عوائق السفر حالت دون ذلك.

عبد الرؤوف الجزائري، سليم بن محمد

قال أبو قدامة: كان أبو مصعب يعرف الشهيد عبد الرؤوف الجزائري فقد كان معه في المقدمة، كان الشهيد سليم يردد معاتبًا بعض إخوته المجاهدين حين يلهون. فيقول: دعوكم من هؤلاء الذين لا يعرفون سوى النشيد وعيشوا عبادة الجهاد، وعيشوا في ظلال القرآن أفضل لكم من النشيد، وعندكم نشيد (الدوشك) و(الزيكويك) فهو أفضل نشيد، وهو نشيد العزة الذي يعيد مجد الأمة من جديد، بعدما أضاعه طواغيت العرب من الحكام المتآمرين على دين الله. ويروي لقمان الفلسطيني أحداث شهادة عبد الرؤوف فيقول: جاءنا الأمر بعدم التقدم أكثر من ذلك، وانتظرنا حتى جاءنا الأمر ليلة ١٣ رمضان وتحركنا لاجتياز نهر خوست الساعة الثانية صباحا، وسرنا ثم تجمع المجاهدون في مكان لعبور النهر، وتحركنا وكنا أول مجموعة دخلت النهر، وبعد أن قطعنا ثلث النهر، جرف النهر أحد الإخوة، وكنا خمسة من العرب واثنين من الإخوة الأفغان، وكانا يسيران أمامنا والنهر قويٌّ، ثم تابعنا سيرنا ونحن نذكر الله، فجرف النهر ثلاثة إخوة منا وكنا مستمسكين ببعضنا فوقعوا داخل حفرة في النهر، ثم جرفنا النهر جميعًا وكانت هناك حفرة عميقة تصل إلى مترين فجرفنا النهر قرابة أربعمائة متر إلى جهة الشط بفضل الله عزو جل ولم نجد سبيلاً للخروج حتى السباحة، وكنا في حالة رجف شديد وسلمنا الروح لبارئها، وإذا بقدر الله يؤخر لنا الشهادة وجرف النهر عبد الرؤوف، ولم ندر أين ذهب،

ومر أسبوعان ونحن لا نعرف عنه شيئا. وقال لنا الأفغان: إنهم وجدوا جثة ووصفوا لنا هيئته، ودلونا على قبره، فعزم بعض إخوتنا نبش قبره، وبينما نحن نتشاور لحفر القبر، إذ بإعصار شديد يقترب منا ولولا فضل الله لحملنا نحن والسيارة، فعلمنا أن هذا أمر الله وكرامة لأخينا حتى لا تتم عملية فتح القبر على شهيدنا، وكان هذا يوم الجمعة ١٣ رمضان ١٤١٠هـ ودفن في مدينة خوست قرب المطار.

درر القلائد

في سيرة الزرقاوي القائد

باب الشام



مؤسسة صرح الخلافة

عودته لبلاد الشام

سأل أبو اليمان: كان رجوعكم طلباً لنقل تجربة الجهاد الأفغاني إلى أرض الشام، ولكن ما هو تقييمك للتجربة التي خضتموها في الأردن؟

فأجاب الزرقاوي: لما رجعنا إلى الأردن كانت عندنا نوعٌ من الحماسة الزائدة، وهذا واضح، وكنا نشكو كذلك من قلة الخبرة وضعف التجربة إذ لم نكن قد خضنا تجربة كافية.

وسأله: هل لكون التجربة كانت عسكرية بحتة أو ماذا؟

فأجابه: أجل -نوعاً ما- كانت التجربة عسكرية، ويطغى عليها احتراف فنون القتال ولم يكن هناك ثمة تأكيد على الجوانب التنظيمية أو على ما يجب مراعاته من بناء شرعي، فكنا نريد أن نقيم الجهاد بما أمكن وقد نكون تعجلنا في بعض المسائل، وكان هناك بعض الثغرات الأمنية بسبب ضعف خبرتنا التنظيمية وقصور تجربتنا الجهادية آنذاك، وهذا الذي أذكره خاص بتجربتي التي خضتها مع بعض الإخوة الذين قرّروا نقل التجربة إلى الأردن، فلم تكن ثلاث سنوات في أفغانستان لتكفي.

قال أبو قدامة: عاد أبو مصعب إلى الأردن في نهاية عام ١٤١٣هـ. سجن أياما معدودة ثم أفرج عنه، وقد سألته الأجهزة الأمنية، ماذا كنت تفعل في أفغانستان، فقال لهم: كنت مجاهدًا!! قالها بعزة نفس ولم يوارِ. طلبت منه الأجهزة الأمنية، ومن أبي القسام خالد العاروري مراجعتها مرات عديدة، فلم يقوما بالمراجعة، وكنت قد سبقتهما إلى الأردن بعدة أشهر. عودته إلى الأردن كانت مفاجأة لإخوته، فقد كان يعتبر هجرته إلى

أفغانستان لا رجعة عنها. وتعجب منه إخوته حين رجع، فقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به، كانت ملامح التغيير بادية عليه، حيث لاحظوا عليه أنه اكتسب حصيلة علمية وثقافية ولغوية كبيرة في الفقه والحديث والأصول والفهم العام لشمولية الإسلام.

وقال أبو قدامة: حينما قدم للأردن في العام ١٤١٣هـ اعتقلته الأجهزة الأمنية من المطار وقامت بوضع الأغلال في يديه وعصبت عينيه، فذكرها لأحد إخوته وقال له: "عندما وضعت في يديّ السلاسل وعصبت عيني تذكرت سيد قطب وما عاناه من بلاء، فاستصغرت نفسي، وقلت: ماذا أنا أمام سيد قطب وما لاقاه من بلاء وامتحان".

رجوعه للحق

قال أبو قدامة: كان الزرقاوي قبل ذهابه للجهاد يحضر الدروس العامة لـ(لإسلاميين)، ومحاضراتهم تلك التي تصب في التوجه الجهادي، وحشد الناس لانتفاضة فلسطين، وفي أول انتخابات نيابية ساهم في الحملة الدعائية للمرشحين الإسلاميين حيث كان في بداية التزامه، وكان قريبًا من (الإسلاميين) فقام بتعليق اليافطات الدعائية في انتخابات ١٤١٠هـ. لم تكن في تلك الأثناء معالمه الفكرية والدعوية قد تحددت وتبلورت بعد. لكنه حين نفر للجهاد من نفس العام، وتفقه في الدين، تغير فكره، وتبلورت ملامح شخصيته الفكرية، فأصبح أكثر نضوجًا وبصيرة وفهمًا، وحينما رجع بعد ثلاث سنوات ونصف، كان يرى خطورة تلك المجالس النيابية وحرمة الدخول فيها.

بعد أن نزل أبو مصعب إلى الأردن في عام ١٤١٣هـ، كان يجري في تلك الفترة الإعداد لانتخابات المجالس النيابية، فقام الزرقاوي بعد صلاة الجمعة بمسجد الفلاح

وخطب في الناس وبين لهم ضرر الديمقراطية، وحثهم على عدم التصويت للانتخابات، ثم حث (الإسلاميين) على ترك ميدان المجالس النيابية والعودة إلى محاضنهم الأولى في المساجد للتربية والدعوة والبعد عن مزالق السياسة فهي ليست موطنهم ولا محضنهم.

طلبه للزرق

قال أبو قدامة: قام أبو مصعب بفتح مكتبة وتسجيلات إسلامية مع أحد أصدقائه، وكان يوزع أشرطة الشيخ عبد الله عزام وأشرطة للشيخ عمر عبد الرحمن (أمير الجماعة الإسلامية في مصر). كانت مكتبة أبي مصعب في الزرقاء بحي النزهة، كان يحب القراءة كثيرًا ويقضي وقتًا كثيرًا بالمطالعة، ويترزق من تلك المكتبة ثم بعد أن سجن قام ببيع المكتبة.

وقال: ويقوم بمساعدة إخوته بشكل عام ويقسم المال بينه وبينهم، يشاطرهم لقمة العيش، وقد قام هو وأبو القسام بفتح محل خضار في الزرقاء، ثم قام بفتح مكتبة وتسجيلات في حي النزهة كذلك، واشتغل كذلك بالدهان و(الطراشة) إضافة إلى تجارته بالعسل، كان إخوته يسندون ظهورهم به.

وقال: لم يكن الزرقاوي عالة على أحد، وقد حاول عدة مرات القيام بأعمال للترزق منها فقام مع أبي القسام بفتح محل خضار، وكان ذلك في حي النصارى قرب مسجد عثمان بن عفان في الزرقاء، كان الموقع جيدًا، ولكنه لم يكن مناسبًا لهما، لم يطق البقاء في المحل فتركاه بعد مدة وجيزة، وذلك لكثرة ما رأوا من معاصٍ في تلك المواقع، كان الشارع عبارة عن معرض أزياء وأجسام.

فصل في دعوته

قال أبو قدامة: حين استقر بهم الحال في الأردن، كانت لهم خطوات عملية باتجاه دعوة التوحيد والجهاد، حيث كانوا قد بدؤوا بالدعوة وقطعوا مشوارًا في هذا الاتجاه، بدأ الزرقاوي يتفرغ لزيارة أصحابه ومعارفه، وكان يهدف من ذلك العمل للإسلام والدعوة بطريقتهم تلك (توحيد وجهاد). انطلق بداية يدعو من يعرف من الشباب، وخاصة بعض إخوته الذين كانوا معه في أفغانستان، وذاقوا طعم الجهاد بقتالهم لأعداء الإسلام، لكنه لم يجد آذانًا صاغية للعمل، ورجالاً مستعدين للتضحية والانطلاق، فأصبح يهتم كثيرًا بتحريض الناس عامة، وبمن يثق بهم خاصة. ثم بدأ يجمع الشباب مع أبي القسام خالد العاروري، حيث التقيا بأبي محمد المقدسي في الأردن، وكان قد تعرف على المقدسي أثناء وجوده في باكستان، عن طريق أبي الوليد الفلسطيني، كذلك تعرفت على المقدسي عند أبي الوليد. تعرفت على المقدسي في باكستان ولم أره من قبل، فقد كان يأتي لباكستان ويذهب بين الفينة والأخرى.

التقى الزرقاوي والمقدسي في الأردن مجددًا، وأصبح هناك تواصل بينهما، ثم ذهب أبو مصعب مع أبي القسام وبعض أصحابه إلى المقدسي، وكان الزرقاوي وأبو القسام يودّان أن يجمعا حولهم أنصارًا من طلبة العلم ومجاهدين، فقالوا لأبي محمد: نريد أن نعلم الناس التوحيد ثم بدؤوا دعوتهم جميعًا. غدا الزرقاوي يريد أن يقدم شيئًا للدين ويقول: "أنا مستعد أن أكون خادمًا للعاملين للإسلام".

كان أبو مصعب معتزًا بالله تعالى ويقول تحقيقًا لا تعليقًا: "الله لن يخذلنا و سينصرنا

ولو كنا قلة، ولو التجأ المسلمون للجبال وصار بينهم وبين أعداء الإسلام صدام في ديار الإسلام، وتوكلوا على الله حق توكله وأخلصوا لله والله لتقاتل معهم ملائكة الجبال، لقد كنا في أفغانستان، والأفغان بشر نصروا الله فنصرهم، فهل هم بشر ونحن لسنا بشرًا، نحن أهل القرآن وأهل الإسلام". وحين ذكر لي أحد إخوته هذه الكلمة قال: "والله إن هذه الكلمة هزتني الآن!" لقد كان يحرض على قتال أعداء الإسلام من اليهود. ثم تبايع هو وأبو القسام وبعض الشباب على الموت في سبيل الله، ونشر عقيدة التوحيد بين الناس حسب فهم السلف.

كان أبو مصعب يقوم بجولات كثيرة لاستقطاب الشباب، ويحدثهم عن الجهاد وضرورة فهم الإسلام على أنه عقيدة وسيف ويقول: "لا بد من الذود عن حياض وأعراض المسلمين، ولا بد من التضحية حتى نحقق أهدافنا". ويقوم بإحياء هذه الفكرة في نفوس أصحابه ومن يعرفهم، طلب أبو مصعب من المقدسي، أن يعطي دروسًا عامة في التوحيد والعقيدة والأصول، وافق المقدسي، وكانت دعوتهم في تلك الدروس ارتجالية ويهدفون من خلال تلك الدروس انتقاء الشباب واستقطابهم للأهداف التي يعملون لأجلها. أعطى المقدسي دروسًا في الزرقاء وكانت قليلة ومعدودة، ولم تكن أعداد الشباب تتجاوز عشرة أشخاص في كل جلسة، جلساتهم تلك كانت عادية، وليست تنظيمية، لم يستقطبوا شبابًا كثرًا في مرحلتهم التمهيدية تلك. كانت جلساتهم في بعض الأحيان معروفة، قام المقدسي بإلقاء خطبة أو خطبتين في مسجد العليمي بالزرقاء، بعد أن قدمه رجل كان يميل للجهاد والمجاهدين، وقد توفي فيما بعد -رحمه الله-. دروس المقدسي كان يحضرها شباب من اتجاهات ومشارب شتى. كانت الأجهزة الأمنية ترسل لأبي مصعب

وأبي القسام أن يراجعوها بين الحين والآخر في الوقت الذي كان نشاطهما يتزايد في مضمار الدعوة والجهاد. ثم كان ثمة خطوات عملية بالاتجاه الآخر (الجهاد)، حيث تحمس بعضهم لقتال اليهود في فلسطين، ولم يكن الزرقاوي من المتحمسين للتنفيذ في ذلك الوقت، قاموا بخطوات تعزز خطهم الجهادي المترافق مع خطهم الدعوي. وبدؤوا يفكرون باقتناء السلاح لتزكية جهودهم الدعوية. كان الزرقاوي يردد: "من يَذُقْ طعم الجهاد لا يتركه". في تلك الفترة كان الزرقاوي يعيش حياته لله تعالى بيقين وثقة عظيمة بوعد الله تحقيقًا وليس تعليقًا ويقول محرضًا: "إن الله أنزل القرآن وهو الذي ينصرنا، انظروا للمجاهدين الأفغان كانوا قلة فنصرهم الله تعالى، إن الإخلاص يأتي بالعجائب".

وقال أبو قدامة: نشاط أبي مصعب يصب باتجاه طبع الأوراق وتصوير النشرات وتوزيع كتاب ملة إبراهيم. اعتاد الزرقاوي نصيحة إخوانه بقراءة كتاب ملة إبراهيم للمقدسي. ويقوم بتوزيعه كثيرًا مع كتاب كشف شبهات مرجئة العصر للمقدسي كذلك.

قال أبو قدامة: كان الزرقاوي مع أبي القسام يأكلون (كنافة القاضي)، فقام أحد الزبائن المتخلفين في الطابق العلوي بسب الدين وتمادى في الشتم، لم يتمالك الزرقاوي نفسه حين سمع شتم الدين فقام عليه وضربه، ثم بعد أن أثر في ضربه، خاف الرجل وقفز عن السدة ثم هرب، شكر الناس لأبي مصعب صنيعه. لا يزال الفتية الصغار في حارة الزرقاوي يذكرون لأبي مصعب ذلك الموقف الذي به ضرب شاتم الدين.

وقال: دعوته تأخذ عليه وقته، حتى قام بدعوة أحد النصارى، وبقي معه يدعوه

ويكلمه مرات كثيرة حتى من الله عليه بالإسلام فأسلم، ثم أمن له مكان يختبئ فيه من الكنيسة، وقام بتعاهده بين الفينة والأخرى. كان عنده سعة علم فيقول: قال الله تعالى ثم قال الرسول ثم يأتي بالدليل والأحكام، وليس مجرد رأي وقد كان يحاول مع غيره بالدعوة مرات كثيرة ومرات وأغلب حديثه عن المجاهدين، ويبحث في أمور الشباب وأحوالهم وكان له علاقة قوية مع الشباب.

وقال: كذلك كان يدعو كثيرًا من الناس، ويهتم كثيرًا بغير الملتزمين منهم، ويحثهم كثيرًا على الصلاة والعبادة ويحاورهم ويتابعهم، يكثر الذهاب لما فيه مصلحة إخوته وما فيه خير للمسلمين، وقد هدى الله على يديه أناسًا كثيرًا في خارج السجن وداخله. وذات مرة دعا أحد الناس للإسلام وبقي يدعوه حتى هداه الله ثم ساهم في زواجه وأثاثه، وكان يتفقده بعد زواجه ويعينه على نوائب الدهر ويساعده في مصاريفه.

قال أبو المنتصر: في صيف ١٤١٤هـ، حضر لزيارتي سليمان حمزة، وهو من الأشخاص الذين كانوا معنا في جماعة الدعوة والجهاد، ومعه أيضا شريف عبد الفتاح جمعة، وهو أيضًا كان في نفس الجماعة. أخبراني أن أخًا قدم من أفغانستان يرغب بزيارتي ولقائي والتعرف علي لما سمعه من الإخوة عني، رحبت بذلك. حضرا في اليوم التالي وبرفقتهما أحمد فضيل نزال الخلايلة (أبو مصعب) وخالد مصطفى العاروري (أبو القسام). تجاذبنا أطراف الحديث ساعة من الزمن، ثم استأذن أبو مصعب فاستأذنت معه البقية، وفي أثناء التوديع أسرّ لي بأنه سيعود في الغد إن شاء الله.

حضر أبو مصعب مساء اليوم التالي وبرفقته خالد العاروري (أبو القسام)، تحدثنا

حول بعض التجارب والأحداث السابقة، وغالباً ما كان أبو مصعب هو المتحدث، ويستشهد فيما يقول بأبي القسام الذي كان يوافق أبا مصعب على ما يقوله إما بالإيماء بالرأس أو مع الهمس بنعم أو بعض الكلمات التي ينطق بها تأييداً، وأحيانًا قليلة يسهب بالحديث مستشهدًا بموقف أو موقفين لتأكيد ما يتكلم به أبو مصعب، وبعد أخذ وعطاء وانسجام في الحديث قطع أبو مصعب الكلام بقوله، موجهاً الحديث لي: "أخي حضرت لطرفك اليوم مع أبي القسام لنعرض عليك أن نلتقي سوياً من أجل دعوة التوحيد، وأنت تعلم أن الساحة خالية من هذا المنهج وهي بأمس الحاجة إليه، وأننا نتمنى عليك العمل سوياً من أجل دين الله وكلمة التوحيد".

أجبت: أنه لمن دواعي سروري أن ألتقي معك من أجل دين الله في الأرض لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

أبو مصعب: إذن فنحن معك وهناك الكثير من الإخوة الذين يحبون أن يلتقوا معنا على طاعة الله، وإن شاء الله تسير الأمور على ما يرام، وستكون طبيعة دعوتنا مختلفة عن الآخرين، وسوف نركز على دعوة التوحيد، وهناك أخ صاحب علم سأعرفك عليه وله كتابات في التوحيد وهو يود أن يلتقي معنا في الدعوة.

أجبت قائلاً: من هو هذا الأخ؟

أبو مصعب: هو أبو محمد المقدسي (عصام محمد طاهر البرقاوي).

فما أن سمعت باسم المذكور حتى بادرت قائلاً: لقد تعرفت عليه من خلال كتيب

صغير له كنا نوزعه أيام العمل مع أبي همام اسمه (ملة إبراهيم).

أبو مصعب: نعم هو صاحب كتيب ملة إبراهيم.

كان أبو مصعب متحمساً ومتعجلاً بشدة، فقلت له: يا أخي أحمد الساحة هنا ليست الساحة في أفغانستان، وهي تختلف اختلافاً كلياً عن هناك، وبالتأكيد طريقة الدعوة ستختلف أيضًا. ومن خلال تجربتي السابقة في قضية جيش محمد فإن الأمر يحتاج إلى فهم عميق ودقيق ودراسة موسعة للوضع هنا، وكذلك الصبر والتأني وقدرة فائقة على انتقاء الإخوة، مخافة السقوط في الشرك (المصيدة).

أبو مصعب: إن شاء الله كل شيء محسوب حسابه وسوف نستخير إن شاء الله. ما رأيك يا أبا القسام؟

أبو القسام: نحن إن شاء الله جاهزون، والذي يقوله لك الأخ أبو مصعب هو الصحيح.

كان أبو القسام شديد الارتباط بأحمد فضيل، لا يخالفه في رأي مهما كانت نتائجه.

قلت: يا أبا مصعب هل من الممكن تحديد أهداف العمل والأطر التي يمكن السير بها.

أبو مصعب: أهم الأهداف التي نسعى إليها نشر دعوة التوحيد. ثم أردف أبو مصعب قائلاً: لدينا مجموعة من الرسائل الشرعية الخاصة بدعوتنا، ويجب علينا أن ننشط في هذه الدعوة للحيلولة دون مشاركة الناس في الانتخابات النيابية القادمة، خاصة أن الحركة

الإسلامية (الإخوان المسلمين) ينتهجون الخط السياسي المشارك في هذه الانتخابات الكفرية، وإن شاء الله نرد كيدهم في نحورهم.

قلت: هل تذكر لي بعض هذه الرسائل.

أبو مصعب: هناك كتيب ملة إبراهيم، بالإضافة لشريط تسجيل ورسالة مطبوعة في حرمة الانتخابات الديمقراطية لأبي طلال القاسمي، وهو أحد أعضاء الحركة الإسلامية في الجزائر، علاوة على دروس في التوحيد تقوم أنت والأخ أبو محمد المقدسي بإعطائها للإخوة.

قلت: أبا مصعب هل هناك شيء آخر؟

أبو مصعب: نعم وقام بطرح بعض الآراء والأفكار، إلا أنني تحفظت عليها وقلت له: نحن في بداية الطريق وتلزمنا الأناة ويلزمنا الصبر حتى يتم لنا التمكين وإن شاء الله بعد ذلك لكل حادث حديث.

أبو مصعب: إن شاء الله نأخذ بالأسباب ونتوكل على الله.

أبو القسام: لا تخف، إن شاء الله الأمر مثل ما قال أبو مصعب نأخذ بالأسباب ونتوكل على الله.

قلت: وكنت أريد أن أختبر شخصية الاثنين معاً يا إخوة الأمر ليس كما تظنون فمن يقع في قبضة المخابرات الأردنية وخبرهم ليس كمن لا يعرف عنهم سوى الكلام الذي يسمعه من الآخرين، وكما قيل ليس المخبر كالمعاين، ويجب أن نكون على جانب

عظيم من الحذر والحرص، فمن وقع في أيديهم فلن يخلصه منهم إلا الله عز وجل.

أبو مصعب: يا أخي الأمر بسيط إن شاء الله وهم أهون عند الله من الذر.

أبو القسام: نعم والله إنهم كما قال أبو مصعب أهون عند الله من الذر.

أبو مصعب: يا أخي هل أنت مستعد أن تلتقي معنا على ذلك.

قلت: نعم وبالله التوفيق.

أبو مصعب: مدّ يدك لنبايعك أميرا فأنت إن شاء الله أهل لذلك.

أبو القسام: نعم مدّ يدك على بركة الله.

قلت: مهلاً يا إخوة وإن كانت الإمارة سنة واجبة إلا أنني لا رغبة لديَّ في هذا الأمر اجعلوا لها غيري.

أبو مصعب: لا بل أنت إن شاء الله الأمير.

أبو القسام: نعم، أنت الأمير.

قلت: لا والله لا أبتغيها، ورجائي أن تكفوني هذا الأمر، واقتراحي أن لا تكون هناك مسميات من هذا النوع لأن الأمر لا يحتمل ذلك، ولا يوجد لدينا شيء حتى الآن، وإلا فليكن أبو مصعب مبدئياً هو الأمير. إلا أن أبا مصعب أصر على مسألة الإمارة، فاتفقنا على أن نذهب في اليوم التالي إلى أبي محمد المقدسي.

في صبيحة اليوم التالي حضر أبو مصعب وأبو القسام واصطحباني إلى منزل أبي محمد

المقدسي الكائن في حي الرشيد في الرصيفة. شرح أبو مصعب ما دار بيننا في اليوم السابق ثم قال: نحن الآن معاً ونود أن نبين أمر الأمير، فانتهى الأمر على الاتفاق بأن يكون عصام البرقاوي (أبو محمد المقدسي) أميرًا للجناح الدعوي، وأبو مصعب أميرًا للجماعة، على أن نكون أنا وأبو القسام حسب رأيهم من أهل الشورى والحل والعقد للجماعة. في هذه الجلسة تمت إعادة توزيع أدوار العمل الدعوي من جديد وإرساء حجر الأساس لما سنستقبله في الأيام القادمة، وكانت أبرز خطوة تم الاتفاق عليها هي الإسراع في طباعة ونشر كافة الرسائل الشرعية التي تتحدث عن تحريم الديمقراطية والانتخابات النيابية والبرلمانية، وذلك لتغطية استحقاقات الفترة الانتخابية القادمة ١٤١٣هـ بعد أشهر قليلة، وتمت مضاعفة الجهود الفردية وبالتالي الجماعية بنشاط ملحوظ في سبيل بيان الحكم الشرعي الخاص بعملية الحكم بغير ما أنزل الله لعامة الناس ومحاربة كل من يفتي بخلاف ذلك.

فصل في اعتقاله

قال أبو المنتصر: بعد عدة أيام من ذلك اللقاء، زارني أحمد فضيل (أبو مصعب) وخالد العاروري (أبو القسام) ومعهما كيس من الخيش، فقال أبو مصعب: أخي أحضرت في هذا الكيس بضع قنابل يدوية هي للأخ أبي محمد المقدسي، أحضرها معه من الكويت بعد دخول صدام حسين إليها، قام بتهريبها في الشاحنة التي نقلت أثاثه، وهو يخفيها منذ ذلك الوقت في بيته، وقد أعطاني إياها لأتدبر أمرها في مكان آمن. أدهشني هذا الأمر غير المتوقع وبهذه السرعة والكيفية معاً، كان موقفي منها موقفاً حازماً، وبعد نقاش في المسألة رجع أبو مصعب عن الأمر، وأخذ الكيس وانطلق هو وأبو القسام.

استمر العمل الدعوي للتوحيد أياما وشهوراً دون تحديد هيكلية واضحة المعالم للجماعة، أو حتى تحديد اسم لها، وكان ممن التقى معنا على هذا الفكر الكثير من الشباب الذين كانوا معنا في جماعة الدعوة والجهاد. كنت أحب فيه إخلاصه في عمله ولهفته وشوقه، لكن في نفس الوقت أخشى من كل هذه الأمور، فأخبرته أن العملية على الساحة الأردنية تكاد تكون معدومة، وكنت أكثر ما أخافه عليه سهولة الاختراق من المخابرات. جاءني يوما ليعلمني بمسألة دروس أبي محمد المقدسي في أماكن مجتمعة، كان أبو محمد يعطي درساً في العقيدة الواسطية في منزل نافز فايز، فذهبت لأرى، هالني ما رأيت، كان المقدسي وحوله ما يزيد على خمسة عشر شخصاً، فما أن رأيت ما رأيت حتى خرجت من حيث دخلت، ولم أجلس ولم يعجبني الحال ولا بعض الأشخاص.

ونتيجة لخروجي من ذلك المجلس بتلك الطريقة، وقيام بعض المفسدين بالإيقاع بيني وبين أبي مصعب، انقطعت العلاقة بيننا ما يقرب من شهرين أو يزيد، وفجأة عاد أبو مصعب إليّ، أحسنت استقباله، وبعد أن هدأ واطمأن أخبرني بأنه مطارد هو ومجموعة من الإخوة منهم أبو القسام والمقدسي وعبد الهادي وسليمان حمزة، أصبحوا مطاردين من المخابرات ولم يعد يجد ملاذاً آمناً أكثر من بيتي، رحبت به وكنت مستعداً أن أتناسى ما حدث وأقف إلى جانبهم.

كان برفقة أبي مصعب نصري عز الدين الطحاينة، سألت أبا مصعب عن مدى ثقته به، فأشار لي بأنه من الإخوة الثقات الذين تضعهم على يمينك، قلت: ولكنني أخشى من عدم قدرته على التحمل عند المخابرات، فأشار أنه على العكس من ذلك، وبقوا مختبئين في منزلي ما يزيد على أربعة أشهر.

في أواخر رمضان ١٤١٤هـ، ذهبت في رحلة عمرة مع صديقين لي، حصلت مشاجرة بينهما وبين أحد ضباط المخابرات، مما أدى إلى اعتقالنا على الحدود أثناء عودتنا من العمرة، وتم احتجازنا في دائرة المخابرات العامة العبدلي في عمان. في المساء استدعيت من قبل أحد المحققين وأخبرني بأنني موقوف بسبب مشكلة الإخوة مع رجل المخابرات في العمرة وعلى الحدود، فأخبرته بأن الأمر لم يتعد كونه مشاجرة بين شخصين، بعد ذلك سألني المحقق عن أحمد فضيل الخلايلة، كما سألني عن عصام طاهر البرقاوي، فأنكرت معرفتي بهما. استمر التحقيق معي بهذا الشأن مدة ١٢ يوماً، في اليوم الخامس من الاعتقال، زارني مندوب الصليب الأحمر، فأرسلت معه رسالة إلى زوجتي وأهلي

أعلمهم بأنني معتقل في دائرة المخابرات العامة. حين علم الإخوة أبو مصعب وأبو محمد والجميع بالنبأ تركوا البيت وغادروه إلى أماكن أخرى آمنة. في منتصف شوال، بعد الساعة الثامنة ليلاً، استدعاني المحقق وأخذ إفادتي الأخيرة، وأبلغني أنه سيفرج عني صباح اليوم التالي، عدت إلى زنزانتي مسروراً بموعد خروجي. كانت زنزانتي قبالة بوابة السجن الرئيسة، تتيح لي رؤية الداخل والخارج، فوجئت برؤية أحمد فضيل (أبي مصعب) محمولاً في أحضان رجل ضخم من حرس المخابرات، وحوله مجموعة من الرجال، كان نصري الطحاينة مع أبي مصعب، وهذا ما لم يكن بالحسبان فانقلبت الحسابات، فبعدما كنت أتمنى الخروج، صرت أتمنى أن يثبت أبو مصعب ونصري، ولا يذكرا شيئاً عني لحين أخرج من المخابرات. وما هي إلا دقائق لم تزد عن ثلث ساعة حتى حدثت الصاعقة الكبرى، جاءني أحد الحرس ممن يتولون التعذيب في الساحة، يركض تجاه الزنزانة يسأل عني، ثم جذبني من يدي وسار بي إلى ساحة التعذيب، وعلى باب الساحة وجدت نصري الطحاينة واقفًا ويبدو أنه ضُرب بعض الشيء، إلا أن آثار الضرب غير واضحة عليه، فَسُئل: أهو هذا؟ فقال: نعم. فالتف الجميع حولي، ثم أدخلوني إلى ساحة التعذيب، والله أعلم بما جرى. بعد ذلك وضعوا القيد في يدي وتمت تغطية عيوني ثم أخذوني إلى بيتي للتأكد من وجود المقدسي فيه، وعندما لم يجدوا أحدا أعادوني إلى المخابرات العامة. وتم وضعنا أنا وأحمد فضيل وأبي القسام في زنازين انفرادية في مبنى آخر تحت الأرض، ومنعنا من النوم ١٥ يوماً بلياليها، كانوا يريدون مني أن أعترف عن المتفجرات التي كانت بحوزة الإخوة، فأخبرتهم بأنني ضد هذه الأمور، وحين عرضت عليَّ رفضتها. اقتنعوا بعد ذلك بحقيقة الأمر، وقد اعتقل أبو محمد المقدسي بعد عدة أيام، وفيما بعد علمت أن اعتقال أبي

مصعب تم عن طريق شخص مقرب منه استأجر له شقة في عمان، سكنها هو ونصري، أما بالنسبة لاعتقال أبي محمد المقدسي، فقد تم بعد أن اعتُقِلَ إخوته، فسلم نفسه لأجل الإفراج عنهم.

قال أبو قدامة: كان يتحرق عبد الهادي دغلس للقيام بعملية في فلسطين، انتدب نفسه للقيام بتلك العملية، لكن محاولاته لم تكن موفقة، اكتشف أمر السلاح في بداية أمرهم، عن طريق فخ نصبه لهم أحد معارفه بعد إعطائه السلاح فسجن على إثرها، كانت النهاية أن دخل السجن مع مجموعة الزرقاوي والمقدسي وأبي القسام وغيرهم، ولم يكونوا من قبل تنظيمًا قد تحددت ملامحه بعد، إنما وقع خطأ في بداية العمل. عاش دغلس حياة السجن مع الزرقاوي ثم بعد السجن توجه إلى أفغانستان والتقى بالزرقاوي، واستشهد أخيرًا في العراق. لم يكن المقدسي يعرف بأمر العملية والسلاح، وكان إخوته يعرفون أنه لا يوافقهم على ذلك، وعندما أطلعوه تأثر، وخشي من الاعتقال أوانكشاف الأمر. قام أبو مصعب بإخبار المقدسي وتطمينه أن السلاح موجه ضد اليهود، وليس ضد الأردن.

قال أبو قدامة: أرسلت الأجهزة الأمنية للزرقاوي مراجعتها عدة مرات بعد عودته من الأردن، لم يأبه لمراجعتهم أو الرد عليهم، وقد كنت حينها في الأردن ببيت أبي مصعب، و معنا خالد العاروري أبو القسام، وقلت له: لماذا لا تراجع الأجهزة الأمنية، لا تحاول أن تأزم الأمور بينك وبينهم، فالتفت أبو مصعب إلى أبي القسام ولم يجيباني وفضلا الصمت. في تلك الفترة كان قد اكتشف أمر العملية بعد اعتقال الشهيد عبد

الهادي وضبط السلاح، فقامت المطاردات والتي استمرت شهورًا طويلة حيث اكتشفت مجموعتهم في بداياتها، كان الزرقاوي يتنقل خلالها حاملاً سلاحه أينما حل وحيثما ذهب، ولم يَنَمْ في بيته، بسبب المتابعة المستمرة له، كان يتفنن في تغيير ملابسه والتخفي ولبس النظارات وقد كان جميلًا في مظهره ولباسه وخلقه. كان ينوي المواجهة فآثرت الجهات الأمنية التريث في التعامل معه إلى أن قام أحد معارفه القدماء، وكان الزرقاوي قد أحسن إليه وساعده من قبل، فقام بإعطاء أبي مصعب مفتاح شقة في عمان حتى يبعده عن الأنظار ثم قام بتسليمه وهو نائم، فاعتقل أبو مصعب وهو نائم مع صاحبه نصري طحاينة المسجون حاليًا ثم اعتقل بعده بأيام أبو القسام واعتقل شقيقي أبو أحمد مهند كذلك على إثرهما ثلاثة شهور، وكان صديقا لأبي مصعب.

قال الزرقاوي: كنت سأفعل المستحيل لئلا أذهب إليهم، وكنت سأقاوم إن هم قرروا اقتيادي، وعندما عرفت أنني قد استدعيت، اشتريت رشاشًا، ودفعت ثمنه ٨٠٠ دينار، لقد فعلت ذلك لهدف المقاومة إن جاءت الشرطة إلى منزل كان لديّ ثلاثة مخازن لذلك السلاح وخمس وثلاثون رصاصة.

قلت: هذه الإفادة نقلها محمد أبو رُمَّان وحسن أبو هنيَّة في مصنف لهما، ولا يعلم عن مدى صحتها.

فصل في سجنه

قال أبو المنتصر: وأذكر أيضًا أننا وأثناء التعذيب جاء موعد زيارة الصليب الأحمر لسجن المخابرات فقاموا بإخفائنا عن عيون الصليب الأحمر فوق عمارة من عمارات دائرة المخابرات العامة من صبيحة ذلك اليوم وحتى نهاية الدوام عصراً، ثم قاموا بإعادتنا إلى زنازيننا وإتمام مشوار التعذيب، وكنا مجموعة مكوَّنة مني وأبي مصعب وأبي القسام وبقية الإخوة. بعد ذلك تم ترحيلنا من سجن المخابرات العامة في المبنى القديم في العبدلي إلى سجن المخابرات العامة في المبنى الحديث في (الجندويل بيادر) وادي السير. واستمر اعتقالنا إلى ربيع الأول ١٤١٥هـ، كنا خلال هذه الفترة نسمع أصوات بعضنا البعض بالتكبير وبإطلاق بعض العبارات مثل الله مولانا ولا مولى لكم، وكان الكل يطلق مثل هذه العبارات: أبو محمد وأبو مصعب وأنا وعبد الهادي والجميع كما كنا نراقب بعضنا البعض عند الخروج إلى ساحة التشميس. وبقي الأمر على ما هو عليه إلى نهاية الشهر تقريباً حيث أُفرِجَ عن الجميع ولم يبق إلا أربعة عشر رأت دائرة المخابرات العامة تقديمهم إلى المدعى العام ومن ثم ترحيلهم إلى السجون وتقديمهم للمحاكمة وهم: المتهم الأول عصام محمد طاهر محمد (أبو محمد المقدسي)، المتهم الثاني أحمد فضيل نزال (أبو مصعب)، المتهم الثالث مصطفى حسن موسى، خالد مصطفى العاروري (أبو القسام)، سليمان طالب أحمد حمزة (أبو المعتصم)، محمد وصفي عمر أبو خليل، نصري عز الدين محمد الطحاينة (أبو العز)، نبيل يوسف أحمد أبو حارثية (أبو مجاهد)، شريف إبراهيم عبد الفتاح جمعة، أحمد عبد الله يوسف الزيتاوي، محمد عبد الكريم أحمد الرواشدة، المتهم

محمد فخري موسى الصالح، علاء الدين عاطف، سعادات عبد الجواد، طلال كايد البدوي، وعبد المجيد المجالي (أبو قتيبة).

بعد فترة الاعتقال لدى المخابرات العامة، وشدة التعذيب التي تعرض لها بعض الإخوة أكسبتهم صلابة فيما بعد، واستعداداً أكيدًا للمواجهة، إلا أن سلبيات العمل قبل الاعتقال كانت درساً كبيراً فيما بعد. في اليوم الأخير من وجودنا داخل زنازين المخابرات، بعد أن مكث بعضُنا سبعة أشهر والبعضُ تسعة أشهر حسب تاريخ الاعتقال، نقلونا إلى سجن سواقة الذي يقع جنوب عمان بمسافة تزيد على ٨٠ كم. طلب أحد كبار ضباط السجن خلع ملابسنا قبل إدخالنا إلى غرفنا، نظرنا إلى بعضنا البعض، فما كان مني إلا أن قلت له: لا لن نخلع ملابسنا ولن يرى أحدٌ منكم عوراتنا، وتشجع الإخوة لقولي وآزروني في القول، وبالفعل رفضنا أن نخلع ملابسنا أو كشف عوراتنا، كنت أعلم أنهم يحاولون كسر شوكتنا، لذلك رفضنا؛ فلم إصرارهم على تفتيشنا، ونحن قادمون من أخطر المراكز الأمنية وأشدها على الإطلاق (دائرة المخابرات العامة)!. فما الذي يمكننا أن نخفيه في أجسادنا ونحن قادمون من هناك! وفي النهاية تم تفتيشنا من فوق الملابس. وأُدخلنا إلى السجن، ووضعنا بغرفة تتسع للمجموعة كاملة كان رقمها على ما أذكر ٢٠٤. ولم يكن بيننا أبو مصعب ولا المقدسي. كانت أولى الخطوات التي خطوناها في هذه الغرفة أن تداولنا فيما بيننا مسألة إمارة الجماعة، حيث من السنة وضع أمير لنا يقوم بمراعاة شؤوننا مع الإدارة، اقترح بعض الإخوة أن أكون أميرًا والبعض الآخر اقترح أبا قتيبة إلا أنه رفض ووقع الاختيار، أخيرًا على الأخ نبيل أبو حارثية (أبي مجاهد) كونه أمضى في السجن سنين في قضية جيش محمد، ووقع الاختيار علي كناطق رسمي

باسم الجماعة أقوم بمخاطبة إدارة السجن في جميع شؤونهم مع الأمير أو بدونه، وهكذا بدأت رحلة شاقة وصعبة استطعنا خلالها أن نفرض واقعاً جديداً داخل السجن وفرضنا هيبتنا على إدارة السجن وعساكره بتضحيات جسام. في هذه الأثناء، كنا نتتبع أخبار بقية الإخوة الموزعين على سجون مختلفة، حتى شعبان من عام ١٤١٥هـ، حيث بدأت المرحلة الثانية للجماعة والفكر، حين وصل أبو مصعب إلى سجن سواقة ومعه شخص آخر من الإسلاميين اعتقل وحده في قضية حيازة متفجرات وإطلاق النار على رجل مخابرات، واسمه محمود خريوش (أبو عبيدة) ووضعتهما إدارة السجن في مهجع بعيد عنا، إلا أنهما جلسا عندنا بقية ذلك اليوم، وفي اليوم التالي عاد إلينا أبو مصعب دون أبي عبيدة بسبب منعه من قبل إدارة السجن، وبعد نضال مرير اجتمع الشمل مجددا، خاصة بعد قدوم أبي محمد المقدسي. لكن مع تفاقم المشاكل مع إدارة السجن، جرى بعد شهر من تجمعنا توزيعنا على سجون الأردن من جديد: أنا وأبو محمد المقدسي ومصطفى حسن ونبيل أبو حارثية ومحمد صالح موسى نقلنا إلى سجن معان وأبو مصعب ومجموعة إلى سجن قفقفا، ومجموعة أخرى إلى بيرين والجويدة، وبدلاً من أن تكون مشكلتنا في سجن واحد فقد أصبحت في كل سجن من هذه السجون مشكلة لا يمكن أن تحل بالنسبة لهم، فالكل يجتهد حيث هو بدعوته، وبعد أربعة أشهر من التفريق في السجون تمت إعادتنا إلى سجن سواقة في شهر ذي القعدة سنة ١٤١٥هـ، وتم تخصيص مهجع لنا مع (الإسلاميين) بشكل عام في شبك واحد. وهنا بدأت مرحلة أخرى للجماعة والفكر.

كانت إدارة السجن تطلق علينا جماعة التكفير، حتى أن بعض الإخوة جاء يقول لي: "إن إدارة السجن تقول عنا: جماعة التكفير فبمَ نجيبهم"، فقلت لهم: قولوا لهم: نحن لسنا جماعة التكفير بل نحن جماعة التوحيد، ليس هذا فقط بل نحن جماعة التوحيد والجهاد، ومن هنا أصبحت التسمية لهذه الجماعة فيما بعد جماعة التوحيد والجهاد. كنا نحن وجماعة حزب التحرير في جناح واحد من السجن، يقابلنا في الجناح الآخر من بقي من جماعة الأفغان الأردنيين، لأن بعضهم قد انضوى تحت لوائنا مع بعض (الإسلاميين) الذين جاؤوا بقضايا منفردة، وجماعة جديدة وجدناها أمامنا هم جماعة التجديد الإسلامي. بدأت مسألة الإمارة تطفو على السطح من جديد، وتم تأمير عصام البرقاوي على الجماعة، إلا أن سياسته في التعامل مع الإدارة في قضايانا، لم تعجب الكثير من الإخوة ومنهم أنا وأحمد فضيل وعبد الله حشايكة، إلى أن آلت الإمارة إلى أحمد فضيل بعد عدة أشهر.

أثناء فترة السجن التي قضيناها، حدثت في فلسطين مجموعة من العمليات الاستشهادية التي كان ينفذها الجناح العسكري لحركة حماس، استفتى بعض الإخوة الموجودين داخل السجن وخارجه المقدسي حول شرعية تلك العمليات أو حرمتها، وقد كان رد المقدسي أن هذه العمليات محرمة لكونها انتحارًا، فوقفت في وجهه، ناقشته بالدليل الشرعي، وأرد عليه بشرعية هذه العمليات، إلا أنه رفض ما أقوله وناصره في ذلك أحمد فضيل أبو مصعب؛ لأنه يعتبر أبا محمد المقدسي شيخه، وأخرج أبو محمد فتوى بتحريم هذه العمليات. عند ذلك تصدى له الكثير من الداخل مثل المهندس عطا أبو الرشتة، الناطق الرسمي باسم حزب التحرير آنذاك وجماعة التجديد وآخرين. فأصبح

مختاراً بين فتواه بالتحريم أو الفتوى الشرعية فأخرج فتوى جديدة مفادها (لعم) نعم بصيغة لعم ليست بلا وليست بنعم. عند ذلك قمت بتفنيد فتواه ضمن رسالة شرعية حبرتها بالدليل الشرعي ومبيناً شرعية هذه العمليات، وأشرت فيها أن صاحب هذه العملية خير شهيد بعد رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله، فهو سيد الشهداء ثم يأتي من بعده صاحب العملية الاستشهادية والله أعلم. نشرت تلك الفتوى داخل السجن وخارجه رداً على ما وقع من المقدسي.

بعد أسبوع من إعلان البراءة جاءت اللحظة الحاسمة التي كنت أنتظرها منذ أربعة أعوام، فبعد أربع سنوات من السجن جاء الحكم بالبراءة فأية عدالة كاذبة هذه؟! وأين ثمن هذه الأربع سنوات. وصل كتاب الإفراج وطلبت إدارة السجن مني ومن نصري الطحاينة الاستعداد للعودة من حيث أتينا، فخرج معنا أبو مصعب ليودعنا وقال لي: لننس ما فات ولنرجع كما كنا في الأيام القادمة معاً إن شاء الله، فقلت إن شاء الله.

بعد سنتين من الإفراج عني توفي الملك الحسين بن طلال وخرج بقية الإخوة من السجن بعفو عام أصدره الملك عبد الله الثاني بن الحسين، ولما خرج أبو مصعب زارني في البيت وطلب مني أن نفتح صفحة جديدة ونعود للعمل معاً وربما السفر إلى أفغانستان، فرحبت به ضيفاً لكنني رفضت أن أعود للعمل معه وخرج أبو مصعب من عندي ولم يعد مرة أخرى وكان ذلك آخر العهد بيننا.

قال فؤاد بن حسين: توجهت منذ اليوم الأول إلى غرفتهم، كان يجلس في صدرها أبو محمد المقدسي، والزرقاوي. بعد إلقاء التحية عليهما قدمت نفسي لهما قائلاً: "أنا

صحافي متابع للقضايا السياسية، ولا أنتمي لأي من الجماعات الإسلامية، لكن لدي الرغبة في التعرف على تفاصيل قضيتكم التي تابعتها عبر وسائل الإعلام، فهل أنتم على استعداد لتحدثوني عنها بالتفصيل، وأعدكم بنشر روايتكم بوسائل الإعلام". رحبوا في أجمل ترحيب، ووضع الزرقاوي أمامي كوبًا من الشاي، مما أثلج صدري، وأشعرني بالراحة والطمأنينة، ودامت الجلسة أكثر من ساعتين. كان النقاش خلالها محصورا مع المقدسي حول التطورات السياسية بالمنطقة، ولم يتدخل الزرقاوي بالنقاش إلا مرة واحدة، حين سألني عن المعاملة التي لقيتها أثناء فترة التحقيق قبل ترحيلي إلى سجن سواقة، بعد أن استمع أبو مصعب إلى إجابتي، حدثني بما جرى معه خلال اعتقاله بزنزانة انفرادية على مدى ثمانية أشهر ونصف. وقال: إنه فقد أظافر قدميه نتيجة التقرحات التي أصابتهما جراء التعذيب الشديد. أدركت حينها أنه إذا ما تسنى للزرقاوي الخروج من السجن فسيغادر الأردن فورًا، بلا عودة!

بعد أسبوع من وصولي إلى سجن سواقة، وضعت إدارة السجن الزرقاوي في زنزانة انفرادية، عقوبة له على تلاسنه مع أحد الحراس، لمحاولة كسر شوكته بين مجموعته، كونه أميرهم،حاول المقدسي ورفاقه مفاوضة إدارة السجن لإعادته إليهم، لكن انقضى أسبوع من المماطلة والتسويف، فقررت مجموعة الزرقاوي العصيان داخل السجن، وطلبوا منا نحن المعتقلين السياسيين أن نتضامن معهم، ففعلنا، فتأزم الموقف وازدادت حدة التوتر بين الإدارة من جهة، وبقية كامل المعتقلين من جهة ثانية، ولما وصلت الأمور إلى حافة الصدام. اقترح المعتقلون السياسيون أن أفاوض باسم الجميع إدارة السجن لإعادة الزرقاوي، وافق المقدسي على المقترح، فأبلغت الضابط المناوب بضرورة التفاوض لإيجاد

مخرج للأزمة، قبل أن تتفاقم الأمور وتصل إلى ما لا يحمد عقباه، رافقني للتفاوض أبو المنتصر من مجموعة الزرقاوي، فالتقينا مع مدير السجن حينذاك إبراهيم خشاشنة، لكنه لم يبد مرونة، فتصاعد الموقف، وبلغ العصيان أوجه.

أغلق المعتقلون كاميرات المراقبة، خلعوا الأسرة الحديدية وصنعوا منها أدوات حادة استعدادًا للنزال، أغلقوا الأبواب الرئيسة للقسم مانعين رجال الأمن العام من الاقتراب للمكان، فعلم بالأمر مدير السجون أبو عصام، الذي وصل إلينا قرابة الفجر. تفاوضت معه نيابة عن المساجين لإخراج الزرقاوي من الزنزانة الانفرادية، فوافق على أن يتم التنفيذ في اليوم التالي، حفظا لماء وجه مدير السجن. وحين عاد الزرقاوي في اليوم التالي إلى الجناح السادس، عاد إلى إمارة مجموعته، وعاد المقدسي الذي تولى الإمارة أثناء غياب الزرقاوي إلى البحث والتأليف.

كان الزرقاوي داخل السجن إنسانًا بسيطًا، هادئًا، كثير الصمت، إذا كلمته يتكلم، وإذا لم تكلمه لا يتكلم، يقضي أوقات فراغه بحفظ القرآن وقراءة المصنفات في العلوم الشرعية، ويهتم كثيرًا بالصلاة وقيام الليل وكل ما له علاقة بزيادة الإيمان. وبعيدًا عن القراءة، كان الزرقاوي يهتم بممارسة التمارين الرياضية، إذ كان شديد الحرص على بنيته الجسدية، وفي فترات الصباح كان يقوم بزيارات للمعتقلين في قضايا (مدنية) أو (جنائية)، كان يسعى لتمتين علاقاته الشخصية معهم، ويدعوهم إلى العودة لله والتوبة من ذنوبهم وأن ينضموا معه. وبات معروفًا: أن المئات من أصحاب السوابق في مدينتي الزرقاء والسلط في الأردن، باتوا أكثر الشبان استقامة بدينهم، وكثيرون منهم قتلوا في معارك

جرت بأفغانستان والعراق.

كان الزرقاوي داخل السجن يتعامل بشخصيتين: الأولى: تلك التي يتعامل بها مع جماعته؛ كان لهم بمثابة الأب الحاني الكريم الودود اللطيف، يحرم نفسه من النقود القليلة التي هو بأمس الحاجة إليها، ويعطيها لأي من رفاقه يشعر أنه بحاجة إليها أكثر منه، يخلع ثيابه ويهديها لأي من رفاقه، إذا ما أحس أن أحدهم أبدى إعجابه بها. وفي ذات الوقت أوامره نافذة على مجموعته، ويصل الأمر أحيانا إلى إنزال العقاب على أي شخص من أعضاء مجموعته إذا ما خالف الأوامر أو خرج عن رأي الجماعة. الشخصية الأخرى للزرقاوي، تلك التي يتعامل بها مع الجهات الرسمية داخل السجن، فهو جدي في غاية الحزم، مهيب الجانب، يحصر التعامل معهم في أضيق الحدود الرسمية، لا يسمح لإدارة السجن أن تتعامل مع أحد من مجموعته إلا من خلاله.

قال أبو قدامة: عندما اعتقل أبو مصعب بقي في سجن المخابرات العامة قرابة ستة شهور، وقد حدثني ونحن في هراة عن تعذيبه الشديد وقلع أظافره، وقال لي: "والله إنني لا أتمنى السجن لعدوي!". كان تعذيبه متواصلاً دون انقطاع حتى ضعف وذهب جزء كبير من بنيته، وكانت عنده طاقة كبيرة، وشديد التحمل. كان قد سبقه بعض إخوته إلى سجن سواقة الصحراوي، وحين وصل كانت آثار التعذيب بادية عليه في مواضع القدم بعد تسعة أشهر وكان جلده متبدلاً، طال تعذيبه مواضع مختلفة من جسده، وعندما رآه بعض إخوته حزنوا عليه لضعف بنيته، وكذلك كان حال المقدسي وأبي القسام في التعذيب فقد أذهب التعذيب كثيرًا من بنية المقدسي، ولم يعرفه بعض إخوته

حتى عرفهم بنفسه فقاموا بحضنه وبكوا على حاله.

قال أبو عبيدة: بعض الإخوة صبروا على التعذيب، الشيخ أبو مصعب الزرقاوي كان صبر أيامًا وغيرهم من إخواننا في الأردن صبروا أيامًا.

قال أبو عبيدة: كان رجل الاستخبارات في الأردن يقول للشيخ أبي مصعب الزرقاوي -رحمة الله عليه- أن أبا محمد المقدسي صاحبك هذا فلسطيني جاء ليخرب البلد وأنت من أهل البلد فكيف تذهب معه وتسمع لكلامه، وغير ذلك من الكلام حتى يوقع بين أبي محمد وبينه.

قال أبو قدامة: عندما جاء أبو مصعب إلى السجن بقي في زنزانة انفرادية، فأراد إخوته ضمه إليهم. كانت هنالك أزمة بين إخوته والإدارة، وشعر أنه ربما تفتعل بسببه مشاكل فرفض الذهاب إليهم، وأصر عليه إخوته المجيء إليهم، حاولت إدارة السجن منع إخوته من أخذه، لكنهم تمسكوا بأخيهم، وفي النهاية قبلت الإدارة، ويسر الله أمره، جاؤوا به إليهم ثم تأزمت الأمور بينهم وبين الإدارة، فقامت إدارة السجن بتفريقهم على بعض سجون المملكة، وبعد فترة وجيزة كان هنالك قرارٌ بإعادتهم إلى سجن سواقة، بعدما تنقلوا بين سجن بيرين في الزرقاء، وسجن السلط، وسجن سواقة، وأخيرًا قبل خروجهم عزلوهم في سجن الجفر الصحراوي تسعة أشهر بعد أن أثّروا على كثيرٍ من السجناء عامة.

كانت تحصل بينهم وبين الإدارة مشاكل بين الفينة والأخرى، كان منها تضييق الزيارة

على المساجين، فقام اثنان من إخوتهم أبو البراء ونبيل حارثية بالاعتداء على اثنين من رجال الأمن، فقام رجال الأمن بضرب غاز مسيل للدموع، وتكرر ضرب الغاز المسيل للدموع مرات عديدة عليهم أثناء أزماتهم مع الإدارة، وتكون في النهاية استجابة إدارة السجن لمطالب السجناء.

حين أعادوا السجناء إلى سجن سواقة، قاموا بتفريقهم على غرف متعددة في المهجع الجنائي رقم (٦) وهو مختص بمحكمة أمن الدولة للسياسيين والمخدرات، وكانت بين تلك الغرف شباك لا يستطيع المرء التنقل بسهولة ويسر من خلال الغرف إلا بإذن، كان ثقيلاً عليهم أن يكونوا في غرف أصحاب المخدرات والجنايات، فأرادوا تجميع أنفسهم في موقع واحد واتفقوا الالتقاء في غرفة واحدة بوقت الزيارة، وقال بعضهم البعض: "توكلوا على الله وسيحفظنا الله".

كانت تجربة الشباب الموقوفين في السجن جديدة، لا يعلمون شيئًا، ولا يعرفون كيف يتعاملون مع الأمور والأحداث، ثم اتفقوا على تنصيب أحد إخوتهم أميرًا عليهم في السجن وهو أبو قتيبة المجالي الكركي، وكان مجاهدًا من قبل في أفغانستان وصاحبًا للشيخ عبد الله عزام، ثم انتقلت الإمارة لأبي المنتصر، وكان أستاذًا يجيد فن الخطابة لم يكن له ناقة ولا جمل مع إخوته، لكنه خبأ بعض إخوته في بيته، فاعتقل حين جاء من العمرة، وتعب من بداية الطريق، فاستقال وكان يشوش على إخوته في السجن فقرروا مقاطعته، ثم استلم الإمارة من بعده أبو مجاهد نبيل حارثية وكان مجاهدا لفترة في أفغانستان ثم استقال من الجهاد، وتغيرت نظرته للجهاد والمجاهدين، فلم تكن تعجبه منطلقات الشيخ

عبد الله عزام تجاه الجهاد ثم غلا بالحديث عن المجاهدين والشيخ عبد الله عزام. كان أبو مجاهد صاحب تجربة وخبرة في التعامل مع الأزمات في السجن ورجلاً صلبًا، ربما استفاد أبو مصعب منه حين رأى صلابته وشخصيته فتأثر بها. استمرت إمارة أبي مجاهد ثلاثة أشهر ثم انتقلت إلى المقدسي.

حينما جاء الزرقاوي إلى السجن، لم يكن المقدسي موجودًا، ثم لحقه بعد فترة وجيزة، تلقفه إخوته ولم يمكنوا الإدارة من تفتشه، كان إخوته يحفظون له قدره ويكرمونه فجعلوه أميرًا عليهم، يتكلم باسمهم ويخطب فيهم ويقوم بإعطائهم دروسًا تربوية وتعليمية. كان قد سبقهم سجناء سياسيون من حزب التحرير والأفغان الأردنيون الذين لم يذهب أي منهم إلى أفغانستان، إنما قاموا بتفجير سينما انتصارًا للدين حسب اعتقادهم. وفي أثناء مطاردة الأجهزة الأمنية للزرقاوي وإخوته، تم تفجير السينما، فتحدثت الصحف عن المطلوبين الهاربين الزرقاوي وإخوته، وألصقت التهمة بهم، فالتصق بأولئك الذين قاموا بالتفجير لفظ (الأفغان الأردنيين)، وبقي اللفظ لأداء رسالة ولفت الأنظار بأن هذا التفجير في دار السينما، من بواكير وثمار الجهاد الأفغاني، ولا يزال بعض الأفغان الأردنيين موجودين في السجن رغم انتهاء مدة محكوميتهم، مثلهم تمامًا كمثل جيش محمد، حيث لم يكن هناك جيش اسمه جيش محمد، ولكن أحد الدعاة الإسلاميين الثوريين الذين يطيشون على شبر ماء، ألقى في حرب الخليج خطبًا حماسية، وقال: "إن عنده عشرين ألفًا جاهزون لقتال الأمريكان في حرب الخليج، إذا سمحت لهم الدولة بذلك"، فكتبت الصحف عن ذلك الجيش المفترض نظريًا: (جيش محمد)، ثم ألصقت التهمة بجيش

محمد، ثم خرج المتهمون بعد أيام معدودات. ثم بعد فترة من سجن الزرقاوي ومجموعته أطلق على تنظيمهم بيعة الإمام. ثم سجن بعض المثقفين والسياسيين مثل ليث شبيلات والصحفي عبد الله أبي رمان والصحفي فؤاد حسين وكان بعضهم قد سجن على خلفية أحداث الخبز.

في إمارة أبي محمد المقدسي، قامت إدارة السجن بضرب مصطفى حسن أحد إخوة الزرقاوي وشبحوه، فحرك هذا العمل مشاعر وأشجان الزرقاوي وإخوته تجاه أخيهم، فتأثروا لما حصل لأخيهم المعذب والمشبوح، وكانت هذه الأزمة بداية ظهور شخصية الزرقاوي التي بدأت بين الإدارة ومجموعتهم، لم تتعدَّ فترة إمارة المقدسي شهرين حسب قول البعض، وربما كما قال بعضهم ثلاثة أسابيع. قام عبد الهادي دغلس وبعض المساجين الشيوخ، وقالوا: "يجب أن نأخذ بحق أخينا، وليكن ما يكون"، وتحدثوا مع أميرهم أبي محمد المقدسي، فكان موقفه عدم افتعال مشاكل مع الإدارة وقال: "إن الأمر عادي وعلينا أن نتحمل كسجناء هذا الوضع". لم يقبل إخوته هذا الطرح، واعتبروه انهزاميًا في سجنهم، وقاموا بمراجعته حتى أجبروه أخيرًا على الموافقة باعتبارها مصلحة جماعية عامة. ذهب الزرقاوي إلى الإدارة ليطالب بأخيه مصطفى، وتكلم معهم بشأن أخيه بحزم وجد، مما أدى إلى استجابتهم له ففكوا أخاهم المشبوح، حينما ذهب الزرقاوي للإدارة لم يكن المدير حينها موجودًا. وعندما جاء المدير لم يرض بما قامت به إدارته في غيبته، فقام بطلب الزرقاوي ومصطفى حسن فرفضت مجموعتهم تسليمهما، وكانوا في غرفة واحدة مع الأفغان الأردنيين. وأثناء رفضهم تسليم أبي مصعب ومصطفى، قامت الإدارة بإرسال قوى الأمن لاقتحام موقعهم وضربوا عليهم الغاز المسيل للدموع، وافتعلت

أزمات أخرى فقامت قوى الأمن بالرجوع بسرعة، كان إخوة أبي مصعب قد استعدوا للمواجهة ووضعوا الأسرة خلف الأبواب وأغلقوها في وجه رجال الأمن حتى يتقوا قنابل الغاز المتكررة، كان عبد الهادي دغلس يقول لهم: "نحن جئنا لنموت". ورأوا أن الله أكرمهم فلم يؤثر فيهم الغاز الذي ألقي عليهم بقوة، وكان موقعهم مغلقًا فذهب الغاز لوجهته وسلمهم الله من ضرره، وكان إخوة أبي مصعب يعتبرونها كرامة من الله في سجنهم، وتتابع الضغط عليهم وكانوا محاصرين فلم يلينوا وأصروا على المواجهة.

وأثناء حصارهم في تلك الأزمة نام الشباب جميعهم وبقي الزرقاوي وحده، فرأى أحد أصحابه في منامه: أن خالد بن الوليد ومجموعة من الصحابة يحملون سيوفهم قد جاؤوا لنجدتهم، وهم في حالة حرب حقيقية –بتصورهم– فقال له خالد –رضي الله عنه–: "لا تهتم! كفى الله المؤمنين القتال". استيقظ أخوه من نومه فرحًا، وقص رؤياه على الزرقاوي ففرح كثيرًا، وكان أبو مصعب يستأنس بالرؤى. فلم تلبث تلك الجموع الحاشدة دقائق حتى ذهبت من أمامهم، ثم بعثت الإدارة لأبي مصعب التفاوض معهم، وانتهت أزمتهم مع الإدارة، كانت طبيعة أبي مصعب لا تقبل التفاوض في المسائل الجوهرية، فالأمور عنده محسومة، وأصبح السجناء عمومًا يسمون مجموعة الزرقاوي جماعة التصعيد. كان أحد المثقفين مسجونًا في مهجع السياسيين فقال لي: إنه قال لليث شبيلات حين كانت أزمة السجناء مع الإدارة: "لماذا لا نقف في صف السجناء الشيوخ، فهم يدافعون عن السجناء عامة، وغدا سيأتي أحدهم ويذلنا جميعًا". فساهم ليث وغيره بالوقوف مع السجناء تجاه الأزمة التي حصلت، وكان قد تكلم شبيلات مع الملك حسين بشأن

خروج السياسيين المعتقلين الزرقاوي ومجموعته فقال له الملك: "لن يخرجوا من السجن فهؤلاء يكفرونني". لكن الله من عليهم بالخروج من السجن بعد وفاة الملك حسين.

خلال الشهور الثلاثة الأولى من السجن، كانت تعتريهم أزمات وعقبات وكانوا في حالة شدة وبلاء، اعتبروا سجنهم إقامة دائمة وحياة طويلة، وقد دفعهم هذا الوضع إلى التفكير بأسس ودوافع ينطلقون منها للتعامل مع إدارة السجن، فلم يشغلوا أنفسهم بأحلام العفو وآمال الرحيل والترقب والانتظار التي ترهق النفس وتحطم الآمال وكانوا ينتظرون الفرج من الله، عاشوا حياتهم في بلاء السجن بصبر ويقين. قاموا باتباع سياسة قوية أملتها عليهم طبيعة المرحلة وضرورتها، كان الذهاب والإياب لأخذ وجبات الطعام يشكل لهم كابوسًا مقلقًا، ووهمًا دائمًا لا يتوقف، كذلك عملية العد اليومي الدائم والمتكرر للسجناء، وقد يخطئ الضابط في عد السجناء، مما يؤدي تكرار إعادة إخراجهم مع السجناء جميعًا إلى الساحات للعد مثنى وثلاث ورباع، وكذلك كان التفتيش العاري للشباب من أشد ما يقلقهم، إضافة لصعوبة زيارة أهاليهم حيث كانوا يلاقون مصاعب جمة، حتى يصلوا إليهم. كان في مراجعة الزرقاوي وإخوته للعيادات تشديدٌ عليهم بخلاف غيرهم، ووضعهم مع أصحاب المخدرات والجنايات وغيرهم كذلك منعهم من الصلاة في مسجد السجن والحجر عليهم لئلا يختلطوا بأحد فيتأثر بهم.

خلال الشهور الثلاثة الأولى قام الزرقاوي والمقدسي ومجموعتهم بصناعة موقف أدى لتفاوض إدارة السجن معهم وقبول شروطهم، ولم يأخذوا قرارًا جماعيًا إلا بالاستشارة. بعد أن اجتمع الأصحاب في غرفة واحدة، بدأت تتحدد معالم شخصية أبي مصعب

حيث كان منعزلاً على نفسه ومتفرغًا للعبادة، يقوم بإتمام حفظه للقرآن، كانت صفات الرجل ربانية في عبادته ومنشغلًا بقراءته للقرآن والذكر واقترابه من الله، كان ذلك باديًا عليه من قبل إخوته وله تأثيرٌ كبير على إخوته وكان يجتهد عليهم بحفظ القرآن ويهتمُّ اهتمامًا شديدًا بالحكم الشرعي. ويتكفل بمراجعة لبعض إخوته حفظهم القرآن بل كان يسمع لبعضهم في اليوم عشرة أجزاء، كان إخوته يحبون إمامته و يصرون عليه أن يصلي بهم مع تجنبه لها، كان صوته نديًّا ولا يملك نفسه من البكاء في الصلاة لخشوعه ولا يملك أخ نفسه إلا ويبكي خلفه، فأصبح قويًا بإخوانه، ويعتبرهم رصيده ويردد دائمًا: "إخواني إخواني"، حتى تعلم إخوته هذا اللفظ منه وأصبحوا يرددونه. كان يضع قيمة كبيرة لإخوته في السجن، وله معهم مواقف كريمة وطيبة ويعامل الآخرين بالحسنى. فأصبح إخوته يقلدونه ويصنعون مثلما يصنع، فتأثروا بأفعاله واقتربت قلوبهم منه فزادت ثقتهم به وحبهم له. إن نسي فلا ينسى زاده في الطريق بعبادته وصلاته ويحافظ على قيام الليل ويقوم بإيقاظ إخوته لقيام الليل، وحين كان يصلي الليل يقوم بإطفاء الأنوار حتى لا يرى أحد بكاءه، ويحرص على ذلك. كان بعضهم يقوم الليل ويصلي ثلاث ساعات وزيادة، ويطلب من إخوته بعض الأحيان أن يوقظوه في الليل ليقومه، ويقوم وحده في أحايين كثيرة.

وقال: كان حنونًا وشفوقًا وصاحب مشاعر رقيقة وعاطفية، ذا نفسية مرحة يمزح حتى أنه يؤنس أصحابه، دقيقًا في مشاهداته وملاحظاته ومن كلماته التي يرددها دائمًا: "عرفت يا شيخ". يحاور خصومه بأدب وينهي خصومته بكلمات تحتمل الشدة واللين،

يحب أن يقنع الآخرين بأسلوبه، ويحاول أن يتخذ وسائل كثيرة، وحين يرى أخًا حزينًا أو أخطأ مع أحد، يذهب إليه ويقبل رأسه ويبكي أحيانًا، وربما يكون معه الحق. أحد إخوته انتصر لنفسه فذهب وكان يطعن به و بإخوته ويصفهم بألفاظ سوقية، وذلك لأنهم قاموا بقرار جماعي بعزله فلم يكن يلتزم بنظامهم، كان أبو مصعب يستوعب الناس ويقول: إذا باق بنا أحد نحن لا نبوق به. ثم ذهب إليه أبو مصعب ليطيب خاطره، وذلك حتى لا يظلم الأخ نفسه وينفر، ثم بعد خروجه من السجن زاره في بيت وطلب منه أن يعملا معا فرفض. وإذا كان معه أحد ثم تركه كان يقول: "الله أغير على دينه منا وإن كان به خير يلحقه الله بنا، نحن نتركه لله"، يردد أقوال الرسول ﷺ في غزوة تبوك حين تخلف عنه بعض أصحابه. كان يحرص على مقابلة السيئة الحسنة، ويتجنب الانتصار لنفسه ليعطي صورة جميلة عن الإسلام بتصرفاته.

وقال: أصبحت إمارة الرجل الحازم ضرورة ملحة تقتضيها طبيعة المرحلة في السجن، أراد إخوة السجن أن يعيدوا حساباتهم في إمارة أميرهم المقدسي بعد أن هيأهم المقدسي ودفعهم للتفكير بهذا الاتجاه. كانت شخصيته في السجن امتدادًا لذلك الأساس الذي تعلمه في الجهاد، حيث أهلته شخصيته القيادية وطبيعته لاستلام الإمارة. حينما اختاره إخوته للإمارة في تلك المرحلة كان مكبًا على عبادته، ومنشغلاً بنفسه عن الإمارة ومعرضًا عنها. رأى إخوته صفات الإمارة متوفرة فيه، بطبيعته القيادية وبعد أن رأوا شدته في بعض مواقفه الصلبة في تعامله مع الإدارة. كلفه إخوته بالإمارة، ولم يطلبها الزرقاوي، وحين جاءته سأل الله الثبات فثبته الله تعالى عليها وأعانه، كان يشفق على إخوته في تحمله لمسؤولية الإمارة، ولم تكن تلاحظ عليه شبهات ولا شوائب ولا نقص يشعر

الآخرين بالانتقاص منه. كان يتعامل مع الإدارة بمفاصلة تامة بينما يتعامل مع إخوته في رقة ولين ويسر. ولا يتحدث مع الشخصيات والمسؤولين بأسلوب الضعيف، إنما يتحدث معهم بأسلوب القوة المبني على العزة بالله مع التواضع.

في إمارته والتي استمرت حتى خروجه، كان يعتريهم شدة وبلاء، وكلما مرت بهم ظروفٌ صعبة كان يستخير الله، ولم يستخر الله في أمر من أمورهم إلا ويسر الله له أمره. وحينما اختلط أبو مصعب بغيره من المساجين زاد حبهم له وثقتهم به رغم قرب عهده بالسجن.

في إحدى زيارات زوجة المقدسي للسجن، جبذتها إحدى الشرطيات بأمر رجل أمن ربما لأجل خطأ قد ارتكب، فرأى المشهد أحد أصحاب الزرقاوي وأخبره بذلك، فقاموا برؤية ذاك المسؤول وتأزم الوضع بينهم فقاموا بضربه، باعتباره اعتداء عليهم، لم يرد الزرقاوي وإخوته إخبار المقدسي بما عزموا عليه بعد أن رأى بعينه ما رأى. وأدى بذلك إلى قيام أزمة بين السجناء ورجال الأمن، وفي نهاية الأمر وضع حد للتجاوزات من الطرفين، كان الشباب يريدون أن يجعلوا توازنا بينهم وبين الإدارة لجعل حالة عدم اعتداء. بدأ الزرقاوي في سجنه بالدعوة رغم صعوبة التنقل، وقام بعمل علاقات عامة في كل المهاجع، وكانت المهاجع جميعها يقطنها ألفان ومئتا سجين أو نزيل، قام مع إخوته بعمل مجلة حائطية ومجلة أخرى توزع أسبوعيًا في كل المهاجع، ينسخها بعض إخوته، وتشتمل على أسئلة وأجوبة في الفقه والأصول والعقيدة، وسميت تلك المجلة (مجلة التوحيد). كان له ولإخوته جهد مبارك في هداية كثير من المساجين، حتى أحبوه عامة، ومن كانت عنده

مظلمة من المساجين، يقال له اذهب إلى الشيوخ ليقوموا بإنصافك. قام الزرقاوي بعمل علاقات عامة مع كافة السجناء هو وإخوته، وحاول أن يجمع ويساعد الشباب في السجن، حيث كان يتحرك كثيرًا، ويدعو غيره إلى الصلاة والعبادة، وفي فترة زمنية قصيرة انقلب وضع المهاجع، فبعد أن كان يصلي بضعة نزلاء في المهجع الذي يقطنه أربعون نزيلاً، أصبح الذين لا يصلون بضعة نزلاء من مجموع النزلاء الأربعين، فهدى الله كثيرًا من نزلاء المهاجع بجهده مع إخوته. بدأ السجناء يعودون إلى الله، وأصبح الزرقاوي معروفًا لدى السجناء حتى عند أصحاب السوابق (الزعران والهمل) واهتدى على أيديهم كثير، ترى كثيرًا منهم مظاهرهم إسلامية، لكن الوشم على أنحاء أجسادهم.

كان نفسه ذا رقة وعطف، فإذا ما مرض أحد إخوته يقوم بخدمته ويبكي عليه ويسهر إلى وقت متأخر من الليل عليه، يبدو عليه صفاء النفس ويحب الصفاء. قال لي مرة حينما تذاكرنا السجن وبلاءه وأشجانه: "السجن صفاء".

قد أرسل لي ولأخته من سجنه رسائل ذكر فيها: أن الإمامة في الدين تنال بالصبر واليقين، لم يكن السجن عنده نهاية المطاف، بل كانت مرحلة في الطريق.

وقد كتب الزرقاوي في إحدى رسائله: إنكم تظنون أن التوحيد هو الصلاة والصوم والزكاة فقط وتقولون نحن نعبد الله؛ فأقول لكن العبادة ليست كما تفهمونها بهذا الفهم الضيق، بل هي أوسع وأشمل مما تظنون.

وقال أبو قدامة: حين كنت أذهب مع شقيقة الزرقاوي لزيارته، كان يقوم بشحننا وتثبيتنا وتبصيرنا، ونشعر حينذاك أننا المسجونون بحياتنا الطليقة وليس هو، ويذكر لنا

نعمة الله عليه في السجن، فيقول أقوالاً نستصغر أنفسنا أمامه، ويبين لنا أن السجين هو من حرم نعمة معرفة الله، وأن الأمر بيد الله يقضي ما يشاء، متى قضى أمرًا بالخروج جاء لا محالة، وما البشر إلا أدوات لتنفيذ قضاء الله، ولا يملكون من أمرهم شيئًا، يشعرنا أن الفرج قريب. وأذكر أني كلما زرته في السجن كان الصبر والرضى سجيته، ويذكر قائلاً: "هذا دين الله يا شيخ يحتاج إلى تضحية". كان متيقنًا أن سيخرج، وينتظر الفرج من الله، حتى يتوجه إلى أفغانستان.

وقال: لم ينسوا أنفسهم من الترفيه في محنتهم العامة التي تضمهم فيها جدران السجن، فقد كانت لهم برامج ثقافية ودورات شرعية وتدريب عسكري، يقومون بحركات قتالية ويصنعون أثقالا بدائية، حيث يقومون بتفريغ بلاستيك (المشروبات الغازية) ثم يقومون بتعبئتها ملحًا ويجمعونها في أكياسٍ لتصبح أثقالاً، وكذلك يقومون بتنظيم حفلات سمر ومسابقات، وعمل برامج دورية لتفعيل ثقافتهم الحياتية وتنويعها، عموما كانوا متميزين في السجن بطلبهم للعلم وحصيلتهم العلمية واسعة. لم تكن دروس المقدسي هي المصدر الوحيد لثقافتهم، فقد كانت دروسه مصدرًا ثانويًا، وأحد روافد الثقافة والمعرفة لديهم، كان اجتماعهم بالمقدسي ضرورة تمليها عليهم طبيعة تكوينهم وثقافتهم والتزامهم بالجماعة. لكنهم كانوا يعتمدون بشكل أساسي في بناء أنفسهم بالسجن على جهودهم الفردية المتواصلة في القراءة والبحث والمطالعة والغوص في أعماق أمهات الكتب. كان الزرقاوي وإخوته في السجن طلبة علم مجتهدين، يقوم أحدهم ببناء نفسه لوحده ثم يبني نفسه مع غيره، لم تكن هنالك إشكاليات لديهم في

قواعد الفهم والتصـــور، فكثير منهم حصـــيلته العلمية قوية في اللغة والفقه والحديث والأصـــول، وعند حصـــول إشـــكاليات عند البعض لا يعدم أصـــحاب العلم فيهم، يوضحون المبهم ويفسرون المشكل.

وقال: قبل أسبوع من مجيء لجنة الحريات لزيارة السجناء، جاء مدير السجون إلى مهجع الزرقاوي وإخوته، كان المدير يحمل معه عصاه، لم يقبل الزرقاوي وإخوته أن يدخلوا مدير السجون بعصاه، فاستجاب لهم المدير، وجلس مع أبي مصعب وأحد إخوته، جاءهم ليأخذ ضمانة عدم افتعال مشاكل مع وزير الداخلية القادم إلى السجن، وقال لهم: "حاولوا أن تتكلموا معه كلامًا حلوًا، وعدوه أن تغيروا وضعكم حتى تذهبوا إلى بيوتكم"، فقال له الزرقاوي: "إننا جئنا لندعو لهذا الدين وما جئنا لنذهب إلى بيوتنا، فنحن نجلس معك لأنك منبر توصل أقوالنا لهم"، ثم تكلم معهم مدير السجون، وأيدهم ببعض تصوراتهم وقال لهم: "علينا ضغوطات كثيرة". ثم جاءت لجنة الحريات ومعهم سياسيون كثر، فخرج إليهم أبو مصعب وأخ آخر نيابة عن إخوتهم، وجلسوا معهم على طاولة مستديرة والتقوا بالزوار السياسيين، فقال لهم السياسيون: "سمعنا عنكم يا شباب التوحيد ونحب أن نسمع منكم"، فقال لهم الزرقاوي: "إن أنتم أحببتم أن تسمعوا منا، فعندنا موضوع واحد جئنا لأجله: نحن نذكركم بالله تعالى وأن تكونوا في صف الإسلام ولا تنصروا أحدا على إخوانكم الموحدين". ثم شكروهم على أدب الحديث معهم، وقالوا لهم: ما كنا نتوقع أنكم بهذه الصورة، ثم عرضوا عليهم التنازل عن بعض القضايا ومداراة السياسة الحكومية، وانشغلوا عن موضوع الحديث الرئيس، وتركوا الأمور المهمة حسب تصور أبي مصعب وإخوته، فأكد لهم أبو مصعب مرة أخرى: "أنهم جاؤوا لأجل الموضوع

الذي ذكروه فقط، ولن يتنازلوا عنه، وأوضحوا لهم أنهم لو أرادوا التنازل من قبل لتنازلوا".

ثم بعدها بأسبوع جاء وزير الداخلية، ومدير الأمن العام ومدير السجون والصليب الأحمر، ولجنة حقوق الإنسان مع الصحافة والحرس، ودخلوا عليهم في مهجعهم وكانت الاتفاقية مع إدارة السجن، أن لا يتعاملوا مع السجناء السياسيين، بأسلوب التعامل مع أصحاب القضايا الجنائية والمخدرات، وذلك لأنهم أصحاب مبادئ وأهل دين وعقيدة، ولا يستوي الفريقان مثلاً. دخل وزير الداخلية ولم يقف له أحد، وبدأ حديثه بأسلوب استفزازي معهم، ثم قال لهم: "لماذا لا تكلموني وتسلمون علي؟!"، فقال له الزرقاوي:" إذا أردت أن تجلس وتسمع نخبرك لماذا لم نسلم عليك، نحن نعرض عليك الجلوس معنا لتسمع قولنا". كان هذا الموقف اقتبسوه من موقف الصحابة في تعاملهم مع خصومهم. ثم قال لهم الوزير بأسلوب احتقاري: "سمعت! سمعت!"، وقال: "أجلس معكم بعد الجولة"، وقبل أن ينطلق قال لهم: "إن شاء الله سيدي الملك حسين، سيأتي ويعفو عنكم ويروحكم"، فقام له أبو مصعب غضبانَ، ووضع إصبعه قرب أنف وزير الداخلية وقال له: "هذا سيدك أنت وليس سيدنا إنما سيدنا الله عز وجل". غضب وزير الداخلية غضبًا شديدًا من الزرقاوي، وتوعد وأربد وأزبد قائلاً: "والله لن تخرجوا وستبقون في السجون". فرد عليه الشباب وقالوا له: "والله سنخرج غصبًا عنك بعون الله، فنحن ثقتنا بالله"، ثم قال له أبو مصعب: "هذا الخروج موجود عندكم في الأرض، أما في السماء فلا يعلمه إلا الله"، ثم بعدها بثلاثة شهور كان خروجهم.

قال أبو جعفر: وزير الداخلية دخل على السجن، وقال لهم: ستخرجون بعفو ملكي

فقام الزرقاوي وأمسك الوزير من كتفه وطرده: قال له: "يا ابن حوشة؛ ما بدناش العفو لا منك ولا من الملك، بدنا العفو من رب العالمين"، وحوشة: أم الوزير.

رواية جهاد القشة عن حوادث السجن في معرض رده على المقدسي في روايته:

أكتبُ لكم وأنا واللهِ أعلمُ الناس بالناصح الحريص على نصح إخوانه المجاهدين وعلى رأسهم أبو مصعب الزرقاوي الذي لا تقل معرفتي به عن المقدسي. فأنا عشت معهما سنوات في السجن حتى فُرّج عنهما، وبقيتُ أنا وبعض إخواني والذين ما زال بعضهم فيه حتى الآن، أسأل الله أن يفرج عنهم.

– لنتذكر سوياً: فترة دخولك إلى سجن السواقة كيف كان دخولك إلى السجن، ألم يستقبلك إخوانك في السجن بالتكبير دون تفتيش أو مضايقات لك من قبل الشرطة وهذا بفضل الله ثم إخوانك الذين سبقوك ووطدوا الأمر وسُروا بنقلك إليهم ثم تفاجؤوا منك بعد معاشرتك.

– ولنذكر ما بعد ذلك موضوع الإمارة والتي لم تَدُم فيها أميراً أكثر من أربعة شهور، وليس سنة كما تدعي.

وأظن أنك أنت من ترك الإمارة ولكن لعدم استطاعتك تدبير الأمور، خاصة أنه دب الخلاف بينك وبين ثلاثة من الإخوة وبدؤوا يتهمونك بالتسيب والخوف من إدارة السجن وكان أحدهم الأمير قبلك وأنت تعرفه جيداً وما زال في السجن والآخر فرج الله عنه، وقد بدأت الأمور تسوء، فخوفاً منك من أن يتنامى الأمر إلى أكثر من ذلك ويتم

عزلك عَرَضت على أبي مصعب الإمارة ورَفَض الأمر في البداية ولكن أراد الله بنا خيراً عظيماً ما زالت ثماره تُقْطَف حتى الآن وستبقى إلا أن يشاء الله عز وجل.

فوالله كانت إمارة أخينا الزرقاوي فتحاً عظيماً للدعوة والتوحيد ولعلك تراجع وتستذكر هذا الأمر جيداً، ولو سألتُك لماذا أنت الآن في السجن لست الأمير مع أنك (أبو محمد المقدسي) بينما الأخ الأمير أميّ لا يحسن القراءة وإن كان حافظاً لكتاب الله، فكن شجاعاً وقل الحقيقة فهذا ما أعلمه من سبب تركك الإمارة لا ما ادعيته.

* أما الأمر المهم الذي أريد أن تتذكره معي كيف كان الزرقاوي يعامل إخوانه في السجن وكيف كنت أنت تعاملهم وكيف كانوا يعاملونه ويعاملونك لنتذكر ذلك معاً.

لنبدأ من الثياب: ألم يكن أبو مصعب إذا أتاه ثوب جديد أو حذاء جديد لا يلبسه حتى يلبسه الإخوة، أَتَذْكُر كيف كان لا يأكل حتى يطعم إخوانه، أتذكر كيف كان يتذلل لإخوانه، فوالله إني رأيته يُقَبِّل قدم إخوانه وداً لهم، وهو الأمير، بينما كنتَ أنت تأكل وأنت على سريرك إن رآك أحد عزمت عليه، وإن لم يرك أحد لم تفعل؟!

وأذكرك: كيف كنت تعمل جاهداً على أن لا تُحسَبَ على الإخوة وكنت حريصاً جداً على أن تتميز عن الإخوة وتحاول أن تَنْسِب كل شيء لنفسك، وكنتَ تخفي كثيراً من كتاباتك عن الإخوة والأميرِ، ولا أنسى تلك الكتابات التي تفاجأ بها معك الأمير أبو مصعب وكنتَ تسيء فيها إلى الإخوة وبعد ذلك طالب الإخوة أن يطردوك من التجمع ولكن لم يَرُق له ذلك حرصاً عليك وعلى دعوتنا.

أتذكر كيف كان أبو مصعب إذا تكلم لم ينسب شيئاً لنفسه، أَتَذْكُر عندما كنا نحقق نصراً في قضية ما في السجن كان يقول: يا إخوة أنا قَوِيٌّ بالله ثم بكم فإدارة السجن لا تخشى شخصاً واحداً بل تخشى هذا التجمع المتداخل والمترابط المطيع للأمير.

أَتَذْكُر كيف كان يتفقد إخوانه في الليل؛ يغطي المكشوف خوفاً عليه من البرد، أتذكر كيف كان ينفق على إخوانه؟

لننتقل إلى مواقف أخرى أظنك تذكرها أيضاً، لننتقل إلى التعامل: كان مع السجناء داخل السجن من كافة الاتجاهات سواء قضايا جنائية أو إسلامية أَتَذْكُر كيف كنتَ حريصاً على علاقتك الشخصية معهم حتى وصلتَ إلى مرحلة لا تُحْسَد عليها.

أتذكر كيف كنتَ تجادل أبا مصعب عنهم، وكيف تقول متعللاً: أنا أريد أن أبلغ دعوتي، أنا صاحب دعوة، أَتَذْكُر هذا أم نسيتَ؟

و يا ليتك كنتَ دَعَوْتَهم، و يا ليتك لم تُرَقِّع لهم باطلهم، و يا ليتك لم تمازحهم وتلعب معهم وتَقُلْ لهم أسرارك، ويا ليتك علوت بنفسك عن دناءتهم، ويا ليتك لم تنزل إلى مستواهم.

أتذكر حين قال أحدهم: "الأنبياء صعاليك"، وعندما قال أحدهم مستهزئاً: "صلِّ على (كوم) أنبياء"، قلتُ لك: تضحك معهم وتلعب وهم يقولون ذلك، فكنت تقول لي: "هذه قلة أدب فقط ليس فيها شيء". ويا ليتَهم حَفِظُوا لك ودك وتزلفك لهم بل كانوا هم أولَ من سَبَّك وطعنوا بك وتَخَلَّوا عنك.

وإن كنت نسيتَ فبوسعك أن تستذكر من الشيخ الكبير صاحب الخلق الحميد مع أنه مبتدع خبيث (صابر المقبل) الذي يكتب في جريدة السبيل الأردنية، وهو من منطقة إربد ويكنى بأبي أشرف، فاسأله عن أخلاق المقدسي، وكذلك رأس البدعة (عطا أبو الرشتة) مسؤول حزب التحرير كان معنا في السجن، والرجل على بدعته رجل صادق فاسأله عن أخلاق المقدسي.

ألا تذكر (شبيلات) كيف كتبتَ له رسالة سميتَها: (يا ليث كن ليثاً) ثم أبلغتَه أنت وأبو مصعب الدعوة وكنت جالساً أنت وبعض الإخوة فأمر أبو مصعب بمقاطعته حتى لا يظن نفسه شيئاً كبيراً فلم تستجب لأمر الأمير وبقيت من وراء الظهور تتعامل معه.

أتذكر كيف كنت أنت الوحيد الذي يضحك في وجهه ويسلم عليه وكنا نحن لا نفعل ذلك؟ أتذكر عندما خرج كيف أنه ذمك ولم يمدحك رغم أنك كنت البشوشَ الوديعَ الوحيد معه؟

ألم يقل لمن كان يعيش بينهم من المبتدعة إذ كان هناك: من يخرج من السجن ويبقى ثابتاً على مبدئه هو أبو مصعب ومن معه.

أتذكر أيضاً، كيف كانت الإمارة لها دور عظيم في السجن، وكيف تأثر بها الكثير من الداخل والخارج، سواء الإخوة أو الطواغيت وأذنابهم. حتى أصبح صاحب الكلمة في السجن حتى على جميع السجناء هو الأخ أبا مصعب، وثَبَتَ بخلافك، وكان الأمر مؤثراً حتى على الشرطة وإدارة السجن.

أتذكر عندما جاء وزير الداخلية ونحن في الجفر أتذكر عندما قال وزير الداخلية لأبي مصعب: "احنا قرايب وأبناء عشيرة"، فقال له أبو مصعب: "نحن لسنا قرايب، أنت في صف الطاغوت ونحن في صف الله اترك الطاغوت ونصبح قرايب"، وقال له الأخ شيئًا كثيراً.

هذا أعلى رتبة، وزير الداخلية أتى إلى الجفر، ومعه مدير الشرطة وصحفيون، فلما دخل سلم لم يَرُدَّ أحد بأمر من أبي مصعب، فقال: "كيف لا تردون؟"، فقال له أبو مصعب –وكان اسمه كذا القاضي–: "اجلس يا قاضي حتى نكلمك بدعوتنا!"، فقال: "يا خلايلة كيف نجلس وأنتم لا تسلمون"، قال أبو مصعب: "حكم شرعي لا نرد السلام، لكن اجلس، نريد أن نبلغك دعوتنا". قال: "ما نجلس"، فقال أبو مصعب له: "عندي مطلب واحد –وكانت الأخبار أنه عندما يرجع الملك حسين سيصدر عفوا وكان ملكهم ذهب ليتعالج من السرطان–: عندما يرجع حاكمك فلا تقولوا في الجرائد إننا طلبنا العفو". فقال وزير الداخلية: "سيدنا"، فلم يتمالك أبو مصعب نفسه حتى وضع إصبعه في وجهه وقال: "سيدك أنت لا سيدنا"، فهال الجميع جرأته حتى أن صحفياً جعل يكبر: الله أكبر الله أكبر، تعجباً من هذه الطريقة الجريئة في مخاطبة وزير داخلية، ثم تأتي وتقول: سجن وإمارة قاصرة! ولا أظنك تقصد بأن الإمارة قاصرة بمعنى أن فيها تقصيراً؛ وأنت الآن تعيش بنعمة الإمارة التي وُطِّدَت للإخوة في السجون والحمد لله من أيام أبي مصعب، لا نظنك تقول إنها قاصرة وهي خَرَّجَت مئات الإخوة من الموحدين، وهدى الله بسببها كثيراً من الإخوة الذين كانت قضاياهم سرقات وغيرها وهم الآن من الموحدين الصادعين بالحق فلا أظنك تقول: إنها قاصرة وهي للآن قائمة

وأنت تعيش في بركاتها وثمراتها.

يكفي يا مقدسيُّ أنك قلت للإخوة وكنت حاضراً بينهم: أنا بمنزلة هارون وأبو مصعب بمنزلة موسى، وأنْعِم بمن هو مثل موسى قيادةً.

– ولا أظنك تنسى أنك أقسمت لـ(مصطفى أبو صيام) أنه لا يستطيع أن يَضْبِط الإخوة إلا الزرقاوي، فكيف يقودهم إذا لم تكن عنده خبرة؟! فعلام لم تذكر هذا لأبي مصعب واكتفيت بتزكية نفسك وإظهارها للناس وكأنك الوحيد من بين السجناء صاحب الريشة؟

وصدقني يا مقدسيُّ عندما جاء –وزير الداخلية نفسه– في السنة التي بعدها إلى ذات السجن لم يقبل الدخول على المكان الذي كان فيه الشيخ خوفاً من أبي مصعب فقالوا له: إن أبا مصعب أُفرج عنه من سنة، ومع ذلك لم يَدخل ولله الحمد.

أتذكر (أبا المنتصر) الذي اختلفت معه في مهجع ٦ حول سيارتك التي أخذها للعمرة فقَدَّر الله أن وقَعَتْ بيد المخابرات، وحدثت خصومة بينكما حول التقصير وعدمه في هذه المسألة فاختلفتما وتصايحتما حتى غضبتَ غضباً شديداً وثارت ثائرتك ورفعْتَ صوتك كعادتك ثم لم تملك نفسك أن تقول له: "أسأل الله إن كنت كاذباً أن يردك عن دينك". إنها والله لكبيرة جداً نتوارى من القوم من سوئها وأنت (شيخ التوحيد)، حتى قال لك بحزن: "تسأل الله أن يَرُدَّني عن ديني؟! أما أنا فأسأل الله أن يثبتك على دينك!".

إنك لم تنصف أبا مصعب وزكيت نفسك في كتابتك حتى يُخَيَّل أنك صاحب الفضل

والنعمة وأن غيرك في كل هذا تبع لك، إنك ما أنصفتَ أبا مصعب وذكرت أشياء عن نفسك وكتمت كثيراً من محاسن من تذمه مع أنكما على أقل تقدير شريكان في العمل، وأضرب لك ما يوضح: ذكرتَ بطولتك أمام محكمة أمن الدولة مدحاً في جرأتك ولم تذكر أن أبا مصعب هو من أمرك أن تخطب أول خطبة وأنت في قفص الاتهام ولم تكن الفكرة عرضت من قبل، فصارت سُنَّة ولله الحمد.

ثم ذكرت عن نفسك ما قلتَه أمامهم ولم تُشِرْ مجردَ إشارة إلى الليلة التي سبقت هذه الحادثة حيث جلستم جميعًا تتشاورون في العبارات التي سيقولها كلٌّ منكم، وتتقاسمون الأدوار، وكل هذا بأمر أبي مصعب، فلم تَذْكر من مواقف البطولة لإخوانك ما ذكرتَه تيهاً لنفسك، فلماذا كتمت عن الناس أنه كان من دور أبي مصعب إن سأله الظالمون: أمذنبٌ أنت أن يقول: كلا، الذنبُ ذنبُ شعوبها، خانت طريق جهادها، واستسلمَتْ للبغي حتى ساقها جلادُها؟

وحين تحدثتَ عن أول عمل بينكما في الدعوة بعد عودته من أفغانستان كتمتَ كثيراً من الحقائق وأظهرتَ الفضلَ لنفسك وحدك، ولم تذكر أنك ما كنت تعرف أحداً حتى أنك صبَّرْتَ أبا بكر الجماعيلي حين كنتما تتكلمان حزينين أن الدعوة في الأردن ليس لها صدى فكنت أنت تُصَبِّر أبا بكر، فلماذا لم تقل مَن الذي عرفك على الإخوة في إربد والزرقاء والرصيفة حتى قمت بالحلقات والدروس، ومن عَرَّفك على الشباب في عمّان، وعلى أبي سياف في معان، فماذا كنت لولا الله ثم أبو مصعب، ومن الذي ساعدك في نشر الدعوة في كل مكان، ثم بعد سنة قلت لأبي بكر: انظر بعدما صبرنا

كيف انتشرت الدعوة؟

ثم تأتي بعد كل هذا وتغمز في أبي مصعب أنه سافر من الأردن لعدم صبره على مشاق الدعوة! سبحان الله. ادعاؤك أنك أنت من كنت تتولى خطب الجمعة غالباً ادعاءٌ غير صحيح بل لم تكن أنت غالباً وإنما كان أبو مصعب يَطلب كل مرة من أخ أن يخطب ليتدرب.

ادعيتَ أنك تعرف وضع طالبان ولم تتجشم أعباء السفر لمعرفة وضعهم، وأنك في السجن قد تبصرتَ بحالهم مع أن الواقع خلاف ذلك!! فقد كنتَ في السجن مع أبي مصعب وكانت أخبار طالبان تأتيكم وكنتم تتعاطفون معها حتى أن الشباب سرى بينهم فكرة الالتحاق بهم بعد الخروج من السجن، فأرسلتَ أنت رسالةً إلى الشيخ أبي بصير تستفهمه وتذكر له أن الشباب يتعاطفون معهم ويودون الالتحاق بهم بعد الخروج من السجن، فكان جواب أبي بصير سلبياً عن طالبان ومشجعاً للمكوث في بلاد الشام، فأجلستَ أنت الشباب وأقرأتهم الرسالة، وإن كان أبو بصير يرى طالبان آخر الأمر من الأكابر.

أتذكر كيف أنك حزنتَ وغضبتَ عندما نُقِلْنا من سجن السلط إلى سجن الجفر وجاءت القائمة فيها الأسماء من مديرية الأمن العام وكان اسم أبي مصعب أول اسم، ولم يكن اسمك الأول؟

أتذكر عندما كنت أنت وبعض الإخوة في الزنازن، وجاؤوا بك لتحل الأمر فقال الإخوة: نحن كنا مع أمير ولا نطيع سواه، فغضبتَ منه. هذا هو الذي وَقَرَ في صدرك

وجعلك تنصح بهذه الطريقة.

أما قولك: إنك كنت متفرغاً للعلم والدعوة فلا أظنك تخالفني الرأي بأنك أعظم ما علَّمْتَه للإخوة هو فقه المعاريض، فكنت سبَّاقاً في هذا المضمار وأذكرك ببعض منها: أَتَذْكُر عندما كنتَ تذهب إلى المستشفى بحجة المرض لتقابل زوجتك، وعندما يسألك الإخوة عمن رأيت تقول: "رأيتُ الوالدة"، فيَفْهَم الإخوة أنها أمك وتكون أنت تقصد بالوالدة (زوجتك) وتُوَرِّي لأن كل من وَلَدَتْ تسمى والدة! حتى أنك أُخْرِجْت أمام أبي مصعب لأنك وَرَّيْت عليه وهو أمير.

وأذكرك: بنظرة الشرطة لك مع أنك كنت (بساماً بشوشاً) معهم وكنت أحياناً تصافحهم، بل أَلَّفْتَ كتاباً بجواز المصافحة ومع ذلك كان أخونا الزرقاوي لا يبتسم بوجوههم أبداً ولا يتكلم معهم إلا باستعلاء، ومع هذا الفارق إلا أنني لم أسمع شرطياً واحداً كان يذم أبا مصعب، بل لعلك تَذْكر ذلك الشرطي الذي أراد أن يُقَبِّل يد أبي مصعب، ولعلك تذكر أنه لم يكن أَحدٌ من أفراد الشرطة يحسب لك حساباً وذلك لأنك كنت حريصاً على كسب ود الآخرين ولو على حساب الدعوة. والغريب أنهم لم يكن أحد منهم يوجه لك السؤال عن التوحيد بل كانوا يتوجهون بالسؤال لأبي مصعب!

قلت: والمتسمى بـ(جهاد القشة)، اسمه: إبراهيم بن محمد بن زين العابدين (لا يعلم تاريخ وفاته) ويكنى بأبي حذيفة الأردني، صحب الزرقاوي في الشام ثم العراق واعتقل في سجن صيدنايا من قبل طاغوت النصيرية. رحمه الله، قُتل صبرًا مع عدد من إخوانه من قبل جند النصيرية.

صدعه بالحق أمام محكمة المرتدين في قضية (بيعة الإمام)

قال الزرقاوي: أيها القاضي بغير ما أنزل الله؛ إذا عرفت هذا، وظهر لك أن الكفر البواح والشرك الصراح اتخاذ غير الله مشرعًا -سواءً كان هذا المشرع عالـمًا أو حاكمًا أو نائبًا أو شيخ عشيرة- وعلمتم أن الله قد حكم على الشرك في كتابه، فقال: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} [النساء ٤٨]،

ثم علمتم أن المادة ٢٦ من دستوركم الوضعي تنص على:

أ- السلطة التشريعية تناط بالملك وأعضاء مجلس الأمة.

ب- تمارس السلطة التشريعية وغيرها صلاحياتها ومهامها وفقًا لمواد الدستور.

عرفتم أنَ كُلَ مَنْ قَبِلَ بهذا الدين المحُدث والكفر البواح المناقض لدين الله تعالى وتوحيده: أنه قد اتخذ هؤلاء المشرعين أربابًا من دون الله تعالى، يشركهم مع الله في عبادته.

فصل في خروجه من السجن

قال أبو قدامة: بعد وفاة الملك حسين في ذي الحجة عام ١٤١٩هـ، خرج أبو مصعب من السجن، ذهبت لأراه في نفس يوم خروجه، نمت عنده، وفي الصباح ذهب إلى سجن الجفر الصحراوي ليزور إخوته ويطمئن عليهم كان قلبه معلقًا بهم، وفرحته لم تكتمل بخروجه دونهم، شعر أن جزءًا منه لم يخرج بعد، كانت المسافة بعيدة وتأخذ قريبا من عشر ساعات. بعد خروجه من السجن، كان الجو العام في مجمله لم يلائم نفس الزرقاوي، ولم يطق الحياة في الأردن، فقد شعر أن جو السجن أفضل من حياة الدعة والراحة. شعر بتغيّر الوضع عليه، كان برنامجه في السجن يحتاج إلى وقت زائد كي يملأه، فقد جزءًا من ذلك الجو الإيماني الذي كان يعيشه في السجن. عندما خرج من السجن كان يتجنب المرور في الأماكن العامة والركوب في المواصلات حتى لا يسمع شتم الذات الإلهية والألفاظ التي تشين الأدب، إضافة إلى الغناء والموسيقى. كانت تلك المنكرات العظيمة مدعاة له بالتغيير في اليد فكان يتجنبها حتى لا يزداد المنكر بإنكاره، لم يكن يركب المواصلات العامة حتى لا يصطدم مع الجهال، لم تكن طبيعته تتحمل أن يغيّر المنكر باللسان حين يسمع سب الدين أو شتم الذات الإلهية بل ينفضُّ كالأسد الهصور على ساب الدين أوشاتم الرسول ﷺ نصرة لدينه ورفعة له. أصبح يتربص الفرصة المناسبة كي يهاجر إلى أفغانستان أو الشيشان.

فصل

قال أبو قدامة: وكنت أقول له هل تكفر الإسلاميين فيقول لي: "أعوذ بالله أن نكفر مسلمًا، ولكن المسلم إذا ارتكب ناقضًا من نواقض الدين فالإسلام يكفره، بعد أن تقوم عليه الحجة وتتوفر فيه الشروط وتنتفي فيه الموانع". ولقد سألته مرات كثيرة عن إشاعات أشيعت عنه سابقًا في التكفير فكان ينفي ذلك، وكان صادقًا فيما يقول لا يواطئ أحدًا ولا يداهن.

وقال أبو قدامة: ولقد وصل الأمر بأبي مصعب أن يهجر أقرب الناس إليه عند مخالفتهم لأوامر الله كعدم الصلاة مثلاً، ولكن حين يستجيبون لله ورسوله يعود فيصلهم. ولقد سألته مرات عديدة هل تكفر الناس فقال لي مستنكرًا: "معاذ الله، أنا أكفر الناس؟"، وقال لي: "نحن لنا من الناس الظاهر والله يتولى السرائر، ولكن من أتى من الناس بناقض من نواقض الإسلام وكفر بعد قيام الحجة فلنا ظاهره والله يتولى السرائر، والإسلام هو الذي يخرجه".

وقال: في حكم الطالبان عدت إلى الأردن ولم تعجب أبا مصعب عودتي. كنت أزور الزرقاوي في سجن سواقة بين الحين والآخر، فكان فرحًا بوضع الطالبان وتطبيقهم للشريعة الإسلامية، ويحرض إخوته وزواره على التوجه إلى أفغانستان لنصرة دولة طالبان ما استطاعوا إليها سبيلا، رأى أن دولة الطالبان الإسلامية -عهد الملا عمر- تحكم بالإسلام جملة في أفغانستان، وكانت هناك مبررات شرعية للوقوف مع نظام طالبان، رغم تصور بعض المنتسبين إلى العلم أن هناك شوائب تعتري صفاء تلك الدولة. ولقد كان تصوره أن قتال الطالبان للأحزاب المتصارعة على السلطة، وتحكيم شرع الله قتال شرعي وجهاد.

أثناء زيارتي لأبي مصعب في السجن عرفني على أبي محمد المقدسي، فسألني المقدسي عن أفغانستان، ثم قال لي: "أنا أدعو الشباب ليبقوا هنا حتى لا تفرغ الساحة من الدعاة"، وكنت أشعر أن قوله نسخة طبق الأصل لأقوال أصحاب الدعوات في بلادنا من سلفيين وتبليغيين وإخوان وتحريريين وغيرهم.

درر القلائد

في سيرة الزرقاوي القائد

باب خراسان الثانية



مؤسسة صرح الخلافة

بداية هجرته إلى خراسان

قال أبو قدامة: قرر السفر ففيّز له ولوالدته من سفارة باكستان في عمان. حزم أمره وتوجه مع والدته للسفر عبر مطار الملكة علياء الأردني إلى باكستان، وفي المطار قامت الأجهزة الأمنية باعتقاله لمدة يومين، وذلك لوجود رسالة معه من أحد أصحابنا القدامى في أفغانستان، وكان قد وقع في شراك الأجهزة الأمنية، وقام بزيارة أبي مصعب في منزله قبل سفره، وسلمه رسالة فيها أسماء بعض إخوته، ولم يعرف أبو مصعب مضمون تلك الرسالة، أخذ أبو مصعب الرسالة ووضعها في كيس (ميرمية) أمام صاحبه وفي المطار قامت الأجهزة الأمنية وأخذتها من كيس الميرمية. ثم توجه أبو مصعب في الأسبوع الذي يليه مع أمه إلى المطار، وهناك قالت له الأجهزة الأمنية في المطار قبل مغادرته: "سنحرقك"؟! وقد كنت صديقًا لصاحب تلك الرسالة، فقال لي قبل أسابيع من ذهابه إلى أفغانستان: "إن لم أذهب إلى أفغانستان سأقوم بعملية داخل فلسطين"، وقد أشعرني أنه يتحرق ويحترق لذلك، كنت أظنه جادًا فيما يبديه لي، ثم تفاجأت بعودته من أفغانستان مرتين، فسألته: لماذا عدت، فأخبرني في المرة الأولى لتمديد إقامته في الخليج، وفي الأخرى ليجمع تبرعات للمجاهدين، ثم لحق بأبي مصعب نفس الشخص إلى باكستان وأفغانستان، وأثناء وجوده في أفغانستان سمعه أحد المجاهدين العرب، يتحدث من كابينة عامة عن الشيخ أسامة بن لادن، فشك في أمره وأخبر المجاهدين العرب، فاعتقلته القاعدة وحققت معه. قال لي أبو مصعب الزرقاوي في أفغانستان في وقتها: إنه حقق معه فاعترف له أنه قال للأجهزة الأمنية عن مكان وجود الرسالة في كيس (الميرمية)، وذكر لي أبو مصعب أنه لم يكن يعلم حقيقة الأمر حتى كشفها له، وكادت القاعدة أن

تقتل ذاك الشخص لولا تدخل أحد أصحابنا من المجاهدين القدامى، وكان صاحبًا له، فرأى أنه قد غرر به، فتحدث مع جلال الدين حقاني للتوسط، وقد كان هذا الشخص قديمًا يجاهد مع مجموعات جلال الدين حقاني، ثم قام جلال الدين حقاني بإخراجه من قبضة القاعدة. وحاكمه الطالبان محاكمة صورية، فلم يريدوا أن يشوهوا صورة المجاهدين العرب، وأريد للقاضي الطالباني أن يرى بساطة الرجل ودروشته (على البركة)، وكان يحمل مسبحة أثناء المحاكمة ويذكر الله كثيرًا أمام القاضي على طريقة دراويش الصوفية، فحكم القاضي الطالباني بتسفيره إلى باكستان بعد أن قامت الباكستان بالضغط كثيرًا على حكومة الطالبان لتسليمه لها ثم سلم إلى دولته.

اعتقاله في باكستان

قال أبو قدامة: بعد أن وصل أبو مصعب باكستان بقي فيها شهورًا، انتهت إقامته ولم تجدد له، وكانت هناك حملات على العرب، وقد بدأت تلك الحملات منذ مجيء بي نظير بوتو. في عام ١٤٢١هـ، أثناء وجود أبي مصعب في باكستان، كانت هنالك اتصالات بين المجاهدين في بيشاور وخطاب، فبدا له التريث قليلاً لعله يذهب إلى الشيشان عند خطاب حيث هناك المعارك حامية الوطيس ومشتعلة، فقد كان يعرف خطابًا. ولكن أبا مصعب اعتقل لانتهاء إقامته في شهر صفر سنة ١٤٢١هـ وكنت هناك في بيشاور حينها فقال لي: إذا لم يعجبني الوضع في أفغانستان سأعود إلى بلادي وأعمل هناك، وكذلك قال لي: إنه سيشتري (بكب) ويعمل عليه. كان يتوقع الاعتقال في بيشاور، وكلما جاء الصباح قال: "الحمد لله على نعمة العافية"، وفي يوم الجمعة وبعد

الصلاة كان الزرقاوي يقف مع أبي الوليد الفلسطيني وشخص آخر اسمه أبو محمود السوري، ورأوا أن الوضع غير طبيعي، وأثناء تواجد العرب قرب باحة مسجد زيد بن حارثة في حياة أباد فيز. بدأت الحملة عليهم، لم يرَ أبو مصعب إلا وقد أحاط به الباكستانيون إحاطة السوار بالمعصم عند باب المسجد، فسجن ثمانية أيام.

قال عبد البصير إمام مسجد زيد بن حارثة: صلى معنا صلاة المغرب وخرج فكانت الشرطة موجودة في اللباس العادية ومسكوه. كان الإخوان العرب كثرًا ويصلون معنا. فعرفت أن هذا أبو مصعب من الأردن وجاء للجهاد وكان رجلاً فقيرًا؛ وفي الليل كان يصلي معنا ولا سيما في رمضان، وصلى قيام الليل في آخر العشرة من رمضان. ذهبت بعد رمضان إلى الحج، وقال لي: إذا مشيت إلى الحج فادعُ لي: "اللهم اغفر لأبي مصعب".

قال أبو قدامة: قرر الباكستانيون تسفيره من باكستان، وقاموا بإعطائه جواز سفره فسافر إلى كراتشي وبعد ذلك توجه إلى أفغانستان. بعد أن خرج أبو مصعب من السجن بأيام، بث التلفزيون الباكستاني أن أحمد فضيل نزال الخلايلة (أبا مصعب) مطلوب باعتباره أحد أعضاء تنظيم القاعدة، ولم يكن أبو مصعب قد دخل أفغانستان أو استقر فيها بعد.

فصل أفغانستان

قال أبو قدامة: حين توجه أبو مصعب إلى أفغانستان كان مراده من قبل، تجميع الشباب في أفغانستان، ليعيشوا حياة إسلامية في مجتمع إسلامي. وكذلك ليقوم بإعداد المجاهدين. كانت دولة طالبان هي المنطقة المؤهلة الوحيدة. ثم بدأ يفكر باستراتيجية عملية أخرى غير الاشتراك في الحرب مع طالبان ضد مسعود. كان قادة القاعدة يعرفونه عن طريق محاكماته ومواقفه التي تابعوها من خلال قنواتهم الإعلامية، وقد رأيت في أفغانستان بعض الصحف العربية وقصاصات لصحف عربية تتحدث عن العرب في أفغانستان. حاولت القاعدة استقطاب أبي مصعب للتنسيق والعمل، وليس للتنظيم والبيعة، ورأوا في تجربته ونضوجه إضافة إلى جهاده من قبل في أفغانستان عملًا كافيًا لتزكيته والقيام بالتنسيق والدعم له، أعجب أبو مصعب بالفكرة التي كان يأملها من قبل، ورأى أن هنالك قواسم مشتركة بينه وبين القاعدة فالجميع يعمل للإسلام، واختار أبو مصعب صورة أخرى للجهاد غير الصورة التي يسير عليها الطالبان؛ وكانت صورته تلك أنه سيقوم بالعمل خارج أفغانستان وصوب نظره نحو فلسطين، والتفرغ للخارج من خلال القضية الأفغانية، وهذا ما منع أبا مصعب من الانخراط في صفوف الطالبان مع اقتناعه بصواب عمل الطالبان ضد مسعود. بدأ أبو مصعب العمل والتنسيق مع القاعدة، واتخذ موقعًا لتدريب المجاهدين القادمين من بلادهم في هراة المدينة القريبة من إيران. ونجحت استراتيجية أبي مصعب بفترة زمنية وجيزة، وأصبح على علاقة قوية مع قيادة الطالبان في هراة الوالي ملا عبد المنان، وقيادة القاعدة أسامة بن لادن وقادته. وقبل

سقوط الطالبان التقيت معه ثلاثة أيام في هراة أفغانستان وقال لي: "إنهم يعملون لأجل فلسطين".

قال أبو قدامة: في سنة ١٤٢١هـ، توجهت إلى باكستان لأجد عملًا في مجال الإعلام، والتقيت هناك بأبي مصعب الزرقاوي، ثم توجه إلى أفغانستان، وبعد شهور قررت العودة إلى الأردن فعلم بذلك واتصل بي وقال: "لا أسامحك إذا ذهبت للأردن دون أن أراك"، وشدد عليّ كثيرًا، ورأيت لزاما عليّ رؤيته قبل عودتي، فتوجهت إلى كابل، وكانت مغامرةً بالنسبة لي، حيث كانت رقابة شديدة على الحدود، وإذا تمكنوا من اعتقال عرب عبر الحدود يسجنهم الباكستانيون. وصلت أفغانستان، والتقيت مع أبي مصعب في كابل أربعة أيام، وكان مشغولاً خلالها، وفي آخر يوم قال لي: إنه يريد أن يذهب إلى الشيخ أسامة بن لادن، كانت المسافة إلى قندهار اثنتي عشرة ساعة.

قال أبو قدامة: كذلك أحب الملا عمر أمير المؤمنين وقائد المجاهدين؛ أحب فيه شدته وزهده وجهاده وكان يقول: "إن المسلمين خذلوا أمير المؤمنين الملا عمر وإن الله سائلهم عنه".

قال فؤاد بن حسين: وصل الزرقاوي إلى أفغانستان ولم ينضم إلى القاعدة، بل قرر بناء معسكر في مدينة هراة سنة ١٤٢٠هـ، وبدأ أصحابه بالتوافد عليه، وسمى المعسكر (جند الشام)؛ حيث تلقى دعمًا كاملاً من القاعدة وطالبان. كان الذراع الأيمن للزرقاوي هو عبد الهادي دغلس، وخالد العاروري (أبا القسام)؛ فهما كانا صاحبيه قبل السجن وبعده، وهما اللذان استقطبا العرب وخاصة الفلسطينيين والأردنيين.

قال أبو جعفر: وفي عام ١٤٢٢هـ، غادر الزرقاوي ومجموعته معسكر هراة -بعد الحصار الذي فرضه الأفغان الموالون لقوات التحالف- متوجهًا إلى قندهار، في قافلة ضخمة من المقاتلين العرب وعوائلهم، إضافة إلى المقاتلين الأفغان الذين انضموا إليهم، وكانت رحلة محفوفة بالمخاطر، استمرت ثلاثة أيام. شارك الزرقاوي وجماعته في المعارك الدائرة إلى جانب طالبان والقاعدة ضد الأمريكان، في قندهار وتورا بورا، والحصار الذي فُرض على المنطقة؛ إلا أن الزرقاوي استطاع الانسحاب سالماً؛ بفضل الله ثم بسبب حنكته العسكرية. وقد كلمني أبو الغادية عن هذا الحصار، وقال لي: "عندما تمّت محاصرتنا، وانتهى الأمر؛ قال الزرقاوي: (عليكم بالدعاء)، فتركنا أسلحتنا وبدأنا بالدعاء؛ فإذا بثغرة يسّرها الله لنا، وانسحبنا سالمين". فكان توكل الزرقاوي على الله تعالى توكلاً تامًا وثقة مطلقة به سبحانه أنه سينجيه من الكرب.

قال أبو جهاد المصري: قد كنت معايشاً لما يحدث أربعين يوماً تحت القصف الجوي الذي كان يستهدف في كل ليلة بيتاً للمجاهدين العرب أو سيارة من سياراتهم، أقول إن جميع فصائل المجاهدين بما فيهم القاعدة فوجئنا بعدم نزول الأمريكان إلى أرض المعركة خوفاً وجبناً، وذلك القرار كان بعد عملية الإنزال الفاشلة التي استهدفت منزل أمير المؤمنين وقد تصدى لهم المجاهدون وحطموا طائرتهم وأفشلوا خطتهم. لقد كانت الحرب في أفغانستان من بدايتها إلى نهايتها بالطائرات ذات الأطنان وبالطابور الخامس جيش أحمد شاه مسعود والجواسيس من المرتزقة. فكانت الطائرات تقوم بقصف مواقع المجاهدين وقوات الشماليين يتقدمون على الأرض فإذا ما وجدوا مقاومة من المجاهدين انسحبوا

واتصلوا بقوات الدعم الجوي لكي يبدؤوا بالقصف مرة ثانية وثالثة حتى ينسحب المجاهدون أو يقتلوا تحت القصف جميعاً، وبهذا التكتيك سقطت كل المدن الأفغانية.

ومن كرامات المجاهدين في هذه الأيام، أن الإخوة مسؤولي الجماعات الجهادية كانوا قد اجتمعوا في مكتب الإعلام الخارجي للطالبان وذلك لمقابلة الملا عمر أو للاتصال به عبر المخابرة، فكان سيف العدل عن القاعدة ومحمد الإسلامبولي عن الجماعة الإسلامية والشيخ أبو مصعب الزرقاوي عن التوحيد والجهاد والضحاك ممثل عن مجاهدي الشيشان وأبو حفص الموريتاني المسؤول الشرعي للقاعدة، وكنت يومها برفقة محمد الإسلامبولي وبعد ساعتين من الانتظار جاءت إحدى الطائرات الأمريكية وقصفت المبنى. كان الإخوة في هذا الوقت يصلون الظهر داخل إحدى الغرف، وكنت قد انتهيت من الصلاة وخرجت إلى السيارة التي كانت ملتصقة بجدار المبنى، فقد كنا لا نستطيع ترك السيارات مخافة أن تلصق بها شريحة إلكترونية، وبعد خروجي بدقائق معدودة، نزل الصاروخ في فناء المبنى فسقط الجدار والسقف على الإخوة، فأُصيب الأخ الشيخ أبو مصعب الزرقاوي –رحمه الله– بكسور في أضلاعه، وجرح بعض الإخوة بجروح طفيفة، وعلمنا فيما بعد أن القصف كان بسبب أن أحد الإخوة قد استعمل هاتفه (الثريا) من داخل المبنى قبل ثلاث ساعات من وصولنا للمكان.

قال أبو عبيدة: يا أبا زبيدة، لا أنسى تلك الدقائق الحرجة التي صبت فيها طائرات الصليب، حممها على المنزل الذي تجتمع فيه مع قادة الجماعات الجهادية في قندهار، وقد غطت الأتربة والحجارة نصف جسد أبي مصعب الزرقاوي، والإخوة يُلحون عليك

بالخروج، ويسحبونك حرصاً عليك وخوفا على سلامتك، والطائرات ما زالت تحلق في جوّ السماء، وأبت روحك الأبية، إلا أن تخرج أبا مصعب الزرقاوي وبقية إخوانه من تحت الركام، رغم المخاطر الجمة التي تكتنف المكان.

وقال أبو جهاد المصري: فبعد شهر ونصف من القتال والصبر تحت القصف الذي كان يختار كل ليلة من كان منا أهلاً للشهادة لم يستطع أي جندي أمريكي النزول إلى أرض المعركة، وبناءً على ذلك قررت القيادة العسكرية الإعداد لحرب عصابات.

قام المسؤول العسكري في القاعدة باختيار نخبة من الشباب المقاتل من ذوي الكفاءات العالية ثم أمر الباقين بالسفر إلى الحدود الباكستانية ثم توجه هو ونخبة المقاتلين إلى خوست، حيث كان المجاهدون لا يزالون متواجدين بصورة غير ظاهرة يترقبون الأحداث عن كثب.

لقد تم تهريبنا من قندهار بواسطة بعض المخلصين من الطالبان، الذين قاموا بتهريبنا بأنفسهم بدلاً من الاعتماد على المهربين غير موثوق بهم. فتم ترتيب باص شمل ٢٤ من القيادات، كان من بينهم محمد الإسلامبولي والشيخ أبو مصعب الزرقاوي وأبو حفص الموريتاني (المسؤول الشرعي للقاعدة) وبعض قيادات التدريب و الخبرات العسكرية والإدارية.

وبعد دخولنا الحدود الباكستانية، وفي أحد مساجد جماعة التبليغ، قاموا بتقسيمنا إلى مجموعات لا تزيد عن أربعة أفراد ومعهم دليل من الطالبان لمعرفتهم الدقيقة بالمدينة وباللغة. فكنا نركب الحافلات الباكستانية المزدحمة بالناس حتى لا يتم كشفنا، وفي الطريق

وإحدى نقاط التفتيش صعد الشرطي واختار اثنين من الراكبين، كان أحدهم هو دليلنا وكنا قد أعطيناه أموالنا ووثائقنا مخافة القبض علينا، وبعد خمس دقائق تحركت الحافلة ولم يركب دليلنا فتأكدنا أنه اعتُقل. لقد أصابني القلق والحزن الشديد فلا أموال معنا ولا وثائق ولا نعرف أين ننزل؟!

فأخذت في الاجتهاد في الدعاء أن يدبر لنا أمرنا هذا، وبعد ساعتين وصلنا إلى مدينة كويتا وعندما وجدت الركاب كلهم قد نزلوا هممت بالنزول عندها فوجئت بأحد الإخوة يشدني من يدي فنظرت إليه فإذا هو الشيخ محمد الإسلامبولي. فقد كان معنا في الحافلة ولم أرهُ من شدة الزحام، وكانت عقارب الساعة تشير إلى السابعة مساءً، سألته على الفور: هل معك رقم الهاتف؟ فقال: "أخذته قبل الصعود إلى الحافلة بدقيقة، لقد أعطاه لي الأخ للاحتياط"، فحمدت الله تعالى وذهبنا إلى أحد الدكاكين، وقمنا بالاتصال بالأخ الذي جاء على الفور ونقلنا إلى أحد المنازل.

كانت الاستخبارات الباكستانية تبحث عن العرب الأفغان في كل المدن خصوصاً المدن الحدودية، واعتقلوا الكثير من الإخوة أثناء عملية الخروج من أفغانستان وسلموهم للأمريكان، ثم رُحلوا إلى غوانتانامو فيما بعد. بعدها اضطررنا لدخول إيران لترتيب أمر الأسر العربية المطاردة في باكستان، فتم التنسيق مع المهربين على الحدود الباكستانية الإيرانية ووصل العديد من الإخوة إلى إيران، وكنت في هذه الرحلة برفقة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله- الذي كان يريد أن يرتب لمجموعته طريقاً للدخول إلى العراق من الحدود الإيرانية.

وقال أبو عبيدة: أذكر أن الشيخ أبا مصعب الزرقاوي –رحمه الله– عندما كان في إيران قبل أن يتوجه إلى العراق ذهب إلى بيت آمِن له، فعندما دخل وجد المخابرات الإيرانية في الداخل سبقته إلى البيت، فتكلم معهم: "فلان موجود؟" بالفارسي، فقالوا له ليس موجودًا، فخرج وذهب، والله عز وجل حفظه لملحمة العراق.

فصل في حوادث خراسان

قال ميسرة: في أوائل مرافقتي للشيخ -رحمه الله- دخل شابٌّ أردني يدعى (أبا عبد الله) من جديد إلى العراق، وكان شديد الحرص على مرافقة الشيخ كحارس شخصي، وعرفتُ أنه كان يعرف الشيخ من أيام أفغانستان، لكنَّ حرصه المتميز لَفَتَ نظري فسألته عن سر هذا الحرص، وعجيب هذه المحبة للشيخ -رحمه الله-، فذكر لي السر المؤثر وكان مما ذكره: أنه قبل أن يدخل في جماعة الشيخ أراد أن يختبر نفسية الشيخ فقال له وهم قريبون من الخلاء: "بالله بريقك، املأ الإبريق رايح ورايح"، فقلت له: وماذا فعل الشيخ؟ -وهو أمير جماعة هناك في أفغانستان ويخاطبه أحدهم بهذه الطريقة المستفزة- فقال الشاب: "ما كان من الشيخ إلا أن أخذه وملأه بكل تواضع دون أي تعقيب"، وعندها قال الأخ في نفسه: "هذا يستاهل أن أنضم إلى جماعته".

قال أبو عبيدة: أذكر عندما كانت مجموعة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي تتدرب في أفغانستان في البداية، كانوا يتدربون في معسكر الفاروق قبل أن ينشئ الشيخ أبو مصعب معسكره الخاص في هراة، قام بإرسال الأفراد إلى معسكر الفاروق. الإخوة كانوا يتدربون وهم ملثمون في المعسكر، كان الشيخ أبو مصعب يعدهم لأعمال في الشام فكانوا يتدربون وهم ملثمون حتى لا يتعرف أحد عليهم، وأيضًا كانوا حتى السلام لا يسلمون على الإخوة حتى لا يُعرف من لهجة المنطقة التي هو منها. فالتدريب كان كله سِريًّا حتى الشيخ أبو مصعب يضمن عمله أن ينجح في بلاد الشام، يتدرب وهو ملثم مع أن هناك مئات المتدربين، ولا يسلم على أحد ولا يتكلم مع أحد، من مكان التدريب إلى الغرفة

أو الخيمة التي هي مُعدّة لهم.

وقال: هذا شبيه بما حصل للإخوة في الأردن في المجموعة التي أرسلها الشيخ أبو مصعب الزرقاوي -رحمة الله عليه- بقيادة أخينا الشيخ البطل المجاهد أبي عطا الفلسطيني، نحسبه من الصَّالحين. أخ كان معنا في أفغانستان قبل السقوط، الإخوة نزلوا إلى الأردن والإخوة أيضًا من قبل معروفون لأجهزة الاستخبارات الأردنيَّة، معروفون، مشهورون، معروفون أنَّهم مع الشيخ أبي مصعب الزرقاوي، أيضًا معروفون أنَّهم في أفغانستان، فكان من السهل على الاستخبارات الأردنيَّة والجواسيس والعملاء المنتشرين في كلِّ مكان أن يتعرَّفوا عليهم في حالة نزولهم إلى الوطن إلى الأردن. فالذي حصل للشيخ أبي العطا وإخوانه أنَّهم عندما نزلوا إلى الأردن والأردن لا شكَّ هي عبارة عن شبرين -دولة صغيرة جدًّا بعدد سكَّانها ومساحتها- كان من السهل على الاستخبارات الأردنيَّة أن تكشفهم وأن تلقي القبض عليهم وأن تراقبهم حتَّى إذا حانت ساعة العمل وساعة الصِّفر وبعد أن استكملوا مقوِّمات العمل تمَّ أسرهم.

وقال: أذكر الشيخ أبا مصعب الزرقاوي عندما كنا معه كان يقول: "عندما يقع أي أحد فيكم بالأسر دائمًا كل المصائب ضعوها في رأسي"، كان يقول: "أنا أتحمل عنكم كل شيء؛ من الذي أخرجك للجهاد؟ أبو مصعب الزرقاوي، من الذي أرسلك؟ أو من الذي أعطاك فلوسًا؟ من الذي رتب لك؟ كل شيء تضعونه بأبي مصعب الزرقاوي، أنا مستعد أن أتحمل كل هذه المسؤولية".

قال أبو جعفر: مرة ذهب الشيخ -تقبله الله- لجلب أغراض إلى معسكره حين كان

في أفغانستان، وعند عودته: استوقفه حاجز لطالبان -قبيل ردّتها عن الدين بوقت طويل-، وقال مسؤول الحاجز للشيخ مشيرًا إلى شخص جواره: "خذوا هذا معكم في السيارة"، فاعتذر الشيخ قائلاً: "السيارة مليئة عن آخرها كما ترى، ولن تتسع لأي شخص جديد"، فغضب مسؤول الحاجز، وتمادى في غضبه لدرجة أنه ضرب الشيخ على وجهه! واحتمل الشيخ ولم يردّ الضربة، فصرخ سائق السيارة مستنكرًا -وكان رجلاً من عامة المسلمين-: "كيف يضربك هذا؟!"، فحسم الشيخ الموضوع قائلاً بسرعة: "أوصلني إلى مقصدي، وجزاك الله خيرًا"، فما كان من السائق إلا أن أذعن، غير أنه أخبر الإخوة في المعسكر بالخبر، فغضبوا بشدة، وأرادوا الذهاب لتأديب مسؤول الحاجز، وسألوا الشيخ عن سبب عدم اقتصاصه منه، فأجابهم -تقبله الله- ببساطة: "أأضرب مسلمًا؟! هو ضربني وأنا أسامحه، كيف ترضون أن أضرب مسلماً؟!"، ونهاهم حتى عن أخذ حقه من ذلك الشخص.

قال أبو حمزة: لحق أبو الغادية بركب أبي مصعب -تقبله الله وغفر له- مبكراً واتفقا على إحياء الجهاد في بلاد الشام، وبدأ معه يرتب أوّل لبنات البناء فكان معسكر هراة، والتي ما تركها إلا بعد الهجوم الرافضي عليها مستخدمين كلبهم (إسماعيل خان) وذلك إبان الهجمة التترية الأمريكية على الإمارة الإسلامية.

وفي آخر لقطات حياته في تلك المدينة كنت أراه أمام عيني (أبا الغادية) محاصراً مع مجموعة من رفاقه في بيت بقلب هراة بالقرب من الجامع الكبير، وكأني الآن أسمع الحبيب وهو يتصل بجهازه اللاسلكي ويخبر أميره أبا مصعب: أنّ مجموعةً من المرتزقة أحاطوا

بمنزلهم وطلبوا منهم الاستسلام، فيجيبه القائد: "لا تفعل وسوف آتي لفك الحصار مع الإخوة الطَّلبة". وبدأ الحصار يشتد ويتضايق الإخوة أشد الضّيق، وينشرُ أبو الغادية إخوانه في مواقع قتاليّة من السَّطح وبالقرب من النّوافذ، وفجأة تنهالُ عليهم الإطلاقات والرّمّنات اليدوية من كل مكان ويستبسل الإخوة في الدفاع والقتال، وبعد يأسٍ من عدوٍّ جبان يأتي الإخوة من الخارج؛ الذين أرسلهم الشيخ أبو مصعب فيفكون الحصار وينطلق الجميع سالمين آمنين. ثم يتّخذ الطالبان قرار مغادرة المدينة، فيستجيبُ أبو مصعب لقرار أولي الأمر ويغادر المدينة إلى قندهار.

قال أبو جعفر: وأخبرني أحد الإخوة المرافقين له في أفغانستان، أنهم تمت محاصرتهم من قِبل العدو، وكان الشيخ -تقبله الله- معهم، وطوّقهم العدو بحيث لم يعد من الممكن التخلص منهم، فأمر الشيخ جماعته بالدعاء، وبفضل الله حصلت ثغرة في جيش العدو، وخرج الإخوة كلهم سالمين، فكان توكل الشيخ شيئًا عجيبًا.

قال أبو جرير الشمالي: ففي الأردن ومساجدها، في عمّان والزرقاء وإربد وغيرها من المدن، ارتبطت ببعض أبناء هذه المدن من الذين سمّوا أنفسهم جماعة التوحيد، وما كان يربطنا إلا الولاء والبراء الذي تعلّمناه من القرآن ومن كتب التوحيد، وما كتبه أبو محمد المقدسي عن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وبعض الذين كتبوا عن التوحيد مثل عبد القادر (سيد إمام) -أعادهما الله إلى ما كانا عليه من الحق- والكتب القديمة لابن تيمية وابن القيم وغيرهما، على يد إخوة قدماء أصحاب علم شرعي. قارعنا الجماعات الضالة كلها كجماعة الإخوان المسلمين والتبليغ والصوفية وغيرهم، وظهر أمرنا وأصبحنا

نتنقّل ما بين دائرة المخابرات العامّة والأمن العام، أو الرجوع للمنازل بإقامات جبرية وقيود أمنية وهكذا.

كان أبو مصعب الزرقاوي مثالا للموحّد الممارس للجهاد، وكان محط قلوب الجميع من الإخوة، وكان بمثابة أمير لنا، ولم أرَ في الساحة مخالفا لهذا الرأي والإجماع. وقبل أحداث ١١ سبتمبر كنا نرى تنظيم القاعدة تنظيمًا جهاديًا له توجّه إرجائي لما كان يصدر عن بعض قيادته قديمًا (نهاية الثمانينات وبداية التسعينات) بخصوص بعض الحكّام المرتدّين –خاصّة آل سعود– وعساكرهم والتوقّف في ردّتهم. وكذلك كنا نرى جماعة الطلبة في أفغانستان مقصّرين في تعليم أفرادهم التوحيد، ووقوع الكثير منهم في مسائل شركية، كالطواف بالقبور والتمائم والتعويذات، والتي ما زالت موجودة إلى الآن، وللأسف.

ذهب أبو مصعب الزرقاوي لأفغانستان أثناء الوجود الروسي لصدّ العدو الشيوعي الصائل على أرض أفغانستان المسلمة، رغم ما كان يراه من عوام القوم من المحظورات الشرعية، ولذلك كنّا نحن المجموعة على قسمين، قسم يرى العمل في أفغانستان رغم ما فيها، وقسم آخر لا يرى العمل هناك.

رجع أبو مصعب الزرقاوي للأردن قبل حرب الخليج الأولى (الكويت)، ثم دخل السجن في الأردن مع أبي محمد المقدسي بعد انتهاء الحرب لمدّة خمس سنوات بقضية سمّاها النظام الأردني حينها قضية (بيعة الإمام)

خرج من السجن وشدّ رحاله بسرعة إلى أفغانستان ليبقى هناك حتى وقعت أحداث

١١ سبتمبر، فقد كانت ساحة أفغانستان مهيأة للجهاد لعدم وجود أنظمة كفرية مسيطرة، وامتداد مساحات كبيرة للإخوة المجاهدين فيها، وسهولة الحركة وكثرة السلاح للإعداد والتدريب، ولكن كما هو معلوم، دخلت أمريكا إلى أفغانستان واحتلتها.

بعد بدء الحملة الأمريكية، انحازت جميع الجماعات المجاهدة وخرجت من الساحة إلى ساحات أخرى، أهمّها كانت الساحة الوزيرية (وزيرستان)، حيث مُلِئَت بالجماعات والعقائد والتوجّهات المختلفة التي انتسبت إلى الجهاد، واشتركت جميعها في قتال العدو (أمريكا).

ومن هذه الجماعات كانت جماعة تنظيم القاعدة، والتي اشتهرت بعمليات نوعية كان أشهرها إسقاط الأبراج في نيويورك، وضرب المدمّرة كول والسفارات الأمريكية في نيروبي ودار السلام.

وفي آخر التسعينات، كان لأبي مصعب الزرقاوي وجماعته ذات العدد القليل جدا مركز في مدينة هراة الأفغانية ذات الأغلبية الرافضية بعيدا عن تجمّعات الجماعات المجاهدة المهاجرة؛ لعزل جماعته حينها عن تزاحم الأقدام للمحافظة عليهم من الاختراقات الأمنية، وبسبب ما كان يُشار إليه وإلى جماعته من بعض أفراد الجماعات الأخرى بأنه تكفيري خارجي صاحب فكر غالٍ.

أما القسم الثاني من الإخوة، أي نحن الذين بقينا في الأردن، ولم نكن نرى القتال في أفغانستان (قبل ١١ سبتمبر)، بل كنا نرى أن الأفضلية للبقاء في الأردن والدعوة إلى التوحيد، وخاصة بعد أن حضر أخ من أفغانستان وشرح لنا وضع أفغانستان والطلبة

فيها، والتجاوزات الشرعية لديهم.

وفي بداية القرن الجديد، قام الطلبة في أفغانستان بتدمير صنم بوذا بأمر من الأمير الملا محمد عمر، فتحرّكت النفوس للذهاب إلى ساحة أفغانستان، ولكن ولعدم وجود سبل لذلك، كانت المسألة متوقفة على تهيئة الظروف.

وفي عام ١٤٢٢هـ انهارت أبراج منهاتن في نيويورك الأمريكية بتوفيق من الله بضربات الإخوة في تنظيم القاعدة، والتي إن دلّت على شيء، دلّت على صدق سريرة هذا الرجل مع الله، الشيخ أسامة بن لادن، والله أعلم.

في عام ١٤٢٣هـ، التقيت بالأخ أبي مصعب الزرقاوي في الأردن، وأخبرته بنيّتي مغادرة الأردن لساحات الجهاد إلى أي مكان كان، وفعلا رتّب لي الشيخ -رحمه الله- طريقًا، وخرجت من الأردن، وفي الطريق إلى أفغانستان اعتقلت في إيران، بعد سقوط بغداد بوقت قصير (بداية عام ١٤٢٤هـ).

بعد غزوات ١١ سبتمبر بفترة، أعلن الشيخ أسامة بن لادن -رحمه الله- في بعض خطاباته ردّة حكّام بلاد الحرمين وردّة عساكرهم ووجوب الخروج عليهم، وبذلك أُزيلت العوائق المانعة لالتحام صف الموحدين المجاهدين: الزرقاوي وجماعته، وابن لادن وتنظيمه.

ثم في الوقت الذي كانت فيه جحافل المجاهدين بقيادة الشيخ أبي مصعب تدكّ الرافضة والأمريكان ومن كان معهم من مرتدين وعملاء في ذي القعدة عام ١٤٢٥هـ، أعلن الشيخ بيعته للشيخ أسامة، مما حدا بنا نحن مجموعة أبي مصعب في سجون إيران أن نُبايع كذلك، فقد كان معنا في سجون الرافضة مجموعة من الإخوة من تنظيم القاعدة،

كانوا هناك عندما اعتقلت أنا وخالد العاروري، بايعنا نحن أفراد جماعة أبي مصعب الزرقاوي (جماعة التوحيد والجهاد) حينها إلا خالدًا العاروري وصهيبًا الأردني. ولم نسمع منهما أي تعليق على ذلك، وقد يكون ذلك بسبب اعتقادهما أن التنظيم لا يزال متساهلا في تعامله مع جيوش الردّة، وخلاف الأخوين مع أسرى التنظيم في سجون إيران ممن كان لا يرى كفر الرافضة والسجّانين.

ببيانات الشيخ ابن لادن -رحمه الله-، تغيّر تصوّرنا عن التنظيم عمّا كان عليه من قبل. أصبح التنظيم الآن مرآة لما كنت أراه عن واقع الإخوة في الأردن (جماعة التوحيد)، وكم كنت أحبّ أن يطلق سراحي لأعانق الشيخ أبا مصعب -رحمه الله- لجمعه الصف على التوحيد وإغاظته الأعداء بتلك البيعة، وبقيت الصورة في الذهن على ذلك. وكنت أنتظر لحظة الخروج من السجن لأعيش مع الإخوة في ساحات الجهاد في تنظيمي الجديد الكبير.

وفعلا أُطلق سراحنا جميعا وأبقت الرافضة في سجونها بعض الإخوة، ومنهم الذَين لم يُبايعا: خالد العاروري وصهيب الأردني، وذلك في نهاية عام ١٤٣١هـ، وإني أظن أن السبب في عدم إطلاق سراحهما عدم مبايعتهما للتنظيم.

درر القلائد

في سيرة الزرقاوي القائد

باب العراق



مؤسسة صرح الخلافة

سأل أبو اليمان: ما هي أوجه الشبه والفروق بين الحال الآن في العراق وبين ما جرى في أفغانستان أيام الجهاد الروسي؟

فأجاب الزرقاوي: هناك لم تتسن فرصة للتنظيم أو لبناء شخص منظم، أما في العراق الآن فإن التجربة من هذه الناحية أفضل، ولعل من أسباب ذلك أن المجاهدين في العراق استفادوا من تجارب السابقين. وخلال المدة اللاحقة – أي بعد وصول طالبان إلى الحكم – نضجت التجربة. وقد كانت التجربة السابقة كفيلة في إنضاج وتوضيح الكثير من الأوضاع اللازمة للجهاد الصحيح وهذا الأمر واضح. فمنذ خروجنا من أفغانستان سنة ١٤١٣هـ إلى اليوم فرق كبير (١١ سنة)؛ وهي كفيلة بأن تُنضج رؤيتنا للأمور وطريقة التعامل مع الأحداث. إن الجهاد في أفغانستان له مقوماته، لكن لا شك أن الجهاد في العراق في مدة قصيرة استطاع أن ينكل –بفضل الله تعالى– بالكفار وأن يوقع بهم نكاية عظيمة، مع ملاحظة أمر هام وهو أن المعطيات الموجودة على الساحة العراقية غير موجودة في أفغانستان.

فصل في دخوله العراق

قال أبو جعفر: بعد سقوط قندهار، لم يبق أمام الزرقاوي إلا مغادرة أفغانستان؛ فأرسل العوائل إلى باكستان لغرض نقلهم إلى مناطق آمنة عبر إيران، ودخل هو إلى إيران بمساعدة السنة الإيرانيين، وقد عقد اجتماعًا لقادة جماعته وقرر الذهاب إلى العراق؛ كونها الساحة المقبلة للمعركة مع الأمريكان، وكان هذا القرار في غاية السرّية، ولم يعلم أحد بوجهة تحرّك المعسكر ومقصده، واتفق مع أحد قادة أنصار الإسلام في شمال العراق على مواصلة التدريب والدعم العسكري لجماعته، لحين ترتيب المعسكر الخاص بهم، وبعد توجه المعسكر إلى شمال العراق وبناء معسكرين: نصّب أميرًا عليها (عبد الهادي دغلس)، رفيق طفولته وذراعه الأيمن، وكان هو المنسق بين المجموعة وأنصار الإسلام، والتقى الزرقاوي ببعض الشباب المجاهدين من الأردنيين الذين كانوا يقاتلون مع أنصار الإسلام، وطلبوا منه البقاء معهم، غير أنه رفض وقال: "الأمريكان إن شاء الله قادمون، ولا بد من أن نستعد لهم؛ لغرض المواجهة، وعلينا أن نعتمد على العنصر السنّي الذي يمتلك القدرات والإمكانيات الأفضل والأوسع". فكان الزرقاوي قد قرر الانتقال إلى بغداد؛ لغرض الالتقاء بالإخوة العراقيين الذين كانوا يقاتلون في أفغانستان، والاستعداد للقيام بالمواجهة التي لا بد أن تتحقق مع الأمريكان.

قال أبو قدامة: كان أبو مصعب يتنقل في العراق في عهد صدام، فاكتشف من قبل المخابرات العراقية، وأدى به في النهاية أن يتوجه إلى سوريا، ولكن هناك حصلت المفاجأة أن المخابرات السورية عرفوا بوجوده، فقرر العودة إلى العراق، ولكن تاه الدليل لصعوبة

الطريق عليهم، فأخبره أنهم قرب الحدود الأردنية وسيكتشفون إذا تأخروا وكان الوقت ليلاً. وأثناء مسيرهم أصابته سنة من نوم فسمع هاتفا في المنام يقول له: "إن الله معك"، فكأنه نشط من عقال، وحين قاموا بالعبور من الحدود لم تكن المسافة بينهما وبين حرس الحدود السوري إلا بضع أمتار ففتح عليهم النار حرس الحدود السوري، لكن الله سلم ولم يصابوا بأذى. ثم دخل الأردن والتقى بـ سالم صويد الليبي (أبي عبد الله) وياسر فريحات. ومكث أيامًا معهما يقومون بإيوائه والتنقل به، والتقى بأمه وزوجتيه كما التقى بالشهيد ياسين والد زوجته. وقد قال لي الشهيد ياسين الذي قتل باقر الحكيم: إن أبا مصعب وهو متوجه إلى العراق ألقت الشرطة الأردنية القبض على الدليل، وكان أبو مصعب قريبًا منه لكنهم لم يروه، ثم رجع أبو مصعب وذهب مرة ثانية إلى العراق. وفي فترة تواجد أبي مصعب في الأردن حين أوشك على مغادرتها للعراق. قُتل أحد أعضاء السفارة الأمريكية في عمان، وتمت إلصاقها بأبي مصعب الزرقاوي وصاحبيه اللذَينِ آووه، ولم يكن لأبي مصعب ولا لصاحبيه سالم الليبي وياسر فريحات يد في قتل فولي. إنما ربما يكون قد قتل فولي بسبب خلافات داخل السفارة الأمريكية، ثم وضعت بعدو خارجي. وقد حكم على أبي عبد الله الليبي سالم صويد وياسر فريحات الإعدام شنقًا حتى الموت، بعد أن تمت إحباط عملية فرار لهما من السجن. وحين أرادت الشرطة تنفيذ حكم الإعدام، حصل في سجن سواقة إضراب عن الطعام ومناوشات بين الشرطة والمساجين على إثر تلك المحاولة، ثم اختصر الليبي سالم صويد وأخوه ياسر فريحات المشاكل مع النظام وإخوته، وقالوا: نتوكل على الله ثم ذهبوا طواعية ونفذ فيهما حكم الإعدام، ولقد رأيت ياسر فريحات وهو ملقى على السرير، وكان كأنه نائم مبتسمٌ وحزنت لحال هذين

الشابين. وشعرت أنهم ظلموا حقًا.

جمع فؤاد بن حسين عن أطرافٍ حادثةَ مقتل الصليبي مع تصرف يسير: أُتهم الزرقاوي بالوقوف وراء اغتيال الدبلوماسي الأمريكي لورنس فولي، الذي وقع بعمان، في شعبان عام ١٤٢٣هـ. وقد تبنى عملية الاغتيال آنذاك، تنظيم أطلق على نفسه اسم (شرفاء الأردن)، في بيان حمل رقم اثنين، وكان البيان رقما واحدا، قد صدر عن هذا التنظيم في جمادى الأولى عام ١٤٢٢هـ، حين تبنى مسؤولية اغتيال إسحاق سنير، وذكر في البيان بأنه عميل للموساد الإسرائيلي، كان يسكن في العاصمة الأردنية بجوار فولي. أصدر قبل قتل الدبلوماسي حكمًا غيابيًا بحق الزرقاوي مع أحد عشر شخصا آخر، بالسجن خمسة عشر عاما، في رجب عام ١٤٢١هـ، بتهمة التخطيط لهجمات على مواقع سياحية ودينية في الأردن، في مطلع الألفية الثالثة، تنفيذا لتعليمات تنظيم القاعدة وفق قرار الحكم.

اتهام الزرقاوي بعلاقته في اغتيال الدبلوماسي الأمريكي فولي، كان له هذه المرة وقعه الخاص، فالقتيل أمريكي، ورئيس الحكومة الأردنية المرتد علي أبو الراغب، أضفى على هذه الحادثة بعدًا دوليًا. في مجريات المحاكمة، الدليل الذي قدمه الادعاء العام لإثبات علاقة الزرقاوي بالمجموعة المتهمة بتنفيذ العملية، هي اتصالات هاتفية قال إنها جرت بينهم عبر أحد مساعديه أبي الغادية، ودخول الزرقاوي الأردن في رجب في نفس العام، وقبل شهر واحد من الاغتيال، والتقائه بالمتهمين وفق لائحة الاتهام.

اهتمت الوكالات الأمنية الأمريكية بالتحقيقات الخاصة باغتيال فولي، حيث قامت

الـ(FBI) بجمع الأدلة التي تدين مشاركة الزرقاوي بعملية الاغتيال، رغم أن هذه المشاركة الأمريكية مخالفة للقوانين الكفرية الأردنية، مما دفع محامي الدفاع إلى تسجيل اعتراضاته على نتيجة التحقيقات المبنية على تلك المشاركة. اهتمام الإدارة الأمريكية بقضية اغتيال فولي، والسعي لتأكيد ربطها بالزرقاوي، تزامن مع سعي الولايات المتحدة إلى تحشيد الدول والرأي العام العالمي، استعدادا لغزو العراق، بدعوى امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل، ودعمه لـ(لإرهاب العالمي).

أصدر تنظيم (شرفاء الأردن) الذي كان تبنى المسؤولية عن اغتيال فولي في حينه، بيانه الثالث يجدد فيه تبنيه لعملية الاغتيال، وأرفق مع البيان الذي أرسله إلى محامي الدفاع عن المتهمين بالاغتيال، مظروفي طلقتين للمسدس الذي استخدم بعمليتي اغتيال فولي، ومن قبله الإسرائيلي، نافيا أن يكون للمحكوم عليهم علاقة بهذه القضية.

قال أبو جعفر: وها هنا أروي لكم قصة دخوله للعراق كما رواها لي هو بنفسه –تقبله الله–، والتي جرت أحداثها في زمن الطاغية صدام حسين سنة ١٤٢٣هـ قُبيل دخوله الأمريكان، وسأسطر الرواية مختصرة، ولوجود معلومات أمنيّة أثناء الرحلة لا يمكن أن أذكرها.

يقول الشيخ الزرقاوي: "دخلت العراق عبر الحدود الأردنية العراقية –من منفذ طريبيل الحدودي– عن طريق التهريب؛ حيث طلبتُ من أحد سائقي الصهاريج أن أدخل داخل صهريجه؛ وذلك لعدم امتلاكي جواز سفر، ووافق السائق، وأبلغني أن في صهريجه بقايا نفط أسود، فتوكلت على الله، وقبعت داخل الصهريج، وبقيت داخله

حوالي ثماني ساعات، وقد نسيني السائق عندما عبر الحدود، وكدتُ أموت من تأثير الغاز المنبعث من النفط! حتى رحمني الله سبحانه، وتذكّرني السائق في اللحظات الأخيرة والحمد لله.

ونزلت في مدينة الرطبة، ومنها استأجرت سيارة إلى بغداد، وخلال الرحلة: لفتت ملابسي المتّسخة -من أثر النفط- نظر سائق السيارة، فسألني مستغربًا: 'لماذا ملابسك فيها دهن؟'، ناورته وأجبته: 'أنا صاحب سيارة، وقد تعطّلت في الطريق، ولا توجد أدوات احتياطية في الرطبة، لذلك أريد جلب الأدوات من بغداد'.

لم يَقنَعِ السائق بما قلت، وراح يحاول سحب المزيد من الكلام مني، إلا أنني تظاهرتُ بالتعب والنعاس؛ حتى ألفت منه؛ إذ إنني لا أعرفه، ولا أضمن أن يكون من المخابرات!

أما سبب رحلتي الحقيقي إلى بغداد؛ فكان رغبتي في إيجاد مكان للإخوة الذين جاؤوا من أفغانستان إلى شمال العراق؛ حتى أهيئ لهم معسكرات؛ كون الأمريكان قد عزموا على غزو العراق، وسيكون حتفهم فيها إن شاء الله".

قال أبو جعفر: وفعلا، التقى الشيخ -تقبله الله- بهؤلاء الإخوة، وكان منهم: الشيخ أبو علي الأنباري -تقبله الله-.

قال أبو حمزة المهاجر: وأصلُ القصّة أنّ الشّيخ أبا مصعب -رحمه الله تعالى-، دخَل عليّ يوماً وكانَ منقوعاً في النّفط الأسود، حتّى أنّه يكادُ يكونُ قد تسلّل إلى عِظامه!، فحكَى ليْ كيفَ جاءَ تهريباً في شاحنةِ نفطٍ، ثمّ حكَى ليْ رحلة الذّهاب أيضاً تهريباً إلى

تلكَ الدّولة، وممّا قالَ: إنّه وفي أثناءِ عُبورهم للحدود، اكتشف أمرَهم حرسُ الحُدود، فبدؤوا يُطلقون النّار بكثافة عليه وعلى المهرّب، فانبطحَ والمهرّب وبدأت الأنوارُ تقتربُ منهُم، وفي هذه اللّحظة نامَ الشّيخ، فرأى أنّ هاتفًا يناديه يقولُ: "لا تخَف، الله ينجيكَ فلا تعتمد على الأسَد أو حسين"، واستيقظَ على صَوت المُهرّب يقول قُم بسرعة، وزحَفوا غير بعيد، وإذا بالمهرّب يقول: "الحمدُ لله نجَونا"، فكتبتُ مشاعرَ ضاعَ معظمُها، وممّا علِق في الذّهن منها:

حمــــداً لربي يا حبيبَ فؤادي — على الســـلامةِ بَعدَ ضَـــربِ زِنادِ
في ليـــلةٍ ظلماءَ غارَ ضياؤها — نبَحَـتْ عليـك كلابُهُم بِســـوادِ
صيدٌ وحيدٌ أقبلوا وســـدّدوا — بسِهامِ حقدٍ لا يــفـــوتُ بِـــوادِ
وكيومِ بـــــدرٍ نامَ فيهِ أحمدٌ — فجـــاءهُ مِـــنَ العـــلـــيمِ منادِ
لا تعتمـدْ وذرِ الطُّغـاةَ بِغيّهم — وعـليـك باللهِ الرّحيـمِ الهـادي

فصل في حوادث العراق

حوادث عامي ١٤٢٤هـ–١٤٢٥هـ

بداية جند العراق

قال أبو حمزة: جلس أبو عزام وإخوانه وعلى رأس مجموعته أحد شيوخه وجلس الشيخ أبو مصعب وأبناؤه، وقال لهم: اليوم نريد العمل، وقد مضى عهد الكلام، وما جئنا هنا إلا للنزال ولكم عليّ أن أستعين الله في جلب رجال الحرب وأبطالها وأبناء الشهادة وعشاقها، فكونوا لي ظهراً أكن لكم يداً، وما نحن إلا جنود جئنا لخدمة الدين وإقامة شِرْعَة رب العالمين، فكان رد الحاضرين –أو جُلُّهم– أنك أنت الأمير ونحن لك جند فامضِ بنا على بركة الله، لكن أسد الرافدين امتنع من ذلك وأبى أشد الإباء، فما زال القوم به حتى حملوه على ما أرادوا حملاً وأكرهوه عليها كرهاً فاسترجع وحوقل وقَبِلَ البلاء على مضض. إن عدة من اتفق مع شيخ المجاهدين وأسد الرافدين على الجهاد في سبيل الله كانوا اثني عشر رجلاً ليس منهم اليوم في بلاد الرافدين فيما أعلم إلا اثنان.

قال أبو جعفر: وفي عام ١٤٢٤هـ، اجتاح الأمريكان العراق، وتم دخولهم إلى بغداد دون مقاومة تُذكر من الجيش العراقي، الذي تفكك وانهار خلال أيام. بعدها؛ تدفق المتطوعون للقتال من العرب، وبدؤوا منازلة الأمريكان، لكن دونما إدارة أو تخطيط، فبعض المناطق –وخاصة الرافضية منها– طردتهم أو غدرت بهم، إضافة إلى أن بعضهم رجع من حيث أتى وعاد أدراجه، إلا أن نهوض أسود التوحيد والجهاد كان قد بدأ، وقام أو تأسس لهم في مدينة الفلوجة، بعدد بسيط هو سبعة عشر مقاتلا، فبدأ الزرقاوي العمل

فورًا، وبعمليتين استشهاديتين؛ تمثلتا في ضرب السفارة الأردنية ومقر الأمم المتحدة، وقد تبنى الشيخ هاتين العمليتين في تسجيل صوتي، وبعد ثمانية شهور من اندلاعها، مما جعل السلطات الأمريكية في العراق تعلن تخصيص عشرة ملايين دولار مكافأة لمن يدلي بمعلومات حول هذا البطل.

قال أبو بكر البغدادي: الشيخ المجاهد أبو مصعب الزرقاوي –تقبله الله تعالى–: قد وفقه الله عز وجل في التنكيل والإثخان في أعداء الله تعالى من كفار ومرتدين، وكان إلى جانب ذلك العمل المبارك: يعمل على جمع شتات من يتوسّم فيهم الخير والصلاح والصدق في نصرة دين الله تعالى.

قال أسامة بن لادن: ظهر أبو مصعب ومعه ثلة من المؤمنين، كانوا سبعة عشر رجلاً، وليسوا سبعة عشر جيشاً، فتواثقوا وتعاهدوا، وعاهدوا الله تعالى أن ينصروا دينه، أو يهلكوا دونه. فخاضوا غمار الحرب، وبدؤوا الضرب، وذلك بعددٍ يسير من الكلاشنات، وعددٍ يسير من ألغام الدبابات، وعددٍ يسير من مدافع البازوكا، وكان أبو مصعب قد جاء مع بعض إخوانه في الفترة الماضية إلى الجهاد ضد الروس، فسابق إخوانه حتى سبق المتقدمين، ونطَقَ فَبَزَّ الناطقين، وبمجيئه وإخوانه إلى أرض أفغانستان أخذوا تطعيم معركة ضد القوى الكبرى، وزالت من أذهانهم أسطورة الدول العظمى، ونقلوا الجُرأة الكبيرة المتوثبة، والمعنويات الهائلة، من أفغانستان إلى بغداد، وأشعلوا فتيل الجهاد، وتفجرت طاقات الشباب في كل مكان، من أعلى الفرات إلى أسفله، ولله الحمد والمنة.

الغارة على سفارة المرتدين

قال أبو حمزة: كانت أول عملية على وكر من أوكار الفساد والإفساد والعمالة والخيانة، على وفد من وفود الشر ووكر من أوكار الردة. ولما استقر عند الشهيد أبي تراب الفلسطيني أن عقوبة المرتد أغلظ من عقوبة الكافر الأصلي، علم أن الواجب تقديمهم على غيرهم وخاصة إذا كانوا للكفار عيوناً، ولهم خدما وأعوانا ولأجلهم جاؤوا، ولمجدهم شمروا، كما هو حال السفارة الأردنية. فتم مراقبة الهدف وكانت تقع بالقرب من ساحة (يوم اللقاء) وإلى جوارها وفد المجرم شين العابدين حاكم تونس. وعُلِمَ أن النكاية الأكبر في السفارة الأردنية تكون من الخلف حيث الطريق إليها سالك والهدف من الخلف أسهل والعيون غائبة. لكن عين الرقيب كانت معنا، حيث أنه يوجد على حافتي المدخل الخلفي بيوت للسنة، والكمية كانت كبيرة (أي كمية المتفجرات) والشارع ضيق، فقرر الإخوة أن يكون هجوم البطل من الأمام حيث لا بيوت تتأذى من الانفجار، اللهم إلا سفارات الشر وأركان الخيانة وهو المطلوب. وفي تلك الليلة وكما هي عادته قام الشهيد يصلي ويدعو ويتضرع إلى الله.

وروى أبو حمزة عن الزرقاوي قوله: "بت معه تلك الليلة أشد أزره وأرفع همته أذكره، فإذا به يرفع همة أُمة، ويذكر من لا يتذكر بإقباله على الله وحسن الظن به". كان المصباح مُطْفَأً وأقسم أبو مصعب أنه رأى النور يشع من وجه كأنه البدر في الليلة المظلمة، فقال: "فانتابتني قشعريرة وشفقة على الرجل ووالله لولا الدين ما تركته قط ولقد هممت". وأصبح وركب الحبيب سيارته ومضى يمخرها نحو عز أمته راجيًا أن يحقق الهدف ويجرئ إخوانه

على عدو ماكر جبان، وبالفعل دمر الله السفارة الأردنية فقتل وجرح وأرعب أعداء الله.

كسر الصليبيين

قال الزرقاوي: فقد أكرمنا اللهُ فقطفنا رؤوسهم، ومزَّقنا أجسادهم في مواطنَ عديدة؛ فالأمم المتحدة في بغداد وقوات التحالفِ في كَربلاء، والطِّليان في الناصرية، والقواتُ الأمريكية علي جسرِ الخالدية، والمخابراتُ الأمريكيةُ في فندقِ الشاهين، والقصرُ الجمهوريُ في بغداد، والCIA في فُندقِ الرشيد، والقوات البولنديةُ في الحلة. وقد أُحيطت هذه العمليةُ المباركة بتكتيمٍ إعلاميٍ غيرِ مسبوقٍ في العراق، وأظهرَ الإعلامُ الخبيث أنَّ المتضررَ من هذه العملية هم الأبرياءُ وحدهم، ولم يذكروا أن أربعًا من الطائراتِ المروحية، هبطت إلى الموقعِ لنقلِ الجُثثِ النجسة من قواتِ التحالفِ الصليبي، وأن قتلاهم يزيدون على مئتيي جندي!

- وأخيرًا وليس آخرًا: الموساد الإسرائيلي في فندق جبل لبنان،
- وغيرُها وغيرُها في قائمةٍ طويلة، مضتْ بعضُ فصولها، والقادِمُ أدهى وأمرُّ بعونِ الله.

وَنحنُ نَتحدَّى الإِعلامَ الأمريكي الكاذب؛ بأن يُبينَ حقيقةَ الدَّمار، وحجمَ الخسائِر التي حلَّت بقواتِه، فَرامبُو هوليود لا مكانَ له بَينَ أُسودِ الإِسلامِ وأبطاله، ولنَا معهم –بإِذنِ اللهِ– صولاتٌ وَجَولات، وإذا كَانَ جُون أبي زيد قَد نجا هذِه المرَّةَ مِنْ سُيوفِنا، فَنَحنُ له ولبريمر وَلجِنرالاتِهم وَجُنودِهم وَأعوانِهم بالمِرصادِ؛ نتخطَّفُهم كالطيرِ، ونقطعُ عليهم كُلَّ

طَرِيقٍ، ونُشَرِّدُ بهم من خَلفَهم.

قال أبو حمزة: وحسبُك أن تعلم أن الحاج ثامر كان المسؤول المباشر، والأمير المناوب لاثنتين من أكبر العمليات في العراق في تلك السنة: الأولى مقتل عدوّ الله وصنيعةِ اليهود ورأس الرّافضة محمد باقر الحكيم. والثانية عملية مقر الأمم المتحدة الأولى والتي حصدت رؤوساً للكفر، وعلى رأسهم (سيرجيو ديملّو) والذي كان وجه أمريكا المفضل في حرب المسلمين في العالم، ومنها عملية فصل تيمور الشرقية عن إندونيسيا وتحويلها إلى دويلة نصرانية، ومسألة المسلمين في كوسوفو؛ ثم جاؤوا به ليتمّ المهمة في العراق. وقتلت في تلك العملية المباركة نادية يونس (نائبة الأمين العام للأمم الملحدة)، وثُلة من جنرالات الأمريكان ولله الحمد.

إشاعة أحد ممن كان معه أنه يتعاون مع المرتدين

أبو محمد العدناني في مناظرة مع أحد رؤوس الخوارج

قال أبو يزن الشامي: أنتم عندكم في القاعدة أشد من ذلك، قال العدناني: أين؟

قال له: لؤي السقا المسؤول الأمني لتنظيم (التوحيد والجهاد)، (تنظيم القاعدة) فيما بعد ذلك، اجتمع مع آصف شوكت في ألمانيا عند أول الحرب الأمريكية على العراق، واتفقوا على أن لا تقتربوا منا ولا نقترب منكم وهذا اتفاق معروف.

هنا تدخل العدناني وقال: هذا الكلام غير صحيح.

قال له: أخي الكريم هل تتكلم عن علم أم عن ظن؟

قال العدناني: عن علم أن الشيخ أبا مصعب عرضت عليه المخابرات السورية سلاحًا ورفض كي لا يُقال إننا أخذنا سلاحًا من البعث.

قال له: بارك الله فيه، وهذا على حد علمك، ولؤي السقا لا يزال حيًا وابن دعوته هو معنا.

قال العدناني: أنا أعرفه.

قال: جيد ابن دعوته معنا وإذا أحببت أن نرسل أولاده ليسألوه مرة ثانية ويعودوا.

قلت: قد يكون لؤي السقا والمكنى بأبي الربيع الشامي قام بذلك دون استئذان وعلم الزرقاوي. فمن عرف سيرة الأمير وحاله مع مرتدي المخابرات تبين له أنه افتري عليه إما من قِبل السقا أو المرتدين.

حادثة اعتقال كفار وإطلاقهم

قال ميسرة: القصة وما فيها أن ثلاثة أمريكيين مع مترجِمٍ عراقي ألقت القبضَ عليهم إحدى دورياتِ المجاهدين التي تَجوبُ أحياء الفلوجة مُراقِبةً للوضع الأمني ومحافظةً على سلامة السكان من أي اعتداء، إلا أن أحدَهما أسترالي الأصل والثاني إيرلندي الأصل، فأخذوهما ووضعوهما في غوانتنامو! وهو مكانٌ اعتاد فيه المجاهدون أن يضعوا فيه الأسرى قبل تأمين مكان خاص للأسرى، وشاع بينهم هذا الاسم نكايةً في أمريكا التي أَسَرَتْ كثيراً من أبناء الأمة الإسلامية وزَجَّتْهم في (كوبا). وما لَبِثَ الشيخُ الزرقاوي أن أَصْدَرَ أمراً بخياطة ٣ بِذْلاتٍ برتقاليةِ اللون لهم كما تفعل أمريكا بأبنائنا، فهذا جزاؤهم مثلٌ بمثلٍ، وأما العراقي المتآمر مع أعدائنا فلْيَنَلْ قدَرَه جزاءَ عَمالته مع الكافرين على أبناء أمته

من المسلمين.

وسارت الأمور ثانيَ يومٍ بعدَ الفجرِ على أتم ما يرام، وكانت مطالبُ جماعة التوحيد والجهاد سهلةً على الأمريكان كبيرٌ شأنها عند الشيخ الزرقاوي: إخراج أخواتنا المسلمات من سجن أبي غريب.

فقلت للشيخ: والمال؟!! فسارع بحزم ليقول: "المال لا نفكر به!"، يقصد أن مطالبنا أسمى من عَرَض دنيا. ولكنْ ما أنْ عُرف بهؤلاء الأسرى حتى سارعت الواسطات من هنا وهناك، والترجيات والاستجداءات، حتى أَرسل لواء محمد لطيف مبعوثاً يُنذر بأن المدينة ستتدمر بسبب هؤلاء!

فأَسْرُ هؤلاء الأمريكيين والتهديد بهم يُشَكِّل إحراجاً كبيراً لأمريكا خاصةً وأن لهم صلة بسلك الصحافة مما يعني أن الأمر سينتشر انتشارَ النار في الهشيم في الإعلام الأمريكي بل العالمي، وهذا يعني انخفاضَ شعبية بوش انخفاضاً مُخْزِياً، حتى أن أحد الموْفَدين للوساطة صرح للمجاهدين بأن بوشا مهتم بالقضية بنفسه، هذا فضلاً عن أن (مفكرة الإسلام) ذكرت على صفحات الإنترنت أن أحدهما ضابط كبير.

وفي غمرة الفرحة بهذا الصيد الثمين لإذلال الإدارة الأمريكية، ولتهشيم صَلَفها، وتحطيمِ غَطْرَسَتِها، أتتِ الصدمة القاصمة والمفاجِئَة حين قال المترجم العراقي: نحن ما كنا لندخل الفلوجة لولا أن فلاناً أَمَّننا من سكان الفلوجة واسمه كذا وكذا. وقد كان هؤلاء آتين من منطقة المزرعة، التي يعسكر فيها الأمريكان والقريبة من الفلوجة أتوا منها باتجاه الفلوجة. إلا أن المجاهدين متمثلون لأوامر قيادتهم واللجنة الشرعية ما كانت لتتحرك

خطوة واحدة إلا بهدي الكتاب والسنة. فكانت الفتوى: "أطلقوهم"!

لقد كان الأمر صعباً للغاية أن تَفوت من اليد هذه الغنيمةُ الباردة، حتى أنَّ أحد البسطاء قال: نعصي الله فيهم ثم نتوب، فعقّب الشيخ بحزم حازم وهو يروي عنه: "حاشا"، حاشا أن نعصي الله ولو في صغيرة مهما كان الخير بادياً في ظاهرها، فباطنه سوء العاقبة والعقاب، منه تعالى.

وازداد الطين بِلَّة، وتوسعت إغراءات الشيطان حينما جاء للمجاهدين خبرٌ من بغداد أنْ لا تُطْلقوا سراحهم لأنهم ضباط. وكان الإخوة المجاهدون على وشك الإطلاق، ولكنَّ القضيةَ محسومةٌ مهما كان وزنُهم السياسيُّ. نعم تم التأكد من صحة ادعائهم أنهم مُؤمَّنون فكان الأمر كما قالوا، واحد من سكان المدينة المسلمين ممن لا علاقة له بـ (جماعة التوحيد والجهاد)، أعطاهم الأمان، وبناءً عليه دخلوا المدينة، والنتيجةُ أنه ما عادَ يَجوز شرعاً مساسُهم بسوء فـ"المسلمون تَتكافأ دماؤهم، ويَسْعى بذمتهم أَدْناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سِواهم" و "قد أَجَرْنا مَن أَجَرْتِ يا أمَّ هانئ".

وكان فيما قاله الشيخ الزرقاوي وهو يسرد القصة: "الله يهديك يا فلان –وذكر اسم الذي أمَّنهم–، وعلى مرارة تركناه استجابةً للحكم الشرعي، خرجوا وخرج حلقي معهم، ولكنه دين الله، ومعاذ الله أن نتعدى حدود الله"!

قال لهم أحد الإخوة أثناء إطلاقهم: لَقَتْلُكم أحبُّ إليَّ من أي شيء إلا أننا سنُرْجِع لكم كل شيء ولو كان قطعة بطارية! فأعطاه الأخ حتى ثمنَ الحذاء الذي أُخِذ منه، والرجل امتلأ تعجباً من فَرْقِه إلى قدميه!!

وأما المترجم العراقي فحَدَّثه أبو البراء -رحمه الله- المقتولُ في عملية المطار عند الانسحاب، قال له: أنت هل عندك أخوات؟ أتقبل أن ينتهك الأمريكان عرضها؟ فكيف تَقْبَل بما تفعله معهم؟! فصار الرجل يبكي ثم قال: ما عدتُ لأعمل مع الصحفيين بعد الآن وتاب وصار يصلي! والله أعلم بصدق توبته، ولنا في هذا الظاهر. وأمّا الذي أمّنهم فقد أصدر الشيخ الزرقاوي أمراً بأن يُؤَدَّب بنوعٍ من التعزير حتى لا يُعيدَ الكَرَّةَ لوحده في التأمين، وأن يَتْرُك الأمر لأهل الحَلِّ والعَقْدِ في مدينته.

حادثة القنصل الإيراني

قال أبو حمزة: أما القنصل الإيراني فقد حدثت أيام (التوحيد والجهاد) وهو اجتهاد الإخوة ولا تلزم تبعاته الدولة الإسلامية، ومع ذلك فقط كنت شخصيًا طرفًا في بعض الفصول. فلقد علمت بخبره من الأخ أبي عبد الرحمن المصري أو أبي إسلام -رحمه الله- (وهو من السابقين إلى الجهاد في أفغانستان ومتهم بتدمير المدمرة كول في اليمن)، وعلم بالخبر من الأخ أبي عبير الجنابي -رحمه الله- الذي كان يومها من قادة الجيش الإسلامي وذلك قبل أن يصل الخبر إلى الإعلام.

وجاء إلينا أبو عبد الرحمن في الفلوجة يقترح أن نبادل الأسير بالإخوة في إيران أو ببعضهم. وكُلف أبو عبد الرحمن أن يبلغ الخبر للجيش، وبالفعل أوصل هذه الرغبة إلى الأخ أبي عبد القادر -رحمه الله- وكان أيضًا من أمراء الجيش الإسلامي حينها. وسافرت إلى اليوسفية للقاء قادة الجيش لهذا الهدف وبتكليف من الشيخ أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله-، ولكن بعد وصولي إلى اليوسفية صعقت حينما رأيت الفضائيات تنقل الخبر

الذي يشترط فيه الجيش الإسلامي إطلاق سراح جنود الجيش العراقي السابق مقابل إطلاق سراح الأسير. وظننت أن خبر المفاداة بالإخوة لم يصلهم، واجتمعت بأبي أيوب المسؤول العسكري للجيش الإسلامي وأمير الجنوب وعضو مجلس الشورى، وكان مع أبي المعتصم عرّفوه لحينها أنه نائب أمير الجيش، وعاتبتهم فادعى أبو أيوب أنه لا علم له بخبر رغبتنا في مفاداته بالإخوة.

وحينها دخل أبو عبد القادر -وكنا في بيته- فسألته: ألم توصل الخبر للمشايخ؟ قال: بلى، قلت لأبي أيوب حينها احمر وجه الرجل وبدأ يلتمس الأعذار، وقلت لهم: إننا الآن لا نستطيع أن نفعل شيئًا ما دام الأمر كما فعلتم وقد خرج للعلن وهو ما يعيق المفاوضة، ثم إن إيران ردت أنها أطلقت بالفعل بعد السقوط كل أسرى الجيش العراقي. وجاء وفد من الجيش الإسلامي إلى الفلوجة وسلموا القنصل إلينا بعد أن احتاروا في كيفية التصرف معه، واشترط عليهم الشيخ أبو مصعب أن نتصرف فيه بما نراه مناسبا حتى لو أطلقنا سراحه، فقالوا: كما تشاؤون. وكان رأي الشيخ والإخوة أننا لا نستطيع قتله لأنهم ربما تصرفوا مع الإخوة أو بعضهم بنفس الأسلوب، كما لا حاجة لنا في فدية مالية ربما يعود ضررها على معاملة الإخوة هناك. وقال لي ساعتها الشيخ أبو مصعب: "لقد ورَّطنا الجيش الإسلامي!". فكان قرار الإخوة أن يطلق سراحه محملاً برسالة تهديدية للحكومة الإيرانية أن لا يلعبوا بملف الإخوة عندهم ولا يخرجوا أسماءهم إلى الإعلام وهو ما التزموا به حينًا من الزمن.

قتل أحد أئمة المشركين

قال الزرقاوي: وَلقد أكرَمَنا اللهُ فِيمَا مَضَى بقَتلِ الحكيم، الذي كَانَ يَقطُرُ خُبثًا وَمكرًا وعداوةً لِأَهْلِ الإِسلام؛ فقد أطلقَ العَنانَ لفيلَقِه فَيلقِ الغدر، أن يَسفِكُوا دِماءَ المُسلمين، وَيَهتِكُوا أعراضَهم، ويَستَولُوا على مَساجِدِهم؛ فَكم مِن مَسجدٍ اغتَصبُوه! وَكم مِن عِرضِ حُرَّةٍ مُسلِمةٍ انتَهَكُوه! وَكم مِن دَمِ مُسلمٍ مجاهدٍ سَفَكُوه! وَكَم مِن أسيرٍ وأسيرةٍ بسببهم تَسلَّط عَليهِمُ الأمريكَان! وَحسبُنا أنَّنا لم نَسمَع أن رافضيًّا أو رافضيةً استاقَهُمُ الأمريكانُ أسرى، بَينَما سُجُونُهم مَلأى بِالأَسرى مِن رجالِ ونِساءِ أهلِ السُّنة، وَلتَسمعِ الدُّنيا أنَّنا مَاضُونَ بعونِ اللهِ فِي قَتلِ أئِمَّتِهم وحَصدِ رُؤوسِهم؛ غَضَبًا لأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي والحسن والحسين وعَائشة، وَثَأرًا للدِّمَاءِ المَسفُوحة، وَالأعرَاضِ المُنتَهبة، وَالمَساجدِ السَّلِيبة.

قال أبو عمر البغدادي: وأقول بالله عليكم ألا تعلمون أنه يوم أن جاء الحكيم وبخيله ورجله كأنه فرعون يوم الزينة فتقدم إليه أكبر المهاجرين سنا وأقدمهم جهادا وأقربهم إلى الأمير أبي مصعب الزرقاوي نسبًا، فهو عمّه وأبو زوجته، البطل الكرار أبو أُسيد، فقال: "أنا له بعون الله!"، وفجّر نفسه في موكب عدو الله فقطعه والعشرات من كبار فيلقه.

قال أبو أنس: والحجي ثامر -رحمه الله- هو الذي أشرف على عملية قتل السفيه (باقر الحكيم).

قال أبو حمزة: وحسبُك أن تعلم أن الحاج ثامر كان المسؤول المباشر، والأمير المناوب

لاثنتين من أكبر العمليات في العراق في تلك السنة: الأولى مقتل عدوّ الله وصنيعةِ اليهود ورأس الرّافضة محمد باقر الحكيم.

حوادث عام ١٤٢٥هـ

ذبح بيرغ

قال الزرقاوي: أمَا سمعتم كيف استنكروا ذبح الأمريكي (بيرغ)؟! فلقد سعى بعض الوسطاء في استنقاذ هذا العلج، وبذلوا لنا ما شئنا من الأموال -مع حاجتنا الماسة إلى المال نضخه في عجلة الجهاد-، ولكننا آثرنا أن نثأر لأخواتنا وأن ننتقم لأمتنا، ونحن قد عاهدنا الله على أن نُحيي الأمر العتيق، ونلزم سُنن الراشدين. واستنهاضًا للعزائم، وإقرارًا لعيون الموحدين في مشارق الأرض ومغاربها؛ عزمنا على ألا نفادي هذا العلج ولو دفعوا لنا وزنه ذهبًا، بل إننا عاهدنا الله ألا نفادي أسيرًا بمال مهما بلغ، مع إقرارنا بجواز ذلك، ولكن حتى يعلم أعداء الله أنه ليس في قلوبنا هوادة ولا رحمة لهم؛ فإما فك العاني، وإما النحر.

وأعجب عجبًا لا ينقضي من موقف بعض المنهزمين من أصحاب الخور والجبن، الذين أماتوا علينا ديننا، ورضوا بالهوان، وعلى رأسهم حارث الضاري (الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق)، الذي صرح في بعض مجالسه الخاصة بأنه ما عاد يستطيع أن يرفع رأسه بسبب ذبح الأمريكي، والمنصر الكوري الجنوبي! فأقول له: لقد كنت أظن من قبل أنك ستحفر قبرًا وتنام فيه حتى يأتيك الموت؛ خجلًا من عجزك عن مناصرة أخواتك المسلمات اللواتي انتهك عرضهن في سجن أبي غريب، الذي يقع على بعد مئات الأمتار من بيتك! أو أن تقسم أنك لن تلبس عقالًا على رأسك، ولن تذوق طعامًا، ولن يغمض لك جفن؛ حتى تستنقذ أخواتك أو تهلك دون ذلك؛ ولكن

وللأسف لم يحصل شيء من ذلك! غاية جهادك أن تمد حبال الود مع الرَّافِضَةِ! ألا تذكر مواقف الخزي والعار التي ذللتك إلى يوم القيامة؟ حين جمعتكم لقاءات الشر مع جواد الخالصي، فخاطبته قائلًا: "كنت أسمع عن صبرك وجلادك؛ فآليت على نفسي إن لقيتك أن أقبل رأسك، وحان وقت الوفاء"، ثم قمت مبادرًا فقبلت رأسًا مُلئت بالحقد على الإسلام، رأس لا يفتر لسانه عن الطعن في عرض نبيك محمد ﷺ! فقل لي بربك: بأي وجه تقابل نبيك يوم الحشر؟ لقد كنت ضاريًا حقًّا على أهل الإسلام؛ حين اتهمت رموز الجهاد بالعمالة، ولكنك كنت جِملًا وديعًا مسالمًا مع الرَّافِضَة؛ فتبرعت لهم بمساجدنا بزعمك أنها حجارة ويمكن أن يبنى غيرها! فإلى الله نشكوكم، وبين يديه سنوقفكم ونسألكم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

معركة الفلوجة الأولى

قال الزرقاوي: معركة الفلوجة الأولى كانت آية من آيات الله الباهرة، وكانت عبرة لكل المسلمين، وحجة على القاعدين. لم يكن الإخوة قد خططوا لتلك المعركة، وما توقعوا أبدًا وقوعها أصلًا، ولو عرضت علينا خطة هذه المعركة -كما جرت- قبل وقوعها ما كنا لنقبل بها. قد يرى البعض أن خوض غمارها ضربٌ من الجنون ونوعٌ من التسرع؛ فالإخوة كانوا بالعشرات وعدتهم قليلة، ويقطنون مدينة صغيرة مكشوفة للعين المجردة، فضلًا عن أجهزة العدوّ المتطورة.

اتفقنا مع الإخوة على أن يكون هناك مفارز في النهار توزع على طول خط المواجهة، وفي الليل تُصنع الكمائن لاصطياد ما أمكن اصطياده من أرتالهم؛ من خلال العبوات

الناسفة، أو المواجهات المباشرة، التي تستغل غطاء الليل وتضرب العدوّ من حيث لا يحتسب.

ومن المعروف أن سبب الغزوة الصليبية للفلوجة: كان مقتل المقاولين الأربعة، وهم في الحقيقة ليسوا مقاولين، بل كانوا ضباط مخابرات كبار، وقد وجد الإخوة بحوزة هؤلاء الضباط بعض الخرائط التي تشرح خطة اقتحام المدينة، وكان هؤلاء الضباط يتجولون في أحياء الفلوجة؛ لمسح المنطقة، ووضع اللمسات الأخيرة على خطة مهاجمة الفلوجة، ولما تمكن الإخوة من قتلهم: تذرعت أمريكا بتلك الحادثة لمهاجمة المدينة، وإلا فإن التهديد كان قائمًا قبل ذلك ومُعَدًّا له قبل مدة ليست بالقصيرة، وقد أراد الصليبيون كسر شوكة المجاهدين من خلال البطش بهذه المدينة العصية على جبروتهم.

حاصر الصليبيون مدينة الفلوجة تسعةً وعشرين ليلة كما هي عدة ليالي غزوة الأحزاب، وبعد مرور تلك الليالي العصيبة على الإخوة المحاصرين: كسر الله تعالى شوكة العدوّ، وأسقط هيبتهم على يد ثلة قليلة، لا تمتلك غير السلاح الفردي الخفيف، وليس لها من ملاجئ تقيها بأس القصف العنيف الذي وجهته طائرات العدوّ ومدافعهم الثقيلة غير حفظ الله تعالى.

إنّ أعظم الكرامات التي رأيناها: أن الإخوة المقاتلين دفاعًا عن المدينة كانوا بالعشرات، وما بلغوا المئات، وفي نهاية المعركة بدأت الذخيرة تنفد، وكان بعض الإخوة يترك ثغره، ويأتي إلى الإخوة في وسط المدينة فيأخذ رصاصة من هذا ورصاصة من ذاك، ثم يرجع إلى مكمنه عند ثغور المدينة، هكذا واجه الإخوة آلة الأمريكان وعدتهم، لكن لما علم

الله تعالى أن الإخوة قد استنفذوا الوسع واجتهدوا في إرضاء ربهم؛ عند ذلك أذِن الله تعالى بانكشاف الغمة، وألقى الرعب في قلوب الأمريكان، وأخذ بنواصيهم بعيدًا عن أطراف المدينة، وأرجع جيشهم الجرار ذليلًا خائبًا، ليطلبوا الهدنة فلا يحصلوا عليها، ويتوسل بعض أطراف النفاق للحصول على الأمان لجيشه ساعة انسحابه، انسحب جيش الصليب مخذولًا مطاردًا تتخطفه سرايا الإخوة قتلًا وأسرًا وغنيمةً.

هذه المعركة؛ كان فيها عبر عظيمة؛ فقوة بهذا العدد وبهذه العدة، وطائرات ودبابات ومدرعات وجميع الأسلحة، وقرابة ثلاثين ألف جندي: لا يستطيعون أن يقتحموا المدينة؛ هذا إن دلّ دل على أن النصر من عند الله، وأن للأمة هذا المثال الصغير في مدينة صغيرة لا تزيد عن خمس كيلومتر مربع؛ تستطيع أن تثخن بهذا العدوّ وبفضل الله عزّ وجل، هذا مثال للأمة أنها تستطيع أن تفعل ما فعله هؤلاء؛ أي أن الله عزّ وجل أراد أن يضرب مثلًا للأمة

وقال الزرقاوي: الحزب الإسلامي العراقي وحلفاؤه، وتاريخه مع الجهاد وأهل السنة معروف؛ فهو من رضي أن يكون طوق النجاة الذي أنقذ أمريكا في معركة الفلوجة الأولى، والتي كادت تعصف بالوجود الأمريكي في العراق، لولا الهدنة التي سعى إلى إبرامها هذا الحزب؛ لإنقاذ السيد الأمريكي من المستنقع الذي غرق فيه، بعد أن ضيق الخناق على القوات الصليبية والرافضية حول الفلوجة، وبعد أن قطع المجاهدون –بفضل الله تعالى– طرق الإمداد عنهم، واشتعلت الأرض من تحت أقدامهم، حتى أن ناقلاتهم وعرباتهم علقت في الطريق نتيجة نفاذ الوقود، ولقد حدثنا الإخوة ممن كانوا أسارى في

سجن أبي غريب: أن إدارة السجن أثناء معركة الفلوجة قد أيقنت بالهلكة، بعد أن قام المجاهدون بقطع جميع الطرق المؤدية إلى السجن، وأن المجاهدين قادمون إليهم لا محالة، فجاءت إدارة السجن يسألونهم: "ماذا أنتم فاعلون بنا إذا جاءنا المجاهدون؟"، فقال لهم الإخوة: "تسلمون أسلحتكم لنا مقابل أن نؤمنكم"، واتفق الطرفان على ذلك، فقام الحزب الإسلامي بمبادرته -غير مشكور عليها- بإنقاذ سيده الأمريكي

قال أبو أنس: قبل الأحداث بنحو عشرة أيام أو تزيد قليلاً، وبأمر من القائد أبي مصعب الزرقاوي اجتمع المجلس العسكري في المدينة وجرى استعراض الوضع ودراسة المتغيرات وكانت النتيجة مؤلمة وقاسية. ووجدنا أنه وبعد عام من الجهاد ما زلنا لم نحقق شيئاً على الأرض ولا يجد أحدنا شبراً يأوي إليه أو مكانا يلوذ به آمناً في بيته بين أفراد سِرْبِهِ. واتفقنا أن تقسم المجاميع إلى مفارز تنتشر في الليل وتظل يقظى في النهار تحرس أطراف المدينة وتذود عن حماها. انتشرت الخلايا وكمنت السرايا وتقدمت أرتال عسكرية أمريكية وتتابعت الأحداث وحمي الوطيس ودرات رحى معارك عنيفة.

وقال: أثناء المعركة أرسل إلينا الشيخ أبو مصعب الزرقاوي يستشيرنا في المجيء ليشارك بنفسه مع الشباب ويُلحُّ في هذا وبقوة، وكان رأي جميع الإخوة الكبار ألا يفعل، وسألناه بالله وأقسمنا عليه ألا يفعل ضنًّا به وحفاظاً عليه، وحتى لا تتوحش أمريكا أكثر وأكثر إذا تسرب خبر وجوده في ساحة الفلوجة، ولكننا كنا معه على اتصال يوميّ، وكان رسوله في ذلك البطل الزاجل أبا عبد الرحمن من الجزيرة ناحية الرمادي. كان يغدو ويروح كل يوم بالبلم (الزورق) تارةً وسباحةً أخرى والرصاص فوق رأسه، وكان لنا نعم الرديفُ

والمعين، فبالإضافة إلى نقل الرسائل تولى نقل كميات من السلاح والإشراف على عبور كثير من الإخوة.

قلت: للمزيد حول المعركة ارجع إلى (لفت الأنظار لما جاء في معركتي الفلوجة من أخبار).

غزوة يوسف العييري

قال أبو أنس: كنا نتربص أيام معركة الفلوجة وننتظر ضربة البصرة البحرية، وذلك أننا كنا نأمل أن تكون ضربة قاصمة تزلزلهم وتَهُدُّ بنيانهم فيضطروا إلى فكر الحصار وتخفيف الضغط علينا. وكلما رُسِمت في شاشات التلفاز إشارة خبر عاجل تحفزت النفوس واشرأبت الأعناق.

حتى أذن الله بالفرج فكانت أولاً ضربات مراكز الشرط في البصرة وكانت ضرباتٍ موجعةً منكية -بحمد الله- وتبِعتها بحمد الله قاصمةُ الظهر لهم، غزوة يوسف العييري -رحمه الله- البحرية. صحيح أن العملية لم تكن تمامًا كما قُدِّر لها، وذلك أن دوريةً من أربعة عشر جنديًا بريطانيًا اشتبهت في أحد القوارب فأوقفوه وانتقلوا إلى قاربه للتفتيش فما كان منه إلا أن فجر فانتقل وإياهم إلى الدار الآخرة. وليسوا سواء إن شاء الله. فتوتر الجو وانكشف الأمر قبل أن تبلغ بقية القوارب منتهاها، ومع ذلك فقد كانت ضربةً موجعةً وحسبُك أنهم لم يُظهروا صورة للميناء ولميدان العملية، كما وانقطع ضخ النفط شهوراً متطاولة. وكان ينبغي أن تُفجّر ناقلتان كبيرتان وثلاث مدمرات حربية للقوات الأسترالية، كانت الضربة موجعة، ومع ذلك فنحن نُقِرُّ أنا لا ندري حجم الخسائر ذلك أن الموقع كان على بعد خمسِ ساعاتٍ من الشاطئ؛ لذا فقد كان تصوير الأحداث

متعذرًا، ولكن حسبُك إضافةً إلى ما تقدَّم أن رئيس الوزراءِ الأستراليّ جاء سريعاً وفي زيارة خاطفة إلى العراق، وكفى بهذا شاهدًا.

محاولة تدمير وكر لجواسيس الشام

أخرج مرتدو الشام في الإعلام أحدًا ممن اعتقل بتهمة محاولة تدمير الوكر: **قال عزمي الجيوسي**: في العراق بدأت بالتدريب لحساب أبي مصعب دورات متفجرات وسموم على مستوى عال ثم بايعت أبا مصعب الزرقاوي على السمع والطاعة، وبدون ما أناقش همشي معه. بعد هيك، سافرت أفغانستان، والتقيت بأبي مصعب الزرقاوي مرة ثانية في العراق بعد رجوعي من أفغانستان إلى العراق. كان معه موفق عدوان أردني الجنسية، كنت أعرفه سابقا في أفغانستان وهناك كلفني أبو مصعب بالنزول إلى الأردن أنا وموفق عدوان لتأسيس عمل عسكري على الساحل الأردني. ورتب طريق تهريبي إلى الأردن عند وصولي إلى الأردن، التقيت بأحد العناصر التابعة لأبي مصعب (سوري الجنسية) يدعى هيثم عمر إبراهيم وكان قد رتب بيوتًا آمنة.

قال الزرقاوي: فقد تناهى إلى سمع العالم الصخب والضجيج الذي أثارته دوائر الأمن في الأردن، وهي تحاول أن تصور الشعب الأردني كضحية مستهدفة، تحاول أيدي الإرهاب الوصول إليها للفتك بها والنيل منها، في مشهد درامي يستثير العواطف، ولتُظهر للناس أنها الدرع الحصين، والسيف القاطع، ضد من يتربص بأمن الشعب؛ في محاولة فاشلة لإخفاء الوجه القبيح لحقيقة دور هذه المؤسسات، التي أنشبت أظفارها، وغرست أنيابها في قلوب أهل الإسلام تعذيبًا وتشريدًا وقتلًا وأسرًا؛ حراسة لجناب دولة اليهود،

وصيانة لأمنها، تمامًا كما صرح أحد ضباطها لأحد ليوث الإسلام في سجونهم، وهو يسخر منه ويهزأ قائلًا: "إياكم أن تحلموا بتحرير القدس ما دامت المخابرات الأردنية موجودة"! كلمات حق نطق بها كاذب دعي، تصور حقيقة ماثلة للعيان لا يجهلها إلا العميان.

وهنا لا بد من وقفات؛ فقد كذبت المخابرات الأردنية مرتين:

- مرة حين زعمت أننا كنا نعد للفتك بأهل الإسلام، وقتل الأبرياء من السكان،

- وثانيًا حين زعمت أنها أفشلت المخطط؛ حفظًا للبيضة، وصيانة لدماء أهل الإسلام؛

فما فعلوا ذلك إلا ذبًّا عن أسيادهم، وحماية لأوليائهم من اليهود والنصارى، وما كان لنا نحن أهل الإسلام أن نجترئ على قطرة دم حرام نهريقها بغير حق، فنحورنا دون نحوركم، وأرواحنا فدًى لكم، ودماؤنا نهريقها دفاعًا عن الإسلام وأهله، وما ذُكِرَ من أرقام خيالية، وأنها قنبلة كيماوية تقتل الآلاف من الناس: فهذا كذب محض.

فعلم الله أننا لو ملكنا -ونسأل الله أن ييسر ذلك قريبًا- أننا لو ملكنا هذه القنبلة: لَما ترددنا لحظة واحدة أن نسعى حثيثًا في ضرب مدن إسرائيل كإيلات وتل أبيب وغيرها، فالأطنان التي صُنِعت هي من المواد الأولية التي تباع في الأسواق، كما ذكر الأخ عزمي الجيوسي -فك الله أسره-، وأما القنبلة الكيماوية والسموم فهي تلفيق من أجهزة الشر الأردنية، ولقد ظهر ذلك جليًّا، فآثار التعذيب كانت بادية على وجه الأخ ويديه،

نعم؛ كانت الخطة أن يدمر مبنى جهاز المخابرات كاملًا، فالعملية كانت لمنابع الشر الأسود في ديارنا.

استشهاد أبي أنس الشامي

قال ميسرة: تهيأَتِ الجموع صَوْبَ أبي غريب بقيادة القائد الشجاع أبي أنس الشامي ومعه من خيرة القواد الميدانيين لفك أسرى المسلمين الذين أسرهم الصليب وأعوانه ولم يقدم لهم العالَم الإسلامي والعالِم الإسلامي أكثر من اللسان. وكان الشيخ الزرقاوي –رحمه الله– يتفقد الإخوة عصر الخميس بسيارته فجاءنا أبو أنس يودعنا، ومد رأسه ليودع حبيبه الشيخ أبا مصعب، لقد كانت صفحة وجهه كالقمر المتلألئ حتى أنها لفتت نظري وقد انحدرت دموع الوداع منه فسألت عبد الرحمن البصراوي –السائق–: أكان أبو أنس يودع هكذا في كل مرة؟ لقد تسلل إلى نفسي شعور قوي أنه اللقاء الأخير بيننا، حقاً لقد جمع أبو أنس بين النقيضين عادة: الرقة والشجاعة، وهكذا كان الجيل الذي أعده نبينا عليه الصلاة والسلام فرسان في النهار رهبان في الليل.

وانطلقت الجموع وغادرنا مع الشيخ الراحل نتعشى في إحدى بيوتات الأنصار الذين أحبوه وأحبهم؛ وتجاذبنا أطراف الحديث وتطرقنا إلى القرضاوي ما له وما عليه، وإلى علاقة الشيخ السابقة بشيخ المجاهدين أسامة بن لادن وسبب عدم انضمامه في أفغانستان إليه، وأحداث (سبتمبر). كانت جلسة غزيرة، وإذ بأمير الفلوجة يدخل علينا ليخبر الشيخ بالخبر المفجع! كمين من الأمريكان، وتَزامَنَ هذا مع إعلان الفضائيات –الجزيرة وغيرها– نبأ مقتل ٦٠ عنصراً من جماعة التوحيد والجهاد، فانقطعت شهيتنا للطعام، ولم

يكن ثمة متسع من الوقت لاستجلاء الخبر فلا بد أن ننتظر على جمر الصبر إلى الصباح.

جاء الصباح الثقيل وتضاربت الأنباء عن القتلى من ومن؟ كلنا يستجلي الحادثة ويستبين الخبر، ويستلهم من مولاه الصبر؛ قُتل أبو عمار، وأبو محمد اللبناني، وتضاربت الأنباء عن أبي أنس، وتوجَّهْتُ إلى حي الشهداء وإذ بأبي ميسرة العراقي هناك في زيارة.

فما أن سَمِعَ نبأ أبي أنس حتى انفجر بكاء لدرجة أنه أدَهشني! فما كنت لأتوقع منه كل هذا البكاء، ورحت أزيل غشاوات الشائعات بما استطعت من قوة بيان إلى حين تَبَيُّن الخبر، وجاء المساء، ودخل جنح الليل فَوَصَلَنا قرص فيه صور القتلى، فسارعت مع الشيخ إلى الحاسوب وبدأنا ننظر الصور واحدة واحدة، وقلوبنا تَدُقُّ تنتظر المفاجآت، حتى خرج الوجه النَّيِّر والأصبع الموحدة والتراب المهال عليه -رحمه الله- فعرفنا أنه حق. لقد تجَلَّد شيخنا الراحل لهذا النبأ تجلداً كبيراً وكأني بدمعته قد احتبسها في محاجره ينتظر اختلاء منه بنفسه ليسكب كل ما جمَّعه فيهما، وسرعان ما وجهني إلى المضافات والمفارز وسائر الأحياء، وقال: "صارت مهمتك الآن صعبة"، يعني في المجال الشرعي بعد فَقْدِ أبي أنس، وطلب مني أن أجوب المفارز وأرفع الهمة، وأخفف الأحزان ببلسم الآلام.

وبسبب الحادث المفجع أصدر شيخنا -رحمه الله- أمراً بمنع كل الجوالات وانضبط الإخوة فكانت ضربةً موفقةً للعدو إذ استفاد كثيرًا من الجوالات فيما سلف. فعَجَباً الآن لإخوة -وخاصة المهاجرين- كيف يستعملون الجوال والمعصية تكتنف المتصل لحظة بلحظة حتى يغلق السماعة ويتوب ويعزم ألا يعود.

وحسبنا عدد القتلى فإذا به حوالي الثلاثين، فما أكذب الإعلام، وما أكذب الجيش

الأمريكي المفلس اللعين! وشتان ما بين الفريقين: المجاهدين والصليبيين؛ فالشيخ أبو مصعب أبى وبشدة ذات مرة نشر خبر فيه زيادة في عدد خسائر العدو عن الحقيقة، وقال بما معناه: "المسلمون ينظرون إلينا وينتظرون منا فلا يجوز أن نخونهم ونُلَبِّس عليهم كما يفعل عدونا".

فتنة الفاقة

قال أبو دجانة: روى لي قائد تخرج من خنادق العراق عمن عايش فصولها. زمان القصة كما يغلب على ظن الراوي أنها بُعيد ملحمة الفلوجة الأولى وقبل الثانية. كان أميرنا أبو مصعب -تقبله الله- قد اشتد به وبصحبه الحال، وضاقت بهم السبل، فقل المال في أيديهم وضعفت الأسلحة والعدة. قريبًا من تلك العصبة الطاهرة ليس بالبعيد كانت قوافل الإمدادات لا تقف عن النجف؛ قافلة تلو القافلة تحمل السلاح والغذاء والمال. عين ما يحتاجه رفاق أبي مصعب. لم تكن النجف يومها هدفًا لضربات أشاوس التوحيد ولا مرمى لأقواسهم. وهنا شاء الله أن يبتلي أبا مصعب وصحبه؛ علم الخبيث المرتكس مقتدى الصدر بعسر حال أجناد التوحيد والشدة الدائرة عليهم فبعث مرسولاً إلى أبي مصعب مفاده أنه مستعد أن يمده بكل ما شاء ويحتاج؛ المال والرجال والعتاد في مقابل التعاون معه فقط.

عرض على الشيخ أن يلتقي به إن شاء في حمى عرينه أو يقدم عليه النجف تحت حمايته. عرض المقترح على مجلس الشورى وطرح للمناقشة. وافق مجلس شورى الجماعة بالإجماع على قبول العرض واستلام المعونات. قالوا هي غنائم سيقت لنا نتقوى بها في

قتالنا ولا نتنازل عن مبادئنا، هذا ما خرج به المجلس. قال الأمير: "معاذ الله أن أضع يدي في يد رجل يسب أم المؤمنين عائشة". لم يكتف فارس الرافدين بهذا القرار الحاسم الجلي إنما أتبعه قوله لإخوانه: "وإن رأيتم أن تقبلوا العرض فاجعلوني كأحدكم وليتول الإمرة غيري وأنا له سامع". رفض المجلس أن يتولى أحد غير أبي مصعب المسيرة وأمضوا رأيه ومضوا خلفه لم يتخلف منهم رجل.

قلت: ما روى أبو دجانة فيه نظر، والراوي مجهول، وقيل: إنه ريان أبو حميد.

بيعة الأمير لشيخ المجاهدين

ذكر في بيان جماعة التوحيد والجهاد: كانت هناك اتصالاتٌ بين الشيخ أبي مصعب مع الإخوة في القاعدة منذ ٨ أشهر، وتم تبادل وجهات النظر، ثم حصل انقطاع قَدَري، وما لبث أن أكْرَمَنَا الله بعودة الاتصالات، فَتَفَهَّم إخواننا الكرام في القاعدة استراتيجية جماعة التوحيد والجهاد في أرض الرافدين (أرضِ الخلفاء)، وانشرَحَت صدورهم لمنهجها فيها.

ومع إطلالة شهرِ رمضانَ شهرِ العطاءِ والانتصارات، وفي ظرفٍ أحوجَ ما يكونُ فيه المسلمون إلى لَمِّ شَمْلِهم ليكونوا مخرزاً في أعين أعداء الدين؛ نَزُفُّ إلى أمتنا الغراءِ خيرِ أمة أخرجت للناس بشرى تُفْرِح المؤمنين وتُميت من شدة الغيظ الكافرين، وتُرْعِبُ كلَّ عدوٍّ للمسلمين. نَزُفُّ إليها نَبَأَ بيعةِ جماعة التوحيد والجهاد أميراً وجنوداً لشيخ المجاهدين أسامة بن لادن على السمعِ والطاعةِ في المَنْشَطِ والمِكْرَهِ للجهاد في سبيل الله حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدين كله لله.

قال أبو بكر البغدادي: حدّثني من سمع من الشيخ أبي مصعب أنه قال: "عندما بايعت الشيخ أسامة والله ما كنت بحاجة إليه لا في المال ولا في السلاح ولا في الرجال ولكنني رأيته رمزًا للأمة في نصرة دين الله تعالى فنزلتُ تحته".

وقال: عندما بايع الشيخ أبو مصعب -تقبله الله تعالى- تنظيم القاعدة: كان يعلم كم ستكلف تلك البيعة أهل السنة في العراق، وكم ستكلف أبناءه وإخوانه المجاهدين، إلا أن مرضاة الله تعالى كانت فوق كل الحسابات البشرية، فكفاه الله تعالى مؤونة الناس.

معركة الفلوجة الثانية

قال الزرقاوي: أحيت المعركة من جديد معاني العزة والكرامة والإباء، وأيقنت الأمة أن هناك ثلة من أبنائها قادرين على مواجهة الأخطار الكالحة بكل جرأة وثبات وعزيمة، وأن هذه الثلة صدقت مع أمتها في خططها ومشروعاتها التي أعدتها لانبعاث الأمة من جديد، وبذلت من أجل ذلك كثيرًا من دماء أبنائها وقادتها.

تعلمت الأمة -وهي في ذلتها وانكسارها- أنها تستطيع أن تواجه وترابط وتعارك أسياد الأرض وطغاتها بعصابة قليلة من أبنائها، وبعتاد خفيف من السلاح، تستطيع بذلك أن تلحق بالعدو خسائر جسيمة أليمة، وتجبره على تجرع كأس الهزيمة المر.

فتحت الفلوجة أرض المعركة على مصراعيها، فألهبت همم أبناء الإسلام داخل العراق وخارجه، ودفعت بدمائها الطاهرة التي أريقت على أرضها بالكثير من أبناء الإسلام لينهضوا بتكاليف الجهاد، وينفروا للتصدي للحملة الصليبية العالمية، فاشتعلت المعارك والملاحم في أنحاء متفرقة من أرض العراق، وتشكلت الكتائب والمجاميع، وانبرى المجاهدون

يتلقفون أرتال العدو ويصطادون دورياته ويغيرون على مواقعه، وقد شهدنا بفضل الله خسائره الكثيرة التي تكبدها على أرض العراق كلها، فكان من مفاخر هذا الفتح أن تعظم نفوس أبناء الجهاد، وتنهار أمامها أساطير الآلات الحربية الحديثة، فهممهم الآن قد تحررت من أوهام العجز والخوف، وانطلقت إلى ميادين الجد والعمل.

أحرزت معركة الفلوجة نصرًا عسكريًّا استراتيجيًّا مهمًّا؛ فالجميع على دراية بتفوق الآلة العسكرية الأمريكية، وتطور جيوشها ونظامها الحربي الذي يعتمد على ضرب الأهداف عن بعد دون التحام واشتباك، والذي يفترض أن يؤمّن سلامة الجندي الأمريكي دون أن يستهلك في معارك خطرة تكلفه روحه، ولكن الفلوجة استدرجت هذه الآلة الضخمة –وفق خطة مدبرة– استدرجتها إلى حرب شوارع قاسية غير منتظمة تستنزف جهدها وطاقتها وعتادها، وأصبح الجندي الأمريكي يواجه الموت والهلاك من حيث لا يحتسب، وأرغم الأمريكان على النزول إلى الأزقة والشوارع والدخول إلى البيوت والأبنية، فانكشف العدو لنيران المجاهدين وكمائنهم، وفاجأته قدرتهم على المناورة والكر والفر، واضطر لخوض معارك قريبة لم يعهدها، تكبد فيها خسائر عظيمة في الأرواح والآليات تزيد على المئات والعشرات.

تجرعت الإدارة العسكرية الأمريكية الهزيمة النفسية الكبرى؛ فقد بدا واضحًا لعرابي هذه الحرب ومخططيها: أن المجاهدين لا يوقفهم أي نوع من أنواع الردع، ولو كلف ذلك خوض حرب إبادة شاملة يستأصلون فيها جميعًا، فالعقلية الجهادية أصبحت المعضلة الكبرى أمام خطط الحرب الأمريكية والعالمية، وما حدث في الفلوجة من مفاخر والثبات

أوهن نفوس قادة العدو، وجلب لهم الكآبة والضجر النفسي والإرباك المعنوي، وما ينتظرهم أدهى وأمر بعون الله تعالى.

أسهمت الفلوجة بثباتها ورباطة جأشها بكشف اللثام عن وجوه الردة والنفاق والعمالة، وخلعت ثوب الدجل الذي تسربلت به حكومة علاوي المرتدة، وكشفت الزيف الذي تردده من أنها تريد مصلحة العراقيين وتقوم على حقن دمائهم وتجنيبهم الحروب والويلات وتشقى في كسب رضاهم، ثم يراها الناس كلهم وهي تسارع في إنفاذ قرار الحرب على الفلوجة وتغمس يديها في دماء أبناء المدينة الطاهرة، وتقتل الآلاف منهم وتشرد عشرات الألوف، وتشرف على عمليات التدمير والتخريب وهتك الأعراض وسلب الأموال تحت اسم (محاربة الإرهاب والمصلحة الوطنية).

أسقطت المعركة القناع الزائف عن قبائح السحنة الرافضية الهالكة؛ فقد أوغلوا بحقدهم في هذه المعركة، وبلؤم ظاهر شاركوا في الحملة العسكرية على الفلوجة بمباركة من إمام الكفر والزندقة السيستاني، وكان لهم طول كبير في عمليات القتل والنهب والتخريب، واستباحة أرواح العزل من الأطفال والنساء والشيوخ، بل استزلتهم نفوسهم الكريهة إلى جرائم عظام، فجعلوا يقتحمون بيوت الله الآمنة ويدنسونها، ويعمدون إلى تعليق صور شيطانهم السيستاني على الجدران، ويخطّون عليها بحقد: "اليوم أرضكم وغدًا عرضكم"! وللعلم؛ فإن ٩٠% من الحرس الوثني هم من الروافض الحاقدين، و١٠% هم من قوات البشمركة الكردية.

انكشاف الخطوط الخفية لأعداء الجهاد في هذه المعركة؛ فقد برز فيها مشاركات

عسكرية عدة لصفوف خلفية معادية؛ فقد اتضح مشاركة ٨٠٠ جندي إسرائيلي في المعركة، وقد رافقهم ١٨ حاخامًا قضى الكثير منهم كما تناقلت ذلك صحفهم ووسائل إعلامهم، كما ظهرت مشاركة أردنية عسكرية من قبل ضباط أردنيين شاركوا في التخطيط والاقتحام العسكري للمدينة، وذلك يدل على تحقق الجميع من أن الفلوجة هي قاعدة جهادية تؤرق ليل أعداء الدين من الكفار والمرتدين.

من نتائج المعركة الشَّامخة: تجدد الدماء في عروق أبناء الجهاد، وتزايد حرصهم على الارتقاء بالعمل الجهادي نحو أهدافه المنشودة وخططه الموعودة؛ فقد أفرزت المعركة جيلًا من القادة والطاقات والخبرات التي تعتبر بالأحداث، وتتأمل في التجارب والممارسات والمكتسبات، وتمعن بعزم في الطريق المرسوم، وقد صقلتها شدائد المعركة، وأخرجتها في قالب قوي متين.

شهادة الاصطفاء؛ فقد تشرفت هذه العصابة من المؤمنين أن يكون طريقها مرسومًا بدماء أبنائها من الشهداء، وأن يكون كبار قادتها وكوادرها على الخط الأول، فإن دل ذلك على شيء دل على صدق أبناء هذا الجهاد، وتجرّدِ هممهم وعزائمهم لتحقيق مطالب التوحيد والعقيدة بتفان وإخلاص، وبشارتها الأخرى أن الله اصطفى أخيارهم ونجباءَهم للقائه وموعده، فكتب لهم الشهادة والفوز بالرضوان على ما كانوا يرجون ويطلبون، فحقق لهم الوعد وأنجز لهم السؤال.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشيد بثبات مجاهدينا الأبطال، وأن نذكر طرفًا بسيطًا من نعم الله عز وجل عليهم من الكرامات واللطائف الربانيّة التي حفتهم في معركتهم مع

الأمريكان وأعوانهم في الفلوجة، فكانت تثبيتًا لهم وجبرًا لحالهم؛

ومنها: أنه في اليوم الثالث من المعركة، وبعد قصف شديد وعنيف لأحياء الفلوجة؛ استيقظ المجاهدون من ليلهم فرأوا الآليات والدبابات الأمريكية في الشوارع والطرق والأفرع، فبرز لهم سادات أهل الإسلام في المعمعة، بقيادة الأخ أبي عزام وعمر حديد وأبي ناصر الليبي وأبي الحارث (محمد جاسم العيساوي)، وغيرهم وغيرهم من الأبطال، فطردوا الغزاة إلى أطراف الفلوجة، وكان سلاحهم في المعركة البيكا والكلاشنكوف، وقد حصل للأمريكان مقتلةٌ عظيمةٌ كبيرةٌ، حتى أن كثيرًا منهم كانوا قد فروا من المعركة واختبؤوا في بعض بيوتات المسلمين، وكان المجاهدون يتحرجون بداية من اقتحام تلك البيوت؛ خوفًا على أذى المسلمين، ولما تأكدوا من وجود الجنود الأمريكان دخلوها فوجدوهم خانسين مختبئين، فجعلوا يقتلونهم قتل الخنافس والذباب، ولله الفضل والمنة. وبعد أيام من المعركة، عرض أحد القادة على الأخ عمر حديد والأخ أبي الحارث جاسم العيساوي أن يحلقوا لحاهم ويخرجوا من الفلوجة، بعد أن يسر لهم طريقًا آمنًا للنجاة، ويبدؤوا بالعمل من الخارج، فرفض البطلان وقالا: "والله لا نخرج ما دام في المدينة مهاجر واحد ثابت"، فقاتلا حتى استشهدا -رحمهما الله تعالى وتقبلهما في عباده الشهداء-.

ومنها: أن بعض الإخوة قد قاسوا الجوع أيامًا عديدة، وبعد رجاء وحسن يقين بالله عز وجل عثروا على بطيخةٍ كبيرةٍ، فلما فتحوها إذا بها حمراء كأحسن ما تكون، فأكلوا منها أيامًا يشبعون ويحمدون ويتعجبون، حتى جزموا أنهم لم يتذوقوا طيب مأكلها في الدُّنيا، ومعلوم أن البطيخ ليس هذا أوانه ومكانه الذي يعرف به.

ومنها أيضًا: أن الإخوة قد عانوا الكثير من مأكلهم ومشربهم، حتى أنهم فقدوا مياه الشرب وشحت لديهم شحًّا عظيمًا، فأخذت الفطور تنبت على أفواههم وشفاههم، ولما هموا بالبحث عن بضع قطرات من الماء تروي شيئًا من أجوافهم العطشة؛ دخلوا بيتًا فوجدوا فيه ثلاث قرب من الماء، قد اصطفت بجانب بعضها على نمط غريب، فلما رأوها تعجبوا؛ إذ لم يعهد في الفلوجة ولا في العراق أن يرى الماء موضوعًا في مثل هذه القراب الجميلة الغريبة، فلما تذوقوا الماء علموا أنه ليس من ماء الدُّنيا، فشربوا حتى ارتووا، ويقسمون بعدها أنهم لم يشربوا مثله في هذه الحياة الدُّنيا.

ومنها أيضًا: أن أخًا من جزيرة محمد ﷺ قد أصيب في دماغه بطلقة قناص، فدخلت من جبهته وخرجت من قفاه، فتناثرت أشلاء دماغه على كتفه الأيمن، فهرع إخوانه إليه وأخذوا ما تناثر من الأشلاء وضموها إلى مكانها، ثم ربطوا مكان إصابته وتركوه، وقد تعافى بعدها بأيام، وهو حي الآن ما به من بأس إلا أن لسانه صار به بعض الثقل، نسأل الله أن يحفظه ويتقبل منه ومن إخوانه.

وأما عن روائح المسك -وما أدراك ما روائح المسك!-؛ فقد أصبحت من قبيل النقل المتواتر عند جمهور المجاهدين، فقد حدث الكثير من إخواننا عن الروائح الطيبة التي تنبعث من الشهداء والجرحى تقبلهم الله جميعًا. ومن ذلك ما جرى للأخ البطل أبي طلحة البيحاني؛ فقد أصيب -رحمه الله- إصابة بليغة وجعلت رائحته الطيبة تفوح في كل مكان، حتى انتشرت ببعض الطرقات واشتمها كثير من الإخوة ثم قضى شهيدًا، نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله.

ومما يبعث على الثبات والطمأنينة: ما رواه كثير ممن حضر تلك الملحمة من أنهم سمعوا صهيل الخيول وصليل السيوف تشتبك عند احتدام المعارك واشتدادها، فتعجب الإخوة من ذلك مرارًا، وراحوا يسألون إخوانهم الأنصار إن كان هناك خيول قريبة من الفلوجة، فجزم الأنصار بالنفي، وأكدوا أن المنطقة لا يوجد فيها مثل هذه الخيول، فلله الحمد أولًا وآخرًا.

وقال الزرقاوي: أثناء أحداث المعركة الثانية التي جرت في الفلوجة؛ قام الإخوة بخطف ابن عم العميل إياد علاوي مع زوجته وزوجة ابنه، في محاولة لردع الخائن علاوي؛ من خلال الضغط عليه بهؤلاء الرهائن، وإن أَصَرَّت قوات الاحتلال الصليبي وأعوانهم على الاستمرار في قتل الأطفال والنساء في الفلوجة، عاملناهم بالمثل وقتلنا أقاربه، ولكن عندما تبين أنه ليس هناك أدنى علاقة بين الخائن علاوي وابن عمه، ولم يكن له أي مشاركة فعلية مع قوات الاحتلال الصليبي: ما كان من الإخوة إلا أن بالغوا في الإحسان إليهم، ثم قاموا بالإفراج عنهم.

وقال الزرقاوي: حدثني الشيخ أبو عزام -رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء- في معركة الفلوجة الثانية: أنه من شدة الخوف والبلاء الذي نزل على المجاهدين؛ كان نبض أبي عزام وأشار بيده إلى عنقه وقال: "والله إني كنت أشعر بأن قلبي ارتفع إلى حنجرتي، وهذا مصداق قوله عزّ وجل: {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ}، لقد رأينا الآية على حقيقتها".

قلت: للمزيد حول المعركة ارجع إلى (لفت الأنظار لما جاء في معركتي الفلوجة من أخبار).

استشهاد أبي الغادية والرشود وإخوانهم

قال أبو حمزة: خرجَ أبو الغادية من الفلّوجة الثانية مُحمّلاً بالهمومِ وبالأفكار وأخذَ موضعه المُعتاد بجانبِ صاحبه أبي مصعب الزَّرقاوي فكان رسوله إلى النَّاس وموضع سرِّهِ الأمين، وكالمعتاد، وفي إحدى المرّات أرسله الشّيخ إلى الحدود، أعني حدود الجزيرة العربية لاستقبال الشَّيخ عبد الله الرشود مع الشيخ أبي اللَّيث النّجدي –رحمهُ الله–. وفي تلك اللّيلة جاءت مداهمة إلى تلك المنطقة، واستعدّ لها الإخوة ثمّ بدؤوا بالاشتباكِ مع العدوّ، وبعد فترةٍ وجيزةٍ قصفَ العدوّ الجبان البيت بصاروخٍ مُوَجّه من طائرةٍ حربيّة ليجعلَ البيْتَ رُكَاماً ويبني للثلاثة قصوراً في جنانِ عَدْنٍ عند مليكٍ مقتدر.

قال الزرقاوي: نعم العالِم العامِل؛ شيخنا عبد الله الرشود تقبله الله في الشهداء، هاجر وجاهد بلسانه وسنانه، وقاتل وقُتل، ونصر الحق وأهله. خرج من جزيرة العرب فارًّا من طواغيتها، إلى ساحات الجهاد والوغى في بلاد الرافدين، حيث كتبت منيته على تلك الأرض، فقد دخل العراق مهاجرًا قبل شهر ونصف، قاطعًا الفيافي والقفار، متجاوزًا حدود الطواغيت إلى مدينة القائم، حيث كانت رحى الحرب دائرة وصولات الحق ثائرة. لبى نداء ربه، وسارع لجنان خلده، وسابق لنصرة دينه؛ حيث شارك في ملاحم القائم –أقامها الله بالعز والظفر–.

ولما حاول الصليبيون أن يقوموا بإنزال على المنطقة؛ انبرى المجاهدون، وأقسموا ألا يعطوا الدنية في دينهم، فاشتاق الإخوان للقاء الرحمن ونيل الرضوان والحور الحسان، وما تمكن أعداء الله تعالى من كتيبة الخير، التي كان فيها الشيخ عبد الله الرشود –رحمه الله

تعالى-. وأي شجاعة وأي إقدام هذا الذي كان من شيخنا الرشود وثلة من إخوانه من مهاجرين وأنصار! فقتلوا من الصليبيين ما قتلوا، حتى انسحب أعداء الله وهربوا، فلما عجز الصليبيون من دخول المنطقة ما استطاعوا إلا أن يقصفوا مواضع المجاهدين بالطائرات المقاتلة. ونال شيخنا ما تمنى.

بيعة أبي علي الأنباري وإخوانه

ذكر في صحيفة النبأ (٤١): وبعد فترة قصيرة من سقوط بغداد بأيدي الصليبيين، تشكل في العراق عدد كبير من الفصائل المقاتلة، ذات غايات ومذاهب شتى، ومن بين تلك الجماعات (جماعة التوحيد والجهاد) التي تشكلت من مجموعات المهاجرين والأنصار وقادها الشيخ أبو مصعب الزرقاوي، و(أنصار السنة) الذي كان تشكل من بقايا (أنصار الإسلام) بعد انحيازهم إلى مدن العراق ومن مجموعات الموحّدين المنتشرة في مناطق العراق المختلفة، وأسندت قيادته لقادة (أنصار الإسلام) الذين نزلوا إلى مدن العراق بعد أن فقدوا ملاذاتهم القديمة في جبال كردستان، وكانت مجموعة تلعفر السلفية من المجموعات التي انضمت إلى (أنصار السنة)، وذلك بعد فترة قصيرة من انطلاق عملها العسكري باسم (كتائب محمد رسول الله)، عليه الصلاة والسلام، ولم تمض فترة طويلة حتى اختير الشيخ أبو إيمان (وهي كنية الشيخ الأنباري التي اختارها لنفسه بعد الاحتلال الصليبي) مسؤولا شرعيا عاما لجيش أنصار السنّة.

وقدّر الله أن يتم اللقاء بين الشيخين أبي مصعب الزرقاوي وأبي إيمان -تقبلهما الله-، فأحبّ كلٌّ منهما الآخر، وفرح كل منهما بأن الآخر على عقيدته ومنهجه السليم،

وكان الاتجاه العام للمجاهدين في (أنصار السنة) آنذاك السعي لتوحيد الصف والاجتماع تحت إمرة الشيخ الزرقاوي والانضمام إلى صفوف (تنظيم القاعدة)، فضغطوا على قيادتهم لتحقيق ذلك، وجهد الشيخ أبو إيمان بنفسه لتنسيق اجتماع مباشر يضم أميري الجماعتين، وهذا ما تم له، حيث اجتمع الشيخ الزرقاوي بأمير (أنصار السنة) أبي عبد الله الشافعي، والذي امتنع عن توحيد الجماعتين متعلّلا بالرغبة في استشارة جنوده، رغم علمه المسبق برأيهم وأنهم هم من كان يدفع لجمع الكلمة وتوحيد الجماعتين ببيعة (أنصار السنة) لـ (تنظيم القاعدة) آنذاك، وهنا أعلن الشيخ أبو إيمان بيعته للشيخ الزرقاوي وانضمامه إلى صفوف (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين)، ومن ورائه بايع القسم الأعظم من مجاهدي (أنصار السنة)، في واحدة من أكبر البيعات في تاريخ الجهاد في العراق والتي عرفت حينها ببيعة (الفاتحين)، حيث اختار الشيخ أبو مصعب الشيخ أبا إيمان نائبًا له في إمارة التنظيم، ولكنه ما لبث أن اعتقله الصليبيون، وأودعوه زنازين سجن أبي غريب، ليأذن الله له بالخروج بعد شهور وقد أعمى أبصارهم عنه، فلم يعرفوا شخصيته الحقيقية، ولم يعرفوا الدور الذي كان يلعبه في ساحة القتال المشتعلة عليهم.

قال ابن أبي علي الأنباري: في تلك الأيام لم يكن الشيخ الأنباري موجوداً في المدينة، فقد كان في بغداد يرتب لأمر أعظم، واستمر على ذلك إذ كان يروم تقريب وجهات النظر بين جماعتي الأنصار والتوحيد والجهاد بزعامة الشيخ الزرقاوي -تقبله الله-، واستمر في محاولاته علَّ الله يفتح بين يديه.

زاد حرص الشيخ الأنباري على أن يُتِمَّ الأمر خاصة بعد بيعة الشيخ الزرقاوي للشيخ

المجدد الإمام أسامة -رحمهما الله- فلم يصل إلى شيء، قال لي الشيخ: "بعد أن علمت أن لا جدوى من مسعاي جلست مع الشيخ الزرقاوي -رحمه الله- فقال لي: يا أبا العلاء سنوحد الجماعتين وسأتنازل عن الإمارة على أن يتنازل الشافعي أيضًا". ثم أرد قائلاً: "يشهد الله سبحانه أني حسمت الأمر فوري بالرفض فكيف لي أن أتقدم على الزرقاوي أو على الشافعي فما بالك أن أتقدم على كليهما معاً. ثم في الجلسة الأخيرة اشترط الشافعي ومن معه على توحيد الجماعتين أن يخرج الشيخ أسامة ويعلن انسحاب تنظيم القاعدة من العراق، فنقلت كلامه لأبي مصعب فقال لي: معاذ الله أن يكون الأمر كذلك. يا أبا العلاء أنت رجل نحسبك إن عرفت الحق تبعته، وإني لأجزم أنك قد عرفت".

بعد كل ذلك ترك الشيخ الأنباري جماعة الأنصار ليبايع مع إخوانه الشيخ الزرقاوي فالأصل كانت القاعدة في ذلك الوقت، والأصل أحق أن يتبع، فأمسى الشيخ أبو علاء بذلك نائب أمير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، ووالي الشمالية (نينوى، وكركوك) فكانت أيامه مقسمة، يبقى منها ثلاثاً في نينوى، وثلاثاً في كركوك وبغداد، يتابع الأمور العسكرية والإدارية فيها بنفسه.

وقال لي الشيخ عبد الرحمن: "أثناء مباحثاتنا بين الجماعتين، ثم لم يستقرَّ الرأي على بيعة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي كنا جالسين فقال أحد الحاضرين للشيخ أبي مصعب وهو يشير إليَّ: الشيخ أبو علاء من أوائل من أسسوا وبدؤوا العمل الجهادي، فقاطعه الشيخ أبو مصعب الزرقاوي وقال له: ما رأيك أن الشيخ أبا العلاء كان يُصنِّعُ لي كواتم

الصوت قبل سقوط طاغوت البعث. بعد أن أمسيت نائبًا للشيخ أبي مصعب طلبت منه أن لا يتم الإعلان عن ذلك؛ إذ أني أتنقل بين محافظات العراق فكان من الضرورة الأمنية إخفاء ذلك، فوافق -جزاه الله خيرًا-".

حوادث عام ١٤٢٦هـ

عملية سدير الاستشهادية

قال أبو حمزة: بفضل الله وتوفيقه، وبعد مراقبة طويلة ودقيقة على مدار السَّاعة لفندق (السدير)؛ تواترت الأنباء عن قاطني هذا الوكر، فكانت المفاجأة: يهودُ بلحاهم وقبعاتهم المشهورة، ومقر لشركة سور الأمنية، أكبر شركات العمالة في العراق، ومقر سري للاستخبارات العراقي الجديد، وعدد لا يستهان به من عملاء الـ (CIA) الاستخبارات الأمريكية. وبعد دراسة المنطقة والحواجز التي تحول دون تنفيذ الهدف؛ تبين لدى القيادة أنه أنجح مكان لتدمير الهدف من الخلف حيث لا يحتسبون، وعن طريق سيارة نفايات حيث أن تواجدها في المنطقة ملائم.

وفي الوقت المحدد تمت السيطرة على كافة نقاط الأبراج والحراسة التي تحيط بالموقع من كل مكان، وبفضل الله أولًا وأخيرًا، ثم التدريب العالي لم تستغرق العملية أكثر من ثلاثين ثانية تم بعدها اقتحام الموقع. وقد منَّ الله على سرية القائد أبي مصعب الزرقاوي بهذه العملية.

إشاعة إصابته

قال الزرقاوي مخاطبًا ابن لادن: أظنه قد تناهى إلى أسماعكم الخبر الذي تتناقله وسائل الإعلام، وحارت به العقول والأفهام، والذي مفاده أنني قد أصبت بجراح بليغة عولجت على إثرها في مستشفى الرمادي؛ فأحب أن أطمئنك وأطمئن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأن هذا كله محض إشاعات، لا أساس لها من الصحة، وإنما

هي جراح خفيفة كما ذكر الإخوة في القسم الإعلامي، وإني الآن بحمد الله أتقلب بنعم الله الوافرة، بين إخواني وأهلي في أرض الرافدين، وأباشر معهم مقارعة الصليبيين ومنازلة أعداء الملة والدين.

معركة القائم

وقال الزرقاوي مخاطبًا ابن لادن: أميرنا الحبيب؛ يخط لك اليراع هذه الكلمات، وجنودك يسطرون بفضل الله أروع الصور في الفداء والتضحيات، والذود عن حياض هذا الدين، والذب عن أعراض المسلمين في مدينة القائم، أقام الله فيها شريعته، القائم وما أدراك ما القائم! أرض النزال وساحة الرجال؛ فقد تهاوت فيها أسطورة المارينز، وسقط قناع الزيف، وأثبت فرسان الإسلام وشباب محمد ﷺ أنهم بواسل في الميدان، أسود عند اللقاء، من مهاجرين وأنصار، فها هي أهدافهم الصليبية قد تلاشت على أسوار القائم، فبعد عشرة أيام من المعارك الشرسة والمتواصلة مكن الله لأبنائك من رد عادية الصليبيين على أسوار المدينة، وتقهقرت جحافلهم خاسئة حسيرة، تلعق جراحها، ولقد كانت هذه المعركة من المعارك العظيمة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

فإن الله أوقع الهزيمة بهم، وجعل الدبرة عليهم، بعد أن صرح كبير حملتهم الجنرال المسمى بشارب الخمر متبجحًا متحديًا الله سبحانه: "بأننا سنهزمهم ولو كان محمد ورب محمد معهم!"، وأنه سوف يشرب الخمر على إثر انتصارهم، حتى يسمع بهم العالم فلا يزال يهابهم، وإن مقولته هذه لتعيد إلى ذاكرتنا مقولة عدو الله أبي جهل. والله يعلم يا شيخنا بأننا استبشرنا بمقولة هذا الجنرال اللعين، وتيقنا بأن الله منجز وعده لنا، وناصرنا

عليهم، سنة الله في كل من سولت له نفسه الطعن في هذا الدين والتجرؤ على رب العالمين.

ولئن كان يا شيخنا قد سرَّ كلب بني الأصفر بوشًا أسر أخينا أبي فرج الليبي، فلقد ساءه ما حل بجنوده بالقائم وباقي أرض الرافدين.

أميرنا الحبيب؛ إن العدو بتوفيق الله يسير كما رسم له، وإننا بفضل الله نوشك أن نحكم الخناق عليه، وإن سارت الخطة بأمر الله كما أُعِدّ لها؛ فإن نتائجها ستظهر لكل ذي عينين بما يسر كل مسلم ويسوء كل كافر ومنافق، وإني لأحسب أن الخطة المرسومة قد وصلتكم أو في طريقها إليكم، فالعدو اليوم يعيش أسوأ أيامه في أرض الرافدين، ولولا ما قدمه ويقدمه الروافض أحفاد ابن العلقمي وعلى رأسهم إمام الكفر والزندقة السيستاني لكان حال بني الأصفر غير ما ترى الأمة اليوم.

إحدى المحاولات لقتله

قال أبو جعفر: وفي سنة ١٤٢٦هـ، كان الشيخ يتفقد الإخوة في قواطع القتال كعادته، وكان في مدينة حديثة. وبعد انتهاء لقائه معهم، توجه صباحًا إلى مدينة الرمادي، وكانت معه سيارتان، ومعه في السيارة الأولى سائقه أبو أسامة العنزي -تقبله الله-، وفي السيارة الثانية الأخ بلال الكبيسي -تقبله الله-.

وأثناء السير، إذا بحاجز للأمريكان! فلم يستطع الأخ أبو أسامة العنزي الرجوع، لذلك تجاوز الحاجز مباشرة، بينما استطاع الأخ بلال الكبيسي الرجوع، غير أن القوات الأمريكية طاردت السيارة الأولى التي كانت تقل الشيخ الزرقاوي، وأثناء الملاحقة تمكن

الأخ أبو أسامة العنزي من التخلص منهم بفضل الله لفترة قصيرة، لكن الطائرات تابعت السيارة، ولم يكن الأخ أبو أسامة بصاحب دراية في المنطقة، فقال للشيخ الزرقاوي: "سوف أضعك في أحد البيوت، لكي تتخلف منهم، وأنا سوف أستمر في المسير، حتى تتابعني الطائرات، وإذا أرادت الضرب، فسوف تضربني وحدي، وأنت تنجو بإذن الله".

وفعلاً: طاردت الطائرات الأخ أبا أسامة العنزي، وأصابت محرك السيارة فتوقفت عن العمل، وتم إلقاء القبض عليه، ولكن من مشيئة الله وحفظه أن القرية التي نزل فيها الزرقاوي كانت مرتدة إلا البيت الذي نزل فيه الشيخ، إذ كان أهله مسلمين، ولا علم للشيخ بهذه العائلة أنها مسلمة، وقد تعرفنا على هذه العائلة بعد فترة من الزمن، علمًا أنهم لأول مرة يدخلون هذه القرية، ومباشرة تكلم الزرقاوي مع صاحب البيت وقال له: "أريد الانتقال إلى الضفة الثانية"، وتم نقله كما أراد وأهدى الشيخ لصاحب البيت سلاح إم ١٦، وبعدها أكمل الشيخ مسيرته، فقابل صاحب دراجة نارية، وقال له: "أوصلني للمكان الفلاني"، فقال له صاحب الدراجة: "ولكن البنزين لا يكفي"، فقال الشيخ: "توكل على الله، فبإذنه تعالى سوف نصل"، وفعلاً وصل إلى المكان المطلوب، وهذا هو حسن التوكل على الله تعالى.

غزوة أبي أنس الشَّامي

قال الزرقاوي: فيا أسود التوحيد على أرض الرافدين الحبيبة؛ عزمت عليكم إن وصلكم ندائي هذا أن لا يأتي عليكم الليل إلا وسيوفكم تقطر من دماء عدوكم، أعيدوها خضراء جذعًا، قوموا قومة رجلٍ واحد، فلا خير في عيشٍ تنتهك فيه أعراضنا، وتداس

فيه كرامة أخواتنا، ويحكمنا فيه عُبّاد الصليب، واجعلوا من غزوة الثأر: (غزوة أبي أنس الشّامي) بداية عهدٍ جديد للفتوحات -بإذن الله-.

ويا كتائب الاستشهاديين؛ انطلقوا على بركة الله، لا تدعوا لهم قافلة تسير، ولا حاجزًا يقفون فيه، أحيلوا ليلهم نهارًا، وبردهم نارًا.

الغش في النصيحة من المنافقين

قال الزرقاوي: ومما يزيد القلب حسرةً وألمًا: ما آل إليه حال بعض أهل العلم ممن نحسبهم من الصادقين المحبين للجهاد وأهله؛ فقد بعث إلي بعضهم يشيرون علي بعدم الاستماتة بالقتال في العراق، وعدم حشد طاقات الأمة في هذه المعركة! ويعلم الله كم أصابني من الهم والحزن من مقالتهم، أهذا ما وصلت له أمتنا؟! أهذا ما جادت به قريحة علمائنا؟! إلى متى يبقى أهل العلم معرضين عن ساحات الجهاد؟! يُصدرون أحكامهم ويوجهون نصائحهم بعيدين عن الواقع الذي تعيشه الأمة؟! فإنه لا بد لصواب الحكم؛ من علم بالشرع وخبرة بالواقع. فلو أن جهادنا جهاد طلب واستعصت علينا بعض حصون بني الأصفر، مما يلحق الضرر بجيش المجاهدين؛ لَقلنا: إن في الأمر لسعة، ولكننا نقاتل لندفع عن أمتنا وعن ديننا أخطر عدو صال على ديار المسلمين في هذه العصور، فانتهكوا الحرمات واستباحوا الديار ونهبوا الثروات والخيرات، وامتلأت سجونهم بالمسلمين والمسلمات، بل وامتلأت أحشاء المسلمات بنطفهم القذرة!

فيلق عمر

قال الزرقاوي: وإننا في تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين: لنعلن عن تشكيل فيلق

عسكري أسميناه بـ (فيلق عمر)؛ تيمّنًا بالفاروق ابن الخطاب فداه أبي وأمي، وهذا الفيلق أنشأناه لاستئصال شأفة واجتثاث رموز وكوادر فيلق الغدر (فيلق بدر)، فيكفينا مؤنة الاشتغال بهذا الفيلق الغادر، حتى نتفرغ لمنازلة الصليبيين وباقي أعوانهم من المرتدين.

فتنة المقدسي

قال الزرقاوي: وقد أكرم الله عباده المجاهدين، وأولياءه الصادقين؛ ففتح عليهم في معركة الأحزاب معركةِ الفلوجة الأولى، فأَذَلَّ عدوهم، وردَّهم على أعقابهم خاسرين. وبينما هم يتفيؤون ظلال هذا الفتح المبين، ويعيشون أيامه؛ إذا بهم بما يعكر عليهم صَفْوَه، ويذهب حلاوته، إنَّه سهم جديد مُصَوَّب إلى نحورهم، ولكنه هذه المرة ليس من كنانة من وصفتُ حالهم من قَبْلُ، بل هو من رجل محسوب على هذا المنهج، ومن أهل العلم، ذلكم كان مقالاً لأبي محمد المقدسي بعنوان: (الزرقاوي آمال وآلام، مناصرة ومناصحة).

وإن أنسَ، فلا أنسَ بكاء الشيخ أبي أنس -رحمه الله- عندما رأى الحزن باديًا على قسمات وجهي بعد قراءتي لهذه المناصحة لما فيها من تجنٍّ، وعدم تثبت، وقلب للحقائق! فواساني وقال: يا فلان، إن الله يدافع عن الذين آمنوا.

ولا أبيح سرًّا إن قلت؛ إني كنت أظن أن الأمر لا يعدو أن يكون كبوة من فارس، يوشك أن يقوم منها، وأن المسألة ستقف عند هذا الحد؛ لكن المقدسي شفعها بـ (وقفات مع ثمرات الجهاد)، ثم أَكَّد ذلك كُلَّه في مقابلته مع (قناة الجزيرة) مع تصريحه بأنه يتكلم بمحض إرادته، وليس ثَمَّ من يجبره على مقاله. فرأيت أن الأمر بدأ يتعدى

حدود النصح والمناصرة، وأن هذا النصح فقد طريقه ومسالكه الشرعية، وبدأت له أبعاد أخرى، لا سيما في هذا الوقت الخطير، الذي أصبح انكسار شوكة جيش عباد الصليب واضحًا لكل ذي عينين، فرأيت لزامًا عليَّ أن أوضح بعض الحقائق، وأصحح بعض المغالطات، التي وردت في المناصحة، واللقاء مع (قناة الجزيرة)، دون استيعاب مني لكل ما ورد فيهما، فذاك يحتاج إلى تسويد صفحات وصفحات، (وما لا يدرك كُلُّه لا يترك جُلُّه)، أسأل الله أن يسددني، وأن يقيني حظوظ نفسي.

فأقول وبالله توفيقي وعليه اعتمادي؛ أولاً: سيكون كلامي منصبًّا على توضيح بعض الحقائق مما له علاقة بمنهج جهادنا في العراق وما يَمُتُّ إليه بصلة، وسأعرض عما ورد في مناصحة المقدسي فيما يتعلق بعلاقتي معه وما جرى بيني وبينه في غابر الأيام، مما أراه لا يخدم ما نحن بصدده، ولما فيه من منفعة لأعداء الدين.

ثانياً: ذكر في مطلع مناصحته أنه حاول جاهداً قبل نشرها إيصال أشياء كثيرة من محتواها إليَّ، فلم يتمكَّن من ذلك -على حدِّ قوله- فاضطر لنشرها، ولو سلَّمنا له بذلك، فما المبرر لإعادة ذكر هذا الكلام مرة أخرى في المقابلة مع الجزيرة، إذا كان مقصوده إبلاغ النصيحة، وقد تَمَّ له ذلك من قَبْلُ في رسالته، ولماذا في هذا الوقت بالذات، مما لا يصب إلا في مصلحة الصليبيين، وأذنابهم من المرتدين.

ثالثاً: ذكر أني كنت ممن استفاد منه، واستظل بمشيخته، وأني كنت لا أصدر إلا عن رأيه، ولا أقول إلا بقوله واختياره؛ فأقول: لا شك أنَّ أبا محمد له فضل كبير وعظيم على العبد الفقير، فهو أحد من تلقيت عنه التوحيد وتفاصيله، وكنت أعتقد كثيرًا مما كان

يعتقده أبو محمد، ولكن لا بد أن يُعلم أن متابعتي له إنما هو لاعتقادي بأن ما يطرحه ويكتبه في رسائله هو موافق للكتاب والسنة، وليس هو مجرد تقليد أعمى، ولو كان الأمر كذلك لكان تقليدنا لمن هو أكبر منه قدرًا، وأرفع منه علمًا أولى بنا، فأصل دعوتنا اتباع الكتاب والسنة، ومن ثَمَّ الأخذ بقول من وافقهما، وطرح ونبذ قول كل من خالفهما.

فكما أني استفدت من أبي محمد فقد استفدت من علماء آخرين؛ وهذا لا يعني أن ألتزم بكل ما يقوله المقدسي، والعلم ليس حكرًا عليه وحده، وما كل ما يقوله المقدسي صحيحًا ويجب اتباعه؛ ولا سيما في الأمور الاجتهادية والنوازل الحادثة. وأنا في سيري في طريق الجهاد لا أقدم على أي مسألة إلا وضوابط الشرع أمام ناظري، ولا أتجرأ في مسألة حتى أستشير فيها أهل العلم الصادقين المجاهدين، والله يعلم أن الاتصالات لم تنقطع بيني وبين بعض أهل العلم، ممن يفوق أبا محمد علمًا أستفتيهم في غالب ما يواجهني، وهم الآن مبتلون معتقلون في سجون الطواغيت، ولولا خشية تضررهم بذكر أسمائهم لصرحت بذلك. وكل من يعرف العبد الفقير، ويعرف المقدسي داخل السجن وخارجه، يعلم علم اليقين أنني كنت أخالفه في كثير من المسائل، وخصوصًا المسائل المتعلقة بالجهاد والعمل الجماعي، وعندما خرجت من السجن وقررت أن أذهب إلى أرض الجهاد لم أستشر أبا محمد؛ بل كنت أرى طريقة أخرى لنصرة هذا الدين تختلف عن الطريقة التي يراها المقدسي. هذا مع حزني وأسفي أن تصدر مثل هذه المقالة من أبي محمد، الذي من أصول دعوته تعبيد الناس إلى الله؛ لا إلى ذواتهم وأشخاصهم...

(مشيختي، وظلي، واستفادوا من اسمي،...)[١] والله المستعان. وهل مَرَّ بكم في الكتاب والسنة، أو في تاريخ سلفنا؛ أن المرء إذا استفاد من شيخ في علم ما؛ أنه يصبح عبدًا له، لا يجوز له أن يخالفه في اجتهاده، أو أن يقول بقول غيره من أهل العلم.

رابعاً: ذكر بأنني اشترطت على الشيخ أسامة بن لادن تدريس منهج أبي محمد كشرط للعمل معه. أقول: هذا الكلام عارٍ عن الصحة تمامًا، فأنا لم أجلس يومًا مع الشيخ أسامة بخصوص هذا الشأن.

وأنا أسأل عن قوله: (منهج أبي محمد) أهو منهج تفرد به لم يسبق إليه، أو أنه متبع فيه لغيره من أئمة سلفنا الصالح؟ فإن أجاب بالأول؛ فلا حاجة لنا بمنهجه، فديننا دين اتباع لا دين ابتداع، وفي منهج أسلافنا غُنْيَة عن منهج فلان وفلان، وإن أجاب بالثاني -وهو حَرِيٌّ به- فَعَلام ينسبه إلى نفسه، وهؤلاء مشايخ الجهاد في عصرنا قد دَعَوْا إلى مثل ما كان يدعو إليه أبو محمد، وما سمعنا أحدهم يومًا أنه قال: هذا منهجي!!

ولا ينقضي عجبي كيف يطرح مثل هذا الأمر؛ وهو لم يتبين مني، وثَمَّ تساؤلات تؤرقني، لماذا هذا الكلام في هذا الوقت بالغ الحساسية، ولا سيما أني الآن جندي من جنود الشيخ أسامة، وما المصلحة، ومن المستفيد من ذكره الآن؟

خامساً: ذكر أني كنت أقلده في عدم جواز العمليات الاستشهادية، وأني قد توسعت فيها الآن في العراق. أقول: ليس الأمر كما ذكر، فأنا كنت أرى عدم جوازها عندما

---

[١] هذه كلمات استخدمها المقدسي خلال مقابلته مع الجزيرة.

كنت في أفغانستان إبان الغزو الشيوعي لها، اتباعا مني لبعض الفضلاء من هذا العصر، ولم أكن قد لقيت المقدسي بعد، وعندما التقيت به، وافق اعتقادي قوله، ثم عندما خرجنا من السجن، وذهبت إلى أفغانستان مرَّة أخرى، التقيت بالشيخ أبي عبد الله المهاجر، وجرى حديث بيننا في حكم العمليات الاستشهادية، وكان الشيخ يذهب إلى جوازها، وقرأت له بحثًا نفيسًا في هذه المسألة، وسمعت له أشرطة مسجلة في ذلك، فشرح الله صدري لما ذهب إليه، ولم أتبنَّ جوازها فقط؛ بل بتُّ أرى استحبابها، وهذا والله من بركة العلم ولقاء أهله، ورتبت للشيخ المهاجر في معسكر هراة دورة شرعية مصغرة لمدة عشرة أيام، قام خلالها ببيان حكم هذه العمليات للإخوة، مما كان له أعظم الأثر في نفوسهم.

ثم لماذا ينكر علي تغير اجتهادي في حكم هذه العمليات، مع أنه كان يرى أولاً حرمتها، ثم هو الآن يرى جوازها بشروط وضعها، أليس من الإنصاف أنه إذا ذكر ذلك أن يذكر هذا.

سادساً: ذكر بأنني سميت (جماعة التوحيد والجهاد) نسبة لموقعه المسمَّى بمنبر التوحيد والجهاد. أقول: إن كَلِمَتَي: (التوحيد) و (الجهاد) مصطلحان شرعيان، كنا نرددهما ونتغنى بهما دائمًا في سجننا، فعلام ينكر علينا تسمية جماعتنا بهما، وهل هما حكر على أحد بعينه؟ وما ينقضي عجبي كيف يصدر هذا الكلام من مثل أبي محمد، وإن الذاكرة لتعود بي إلى تلك الأيام التي كنا نتذاكر فيها هموم الدعوة وما كنا نلاقيه من بعض أفراخ المرجئة والجهمية؛ كعلي الحلبي وغيره، الذين كانت مهمتهم تصنيف الناس على أساس الموافقة

والمخالفة لهم، فمن وافقهم كان سلفيًّا، ومن خالفهم كان بدعيًّا، فكان المقدسي يردِّد بأن السلفية ليست وكالة خاصة، ولا شركة مساهمة يحتكرها إنسان بعينه، ويحرمها على الآخرين، فما بال المقدسي اليوم يقع فيما كان ينكره بالأمس على الآخرين. ولو أني شكلت جماعة باسم: (الجماعة السلفية للدعوة والقتال في العراق)، فهل يلزم من ذلك الانتساب للإخوة في الجزائر؟ إن كثيرًا من علمائنا كانوا يصنفون التصانيف، مع تماثل مسمياتها، وما سمعنا إنكار أحدهم على الآخر. نعم، يمكن أن تكون محقًّا لو كنا سمَّينا جماعتنا بـ (جماعة التوحيد والجهاد المنبثقة عن منبر التوحيد والجهاد) أو التابعة لمنبر التوحيد والجهاد، أو التابعة للمقدسي، أو اتخاذ شعار المنبر نفسه، أو نحو ذلك. والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح لدى كل من يسمع هذا الكلام: ما المراد في ذكر هذه المسألة وتكرارها في كل محفل، وما الذي ستسفيده الأمة منها، مع أن جماعة التوحيد والجهاد أصبحت جزءًا من الماضي، وهي الآن منطوية تحت لواء تنظيم القاعدة؟

سابعاً: قال: إنه لا يرى تفجير الكنائس، وقتل المدنيين. أقول: لا أدري من أين يأخذ أخباره، ومن أين يتلقى معلوماته؟ مع العلم أنا قد صرحنا في شريط (وعاد أحفاد ابن العلقمي) بأننا لم نستهدف النصارى وغيرهم من المدنيين، ومما قلناه هناك: "وفي أَرض الرَّافدين طوائفُ عدة، كالصَّابئة، واليزيديِّين عبدة الشَّيطان، والكَلْدانيين، والآشوريين، ما مددنا أَيدينا بسوءٍ إليهم، ولا صوبنا سهامنا نحوهم، مع أنَّها طوائف لا تَمُتُّ إلى الإسلام بصلة، ولكن لَمْ يظهر لنا أَنَّها شاركت الصَّليبيين في قتالهم للمجاهدين، ولَمْ تلعب الدَّور الخَسيس الذي لعبه الرَّافضة".

ثامناً: تحفظ على قتالنا للروافض، وذهب إلى أن عوامَّ الرافضة كعوامِّ أهل السنة.

أقول: أما قتالنا للروافض فقد صرَّحنا مرارًا -ولا سيَّما في الشريط الآنف الذكر- أننا لم نبدأهم بقتال، ولا صوَّبنا إليهم النبال، وإنما هم بدؤوا بتصفية كوادر أهل السنة، وتشريدهم، واغتصاب مساجدهم ودورهم، وما جرائم فيلق بدر عنا ببعيد، ناهيك عن تسترهم بلبوس الشرطة والحرس الوثني، ثم من قبل هذا كلِّه ولاؤهم للصليبيين، أفيسعنا بعد هذا كله أن نعرض عن قتالهم.

وأما القول بأن عوام الرافضة كعوام أهل السنة، فهذا -والله- من الظلم لعوام أهل السنة، أيستوي من الأصل فيهم التوحيد، مع من الأصل فيهم الاستغاثة بالحسين وبآل البيت، وصنيعهم في كربلاء وغيرها ما عاد يخفى على كل ذي عينين، هذا مع اعتقادهم العصمة في أئمتهم، ونسبة علم الغيب والتصرف في الكون إليهم، وغير ذلك من الشركيات التي لا يعذر أحد بجهلها. أيستوي من الأصل فيهم الترضي على أصحاب النبي ﷺ، مع من الأصل فيهم بغض الصحابة؛ بل لعنهم وعلى رأسهم صاحباه: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، واتهام الصديقة عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، فلا وربي لا يستويان.

ثم إن المطلع على أحوالهم في العراق يعلم علم اليقين أنهم ما عادوا عوامَّ بالمفهوم الذي تريد؛ فقد أضحوا جنودًا للكافر المحتل، وعيونًا على المجاهدين الصادقين، وهل وصل الجعفري والحكيم وغيرهما من الرافضة إلى سدة الحكم إلا بأصوات هؤلاء؟! ومن الظلم أن يؤتى بفتوى ابن تيمية في عصره ثم تُنَزَّل على واقع الرافضة اليوم (من دون

النظر إلى الفوارق بين العصرين)، ثم هناك من العلماء من تكلم في كفر الرافضة بأعيانهم كالشيخ حمود العقلاء -رحمه الله- وسليمان العلوان والشيخ علي الخضير والشيخ أبي عبد لله المهاجر والشيخ الرشود -رحمه الله- وغيرهم.

تاسعاً: ذكر في لقائه أنه لا يُحَبِّذُ ذهاب الشباب المجاهد إلى العراق؛ لأنها ستكون محرقة لهم، على حدِّ وصفه. وهذه والله المصيبة الكبرى، أيعقل أن تصدر مثل هذه الفتوى عن مثل أبي محمد.

عن أي محرقة تتكلم؟ إن المحرقة كل المحرقة في الإعراض عن تنفيذ حكم الله سبحانه وتعالى في النفير إلى ساحات الجهاد، قال تعالى: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [التوبة:٤١]. إن المحرقة في التنكب عن القيام بما أجمعت عليه الأمة من وجوب نصرة المسلمين المستضعفين؛ الذين صال عليهم عدوهم، فاستباح ديارهم، وانتهك أعراضهم، قال تعالى: {وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} [الأنفال:٧٢].

إن المحرقة في التقاعس عن استنقاذ أسرى المسلمين من أبي غريب وغوانتانامو وغيرها. إن المحرقة في التخاذل عن تحرير أخواتنا العفيفات الطاهرات اللاتي ينتهك عرضهن صباح مساء على أيدي الصليبيين والروافض الحاقدين، على مرأى ومسمع من العالم. أليس لازم الأخذ بهذا القول هو ترك الجهاد والقعود عنه، وتسليم بلاد المسلمين لعباد الصليب، ليفعلوا بهم ما يشاؤون. إن النفير إلى ساحات الجهاد لا يقرب أجلاً ولا يباعد رزقًا.

ولهذا فإني أنصح المسلمين بالإعراض عن هذه الفتوى التي يرى فيها أن نفير شباب

الأمة للدفاع عن دينهم، والذود عن حرماتهم وأعراضهم محرقة، مخالفًا بذلك إجماع الأمة في دفع العدو الصائل، وعليكم بعلماء المجاهدين وقادتهم، فهذا الشيخ أسامة بن لادن يرى أنكم على ثغر عظيم، ويقسم أنه لو وجد طريقًا إلى العراق لما تردد في النفير، وأيمن الظواهري يرى قتالكم فريضة وواجبًا، وسليمان العلوان، وكذا الشيخ أبو عبد الله المهاجر، والشيخ أبو الليث الليبي، والشيخ عبد الله الرشود -رحمه الله-، والشيخ يوسف العييري -رحمه الله-، والشيخ حمد الحميدي وغيرهم، يرون أن الجهاد في العراق من أوجب الواجبات، فمرجعيتنا الكتاب والسنة، فما وافقها اتبعناه وما خالفها رددناه، وإن كان المخالف من أعلم الناس مع حفظنا لقدره وعلمه.

فوالله يا أبا محمد لو وقفت الأمة بأكملها، وقالت: إن الجهاد في العراق محرقة، لما أطعتهم في ذلك إلّا أن يأتوني بدليلٍ بين، كيف وكتاب الله ينطق بيننا بالحق. فلسنا -بحمد الله- رافضة، حتى نَصُمَّ آذاننا، ونعميَ أبصارنا، ونتبعَ مرجعيتنا على غير هدى وبصيرة وهل هذه الفتوى؛ ولا سيما في هذا الوقت الذي غدا انكسار الجيش الأمريكي واضحا للعيان؛ إلا وسيلة لإنقاذ بوش ومرتزقته، شعرنا أم لم نشعر، قصدنا أو لم نقصد؟

وأخيرًا أقول: إن ما كتبته من المناصرة والمناصحة، هو في الحقيقة ليس من المناصرة في شيء، فقد ذكرتَ أمورًا لا تَمُتُّ إلى المناصحة بشيء؛ من سرد لوقائع ومحطات في تاريخنا الدعوي، بل للأسف لم تكن منصفًا فيها، ولم تتحر الدقة في سردها، واعلم يا أبا محمد أنني قادر على تفنيد كثير من المغالطات التي ذكرتها وبكل قوة، ولكن هذه القوة والشدة والغلظة أدخرها لأعداء هذا الدين لا لإخواني، وهذا ما أمرنا به ربنا سبحانه وتعالى:

{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُم} [الفتح:٢٩]. وأحب أن أبشرك يا أبا محمد بأن عباد الصليب، والعلمانيين، والروافض، والحزب الإسلامي، والجهمية والمرجئة في العراق، يقومون بتوزيع هذه المناصرة على الناس؛ حتى يصدوهم عن اللحوق بركب المجاهدين.

واعلم أنه بُعيد لقائك مع قناة الجزيرة بات أعداء الله بخير ليلة من العلمانيين وغيرهم من منافقي هذه الأمة، فهذا ذنب آل سلول (العواجي) يصرح مأموراً من أسياده بأن المقدسي قد تراجع وأن المجاهدين سيحصل بينهم انشقاق. وإذا سُئِلت عن ذلك قلت بأن هؤلاء زوّروا كلامي ولم أكن أقصد ما ذهبوا إليه (كما ذكرت في بيانك الأخير وما حصل من شأن الصحف)، فأقول: يا أبا محمد ومتى كانت هذه الصحف والقنوات ممن يروم نصرة الحق وأهله وأنت الذي ممن كان يبصرنا بسبيلها.

فهلّا انتظرت حتى يأتيك من أخبارنا ما يجلّي لك واقعنا الذي نعيش، ثم بعد ذلك اختر ما شئت من الطرق الشرعية للنصح، فما كان حقا أخذناه وعملنا به، وما كان غير ذلك بينّا لك وجهة نظرنا الشرعية واجتهادنا (حسب واقعنا الذي نعيش) والذي تجهله لبعدك عنه. أما شعرت الاهتمام الملفت للأنظار من الإعلام بشتى وسائله بهذا اللقاء غير الموفق (توقيتا ومضمونا). ألم يدر بخلدك بأن هذه الأبواق المستأجرة لم تسع يوما لإحقاق حق أو لإزهاق باطل وإنما لتفريق كلمة المسلمين ودس السم بالعسل، لقد خرج علينا المراسل الذي أجرى معك اللقاء في برنامج (ما وراء الخبر)، يقول: إن الأجهزة الأمنية اتصلت بالشيخ وأنا عنده تطلب منه إجراء مقابلة مع إحدى القنوات الفضائية.

أتدري ما معنى هذا الكلام؟ أما علمت ماذا ستترك هذه المقولة في أذهان المسلمين؟

معركة تلعفر

قال الزرقاوي: أمة الإسلام؛ حديثي إليكِ اليوم يتجدد، وأبناؤك الأبطال يسطرون بدمائهم أجمل صور الملحمات، وأروع معاني التضحيات على أرض مدينتي القائم وتلعفر؛ حيث جمع عباد الصليب لمعركتهم الجموع، وحشدوا لها الحشود، مستخدمين من الأسلحة أشدها فتكًا وتدميرًا، ومن الغازات السامة أعظمها أذيةً وتقتيلًا، مستصحبين خيلاءَهم، مستعلين بكبريائهم، فأذاقهم الله على أيدي أوليائه المجاهدين من كؤوس الموت ألوانًا، وأراهم من الأهوال ما لا ينسونه دهورًا وأزمانًا، فخرجوا من مدينة القائم لا يلوون على شيء يجرون أذيال هزيمتهم، ويلعقون جراحاتهم، فلله الحمد أولًا وأخرًا.

وها هم يعاودون الكرة على مدينة تلعفر بعد أن استعصت عليهم مرات ومرات، وأذاقهم أسودها طعم الذل، ومرارة الهزيمة، تحزبوا على هذه المدينة الأبية، يرومون القضاء على المجاهدين، متذرعين برد الحقوق إلى أهلها، كما صرح بذلك حفيد ابن العلقمي وخادم الصليب (إبراهيم الجعفري)؛ قاصدًا بذلك أعضاء فيلق الغدر، الذين ما أخرجوا من تلعفر إلا لكونهم عيونًا للصليبيين، وجلهم من الحرس الوثني والشرطة المرتدين، الذين بلغ فسادهم وإفسادهم مداه في تلعفر، وإلا فأين هذا الدعي عن حقوق أهل السنة، في المدائن والحرية والشعب، والجنوب وغيرها، الذين قتلوا وشرد منهم الآلاف، لا لذنب سوى أنهم من أهل السنة؟!

وقال الزرقاوي: تمضي الأيام وتتوالى الأحداث، وتتعدد المعارك، وتتنوع المسميات،

والهدف واحد: حرب صليبية رافضية ضد أهل السنة؛ لقد تلاقت مصالح الصليبيين، مع أهواء إخوانهم الروافض الحاقدين، فكانت هذه الجرائم والمجازر في حق أهل السنة؛ فمن الفلوجة إلى المدائن، وديالى وسامراء والموصل، ومرورًا بالرمادي، وهيت وحديثة وراوة، والقائم وغيرها، وأخيرًا وليس آخرًا في تلعفر؛ هذه المعركة التي جاءت في توقيتها لتغطي على فضيحة عدو الله بوش في تعامله مع ما خلفه جندي واحد من جنود الله؛ وهو إعصار كاترينا المدمر، الذي كشف للعالم أجمع مقدار العجز الكبير في مواجهة الدمار الذي أحدثه هذا الإعصار؛ بسبب الاستنزاف الهائل لطاقات الجيش الأمريكي في العراق وأفغانستان، وليعيد إلى الأذهان مظاهر التفريق العنصري بين أفراد الشعب الأمريكي، وليكشف هشاشة الأسس التي يقوم عليها بنيانه، فانتشرت عمليات السطو والقتل، وتفشت عمليات السلب والنهب، والآتي أدهى وأمر –بإذن الله تعالى–.

جاءت هذه المعركة لتكشف النقاب عن ذلك الوجه القبيح لحكومة أحفاد ابن العلقمي، ولتهتك الستر الذي يتوارون خلفه، حيث تم عزل الأحياء الرافضية في المدينة لتجنيبها القصف والدمار، ثم ليتم من بعدها شن حرب إبادة شاملة على أحياء أهل السنة، في خطوة للقضاء على كل مظاهر الحياة في هذه الأحياء، وقد ثبت لنا ثبوتًا لا مرية فيه استخدام الصليبيين للغازات السامة في معاركهم ضد المجاهدين، وإن أنكر ذلك أرباب البيت الأسود وأتباعهم، وهذه مستشفيات تلعفر دونكم؛ فاستنطقوها عن حالات الاختناق والتسمم الكبيرة في صفوف من ضمتهم جدرانها، ومن استطاع من أهل السنة النزوح والفرار من جحيم القصف الصليبي تلقفته يد الغدر من أعضاء فيلق الغدر وغيره، لتعيث في الرجال تعذيبًا وتنكيلًا وتقتيلًا، وفي النساء انتهاكًا لأعراضهن، وسلبًا وسرقة

لحليهن وزينتهن، إنها حرب طائفية منظمة، أُعِدّت فصولها بإحكام، وإن رغمت أنوف من أعمى الله أبصارهم، وختم على قلوبهم.

ويحكم يا علماء أهل السنة؛ أرخصت عليكم دماء أبنائكم، فبعتموها بثمن بخس؟!

أهانت عليكم أعراض نسائكم؟!

ويلكم! أما بلغكم أن كثيرًا من أخواتكم العفيفات الطاهرات من أهل السنة في تلعفر قد انتهك عرضهن، وذبح عفافهن، وامتلأت أرحامهن بنطف الصليبيين، وإخوانهم الروافض الحاقدين! أين دينكم؟! بل أين نخوتكم وغيرتكم ومروءتكم؟

هذا وما زال المجاهدون يصاولون العدو ويقاتلونه، فكيف إذا ما استقر الأمر لحكومة أحفاد ابن العلقمي واشتد ساعدهم، وترسخت قواعدهم وأركانهم! ماذا تنتظرون في أنفسكم؟!

أتحسبون أنكم بكتابتكم بيان تنديد واستنكار قد نجوتم من مسائلة العزيز الجبار؟! والله إن الموقف شديد، والحساب عسير!

ها هو ذنَب الروافض سعدون الدليمي –لا أسعده الله– يتبجح بذكر انتصاراتهم في تلعفر، وليت شعري عن أي نصر يتكلم هؤلاء الجبناء؟! الذين لا يجرؤ أحدهم على الخروج من جحره إلا وهو محكم بظهور نساء المارينز! أوَيظن هذا الخائن أن قصف الدور على من فيها من النساء والأطفال يعد نصرًا؟! بئس النصر والله! لقد حشدوا لمعركتهم مع هذه الفئة القليلة المؤمنة التي لا يتجاوز تعدادها المئات، أكثر من عشرة آلاف من

الجنود؟! منهم أربعة آلاف من الصليبيين، وهذا إن دل فإنما يدل على مقدار الخوف والهلع الذي أصاب نفوسهم، وتراهم يزعمون قتل العشرات وأسر المئات من العرب والأفغان، وهذا كله محض كذب وافتراء، فالمدينة خالية من وجود أي من المجاهدين العرب، وليعرضوا هؤلاء الأسرى إن كانوا صادقين، ثم يتوعد هذا الذنَب، الذي خان دينه وأمته، ورضي بأن يكون مطية للصليبيين والصفويين؛ بأنه قادم هو وزبانيته نحو الأنبار والقائم، وراوة وسامراء، ونحن نقول له: إن المجاهدين بفضل الله قد أعدوا لك ولجنودك سيفًا قاطعًا، وسمًّا ناقعًا، ولَتُسقَوُنَّ –بإذن الله– من كؤوس الموت ألوانًا، ولتكوننّ أراضي أهل السنة بجيفكم النتنة وعاء، فتقدموا إن شئتم أو تأخروا.

وهذا نداء لأهل السنة عامة في العراق؛ ألا هبوا من سباتكم، واستيقظوا من غفلتكم، فقد طال رقادكم، وإن رحى الحرب للقضاء على أهل السنة لم تتوقف ولن تتوقف، وهي آتية دار كل منكم إلا أن يشاء الله، وإن لم تبادروا باللحاق بركب المجاهدين للدفاع عن دينكم والذب عن أعراضكم؛ فإنها والله الحسرة والندامة ولكن ولاتَ ساعة ندم، وإياكم وما يروج له من خدعة الدستور والدعوات للمشاركة في الاستفتاء عليه من قبل أدعياء أهل السنة الذين خانوا الله ورسوله، وباعوا دينهم بعرض من الدُّنيا قليل؛ ففي الوقت الذي تنحر فيه رقاب أهل السنة في تلعفر والقائم وغيرهما: نجد هؤلاء الخونة في أربيل يستجدون أذناب اليهود (البرزاني والطالباني) لتحصيل مكاسب لهم في هذا الدستور الشركي، هؤلاء الذين خانوا الأمة من قبل، فكانوا أحد أركان المؤامرة لاستنقاذ الصليبيين في معركة الفلوجة الأولى.

وبناء على كل ما سبق ذكره، وبعد أن تبين للعالم أجمع حقيقة هذه المعركة، ومن المستهدف الحقيقي منها؛ فإن تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين قرر ما يلي:

أولًا: بما أن حكومة حفيد ابن العلقمي وخادم الصليب إبراهيم الجعفري قد أعلنت حربها الشَّاملة على أهل السنة في تلعفر ومن بعدها الرمادي والقائم وسامراء وراوة تحت ذرائع: (إعادة الحقوق والقضاء على الإرهابيين)؛

فقد قرر التنظيم: إعلان حرب شاملة على الشيعة الروافض في جميع أنحاء العراق، أين ما وجدوا وحيثما حلوا جزاءً وفاقًا؛ فمنكم كان الابتداء وأنتم من بادر بالاعتداء، فخذوا حذركم؛ فوَالله لن تأخذنا بكم رأفة، ولن تنالكم منا رحمة! وأي طائفة تريد أن تنأى بنفسها عن ضربات المجاهدين: فلتبادر وعلى جناح السرعة بالبراءة من حكومة الجعفري وجرائمها؛ وإلا فهم في الحكم سواء، وقد أعذر من أنذر.

ثانيًا: من الآن فصاعدًا: كل من يثبت انتسابه إلى الحرس الوثني أو الشرطة والجيش أو يثبت أنه عميل أو جاسوس للصليبيين: فحكمه القتل، وليس هذا فحسب، بل وهدم منزله أو تحريقه، بعد إخراج النساء والذرية منه؛ جزاءً على خيانته لدينه وأمته، وليكون لغيره عبرة ظاهرة وعظة زاجرة.

ثالثًا: حاول أبو رغال الدليمي بث الفرقة والشقاق بين المجاهدين والعشائر، زاعمًا أن شيوخ العشائر هم من طلب منه المجيء لاستنقاذهم، وهذا محض كذب واختلاق؛ فأبناء العشائر هم أحد أهم ركائز الجهاد، وهذه العشائر كان لها الأيادي البيضاء في نصرة الجهاد وأهله، ومع هذا فنحن نحذر العشائر: بأن كل عشيرة أو حزب أو جمعية

يثبت تورطها وعمالتها للصليبيين وأذنابهم من المرتدين: فوَالذي بعث محمدًا بالحق لَنقصُدَنّهم كما نقصد الصليبيين، ولَنستأصِلَنّ شأفتهم، ولَنفرِّقَنّ جمعهم، فما هو إلا معسكران: معسكر الحق وأتباعه، ومعسكر الباطل وأشياعه، فاختاروا في أي الخندقين تكونون، وما حل في بعض الخونة في القائم خير دليل على ذلك.

من أخبار المعارك

قال الزرقاوي: ولقد بلغ قتلى هذا الجيش الرافضي خلال الأسبوعين الماضيين أكثر من ٥٠٠ جندي؛ ففي محافظة ديالى وحدها: قام الإخوة بالهجوم المسلح والمنظم باقتحام ثلاثة مراكز للشرطة والجيش في بعقوبة وبهرز والعظيم، فتم قتل ما لا يقل عن ١٥٠ جنديًّا من العدو، وتدمير هذه المراكز تدميرًا كاملًا، فهذا في مدينة واحدة، فكيف بالمدن الأخرى؟ -طهرها الله من رجس الصليبيين والروافض الحاقدين- كبغداد والأنبار وصلاح الدين ونينوى وغيرها، ولولا تواطؤ الإعلام الخبيث بشتى وسائله مع العدو الصليبي، لَهالكم ما ترون من حجم خسائر العدو الصليبي وأعوانه.

حادثة قصف اليهود

قال الزرقاوي: وما رأيتموه في الأيام الماضية من قصف مُركّز بالصواريخ على أحفاد القردة والخنازير من جنوب لبنان؛ لهو باكورة عمل مبارك في ضرب العدو الصهيوني في عمق وجوده -بإذن الله-، وكل ذلك بتوجيه من شيخ المجاهدين الشيخ أسامة بن لادن.

قصة استثناء بعض طوائف الرافضة

سأل أبو اليمان عن قصة الاستثناء؟

فأجاب الزرقاوي: لكي نفهم ذلك لا بد لنا في بادئ ذي بدء أن نوضح القاعدة الشرعية لذلك. نحن عندما قاتلنا الرافضة أو أعلنا الحرب عليهم -بعد وقعة تلعفر- ما كانت القضية عندنا نابعة من الهوى فنحن ندرك دور الرافضة الآن وأنهم هم مادة الجيش والشرطة وبدأ الأمريكان يعتمدون عليهم بشكل كامل. وعندما أعلنا قتالهم كنا نروم من ذلك ردعهم فإن لم يرتدعوا عاملناهم بالمثل لأن هؤلاء الروافض عندما يأتوننا من الجنوب يأتون آمنين مطمئنين على أهلهم وبيوتهم في البصرة أو في الناصرية أو في العمارة. تهديم تلعفر وضربها بالكيماوي واغتصاب النساء وسرقة الأموال وقتل الرجال والأطفال جاء بعد تصريح سعدون الدليمي هذا الذي يحسب نفسه على السُّنّة وهو من أعداء الله أصلاً، أُمه رافضية أثرت فيه وزوجته رافضية ولم يؤثر فيه نسبه السني. وأثناء الهجوم على تلعفر صرح بكل تبجح: نحن قادمون. يهدد أهل السنة: أنه سيتحرك إلى راوة وإلى القائم وإلى حديثة وإلى سامراء ليفعل نفس الأفاعيل بها. ألا يحل بعد هذا أن نتخذ خطوات تكون رادعة لهذا الأرعن عدو الله؟

لم يأتِ وزير الدفاع بجنود من الهند أو من ألمانيا، لا، إنهم يأتون بهم من مناطق الرافضة، ونحن عندما نقاتلهم نعاملهم بالمثل كما تقتلون رجالنا نقتل رجالكم، كما تقتلون نساءنا نقتل نساءكم، كما تقتلون أطفالنا نقتل أطفالكم. نعاملكم بالمثل فلما يعلم أن بيته ليس آمناً وأهله ليسوا آمنين يحسب ألف حساب قبل أن يقدم على مهاجمة مناطق أهل السنة.

وإن هذه العوائل لا شك أنها تضغط على أبنائها وتقف أمام هذه الحكومة قبل أن

تفكر في قتل أهل السنة. ونقولها كلمة صريحة للرافضة: تهدمون بيوتنا نهدم بيوتكم تقتلون عوامنا نقتل عوامكم، المثل بالمثل.

أما قضية العراق الواحد وحقن دماء العراقيين فهي دعوة منحرفة تنتزع المسلم من هويته، وتترك الضعيف مقتولا من غير أن توفر له حماية أو أن تحفظ له كرامة. الشرع أباح للمسلم أن يقتل المسلم الصائل عليه ليأخذ ماله أو ينتهك عرضه، فجاز له أن يقتله وهو مسلم فما بالك بعدو مرتد وهو يعتقد أنه لا بد من قتلك وتصفيتك؟

و الآن نأتي على ذكر الاستثناء فأقول: لقد جاء الاستثناء بناءً على أن هناك من الرافضة من يخشى عواقب الدخول في حرب مع أهل السُّنّة ومن هنا كان لا بد من الاستثناء لنقول للرافضة: إن كنتم تريدون السلامة فكفوا عن أهلنا واتركوا مناصرة الأمريكان وخلوا بيننا وبين الصليبيين.

بيان لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين في عام ١٤٢٦هـ حول الاستثناء: كل طائفة من الشيعة تستنكر جرائم الحكومة على أهل السنة في تلعفر، وغيرها، ولا تعين الاحتلال بوجه من الوجوه فإنها مستثناة من ضربات المجاهدين، [...] وحيث أن بعض الطوائف أعلنت استنكارها للمجازر في تلعفر، وثبت للتنظيم بطرقه الخاصة عدم مشاركة طوائف أخرى في هذه المجازر، وعدم معاونة طوائف أخرى للمحتل، وتنديدهم بطرقه الخاصة عدم مشار بجرائمه، كالتيار الصدري والخالصي والحسني، وغيرهم، فقد قرر التنظيم عدم التعرض لرموز وعوام هذه الطوائف بأي شيء من الأذى، ما لم يكونوا هم المبادرين.

قال أبو مارية القرشي: إن أبا مصعب وغيره من قادة المجاهدين نبّهوا عوام الشيعة مراراً إلى ترك نصرة الأمريكان حتى لا تنالهم سيوف المجاهدين، بل أصدر أبو مصعب استثناءً بحق الصدريين وغيرهم، ومع ذلك أصرّ المشركون الأنجاس على القتال والعدوان فلينتظروا الرد المزلزل بإذن الله، والبغي مرتع مبتغيه وخيم.

قال أبو سليمان: هذا الاستثناء سببه بعض من تدخّل من خارج العراق في سياسة المجاهدين، وأرسل الرسائل والتوجيهات المكررة (كالدكتور أيمن، ونشر الأمريكان إحدى رسائله في١٤٢٦هـ).

وقال عن رسالة الظواهري: رسالة قديمة أرسلها للشيخ أبي مصعب الزرقاوي في ١٤٢٦هـ؛ وصحّح الرسالة من التقيت بهم في الشام من قدامى المجاهدين في خراسان والعراق؛ نعم، نفى بعض المجاهدين صحّة هذه الرسالة عقب ظهورها، وذلك لعدم معرفتهم بها إلا عن طريق الإعلام، وبعد ذلك تأكّدوا من صحّتها.

وقال أبو سليمان: وضغطوا على الشيخ حتى أعلن عن هذا، وكان استثناؤه إعلاميا فقط، ولم يلتزم به على الأرض لصعوبة التمييز بين التيارات الرافضية خصوصًا عوامهم، وسرعان ما أعلن الحرب مرة ثانية على التيار الصدري وغيره دون استثناء في عام ١٤٢٧هـ.

قال الزرقاوي: ومما يدلّنا على عمق وجذور حقدهم: ما ذكره مقتدى الصّدر في أوّل خطبةٍ له في الكوفة بعد دخول الصّليبيين، وتشكيل جيشهم؛ قال فيها: "إنّ هذا

الجيش أُنشِئَ لمعاقبة من تخلّف عن بيعة أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه-!"، فتأملوا -يا إخوتي- هذا الكلام الذي صدر منه قبل أن تطلق طلقةٌ بيننا وبينهم.

وقد جاء اليوم الذي بانت فيه سوءتهم للقاصي والدّاني وظهرت حقيقتهم لكل راءٍ وسامعٍ، بما لا يجعل مجالًا للشكّ؛ لأنّ هؤلاء الحاقدين لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، وما تخفي صدورهم أكبر! ففعلوا ما فعلوا من بغيٍ وظلمٍ، وقتل المشايخ والمصلّين، وأبرياءِ النّاس: بعملية دبرت بليلٍ بالأمس القريب، وبفترةٍ قياسية على ما يقرب من المائتي مسجدٍ؛ مما يدلّ على أنّ هذا العمل الجبان منهم كان مدبرًا مفتعلًا ومدروسًا؛ لتثبيت الدّولة السبئية.

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ؛ بل فعلوا فعلةً يندى لها جبين التّاريخ المعاصر بتفردهم بأفعالٍ كفريةٍ مشينةٍ فاقوا، وامتازوا بها عن الكفّار الأصليين المحاربين لهذا الدّين؛ حيث مزقوا المصاحف والآيات القرآنية، والمعالم الإسلامية في العشرات من بيوت الله، حتّى أثبتوا أنّهم أعداء الله حقًّا! قاتلهم الله أنّى يؤفكون!

فنقول له: لقد تعدّيت حدودك، واجترأت على حمى أهل السنّة، ثم بعد ذلك ادّعيت زورًا وكذبًا وتدليسًا وتمويهًا بأنّك ممن أمر أتباعه بحماية مساجد أهل السنّة؛ وعليه فنحن قد قبلنا دخول المعركة معك، ومع قطيع أغنامك.

حادثة تفجير أوكار الجواسيس

قال الزرقاوي: فقد تناهى إلى أسماع العالم الصخب والضجيج الذي أثارته الحكومة

الأردنية المرتدة، من خلال وسائل إعلامها المسير من قبل أجهزتها الأمنية، التي راحت تصور فيه لأهل الإسلام في الأردن بأنهم باتوا ضحية مستهدفة للإرهاب، وأن هؤلاء الإرهابيين لا يحسنون إلا سفك الدماء، وقد عرضت هذا الإِفْك بطريقة تستثير العواطف، وكان مبدأ ذلك بعد انطلاق ثلاثةٍ من أسود الرافدين من عرينهم في بغداد إلى قلب عمان؛ ليدكّوا ثلاثة أوكار طالما ضمت بين جدرانها اليهود والصليبيين وغيرهم؛ لحرب الله ورسوله.

وقد أقدم تنظيم القاعدة على اتخاذ هذه الخطوة المباركة للأسباب الآتية:

أولًا: لقد استعلنت الحكومة الأردنية بالكفر، وجاهرت بالحَرَابة لله ورسوله، وعطلت الشريعة، وحكّمت القوانين الوضعية.

ثانيًا: أصبح جيش هذا النظام الحارس الأمين لجناب دولة بني صهيون؛ فكم من مجاهد كان يروم الدخول إلى الأرض المباركة، لِقتال إخوة القردة والخنازير: قُتِل برصاصةٍ غادرةٍ، جاءته من وراء ظهره على أيدي جنود هذا النظام الخائن!

ثالثًا: بثّها للخنا والفجور، ونشرها للفساد؛ فقد أصبحت هذه البلاد مستنقعات للرذيلة، والإباحيةِ المطلقةِ؛ فمن رأى الفنادق والملاهي والمراقص وحانات الخمور والمنتجعات السياحية في العقبة والبحر الميت وغيره: تَقطّع قلبه أسًى وحزنًا على ما آلت إليه الأمور في هذا البلد الطيب أهله، على أيدى أفراد هذه العائلة الماجنة؛ رجالًا ونساءً على السواء.

رابعًا: أطلقت هذه الدولة الكافرة يد العدو الصهيوني، وسمحت له بالتغلغل داخل المجتمع الأردني اقتصاديًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا؛ فقد سيطر أرباب الاقتصاد اليهودي على معظم الشركات والبنوك والمصانع والمعامل وغيرها، وباتوا يتحكمون في مصادر أرزاق مئات الآلاف من أبناءِ هذا البلد، وخير شاهد على ذلك مدينة الحسن الصناعية في محافظة إربد.

خامسًا: وجود السجون السرّية للأمريكان في الأردن، بإشراف مباشر من أجهزة المخابرات الأردنية، والتي يوجد في قعر زنازينها عشرات المجاهدين، من مختلف البلدان، والتي يذوقون فيها من العذاب ألوانًا، ومن الهوان أصنافًا على أيدي الجلادين من زبانية المخابرات الأردنية، نيابة عن المخابرات الأمريكية! ذكرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز: أن جهاز المخابرات الأردنية أصبح الحليف الأقوى لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والأكثر فعالية، على مستوى منطقة الشرق الأوسط بأكملها فيما يتعلق بـ(الحرب على الإرهاب)، وهي نفس المنزلة التي كان يحتلها جهاز المخابرات الإسرائيلي في السابق! وأشارت الصحيفة الأمريكية إلى أن الأردن والولايات المتحدة قد حدث بينهما تعاونٌ وثيقٌ في مجال استجواب العناصر المشتبه في صلتها بالإرهاب، وهو الأمر الذي تعرض لانتقاداتٍ واسعة النطاق من قبل وسائل الإعلام العالمية ومنظمات حقوق الإنسان؛ نظرًا لاتهامات التعذيب الذي مورسَ خلال تلك الاستجوابات، وكشفت الصحيفة عن أن المخابرات المركزية الأمريكية خصّصت جزءًا من ميزانيتها لتدريب المخابرات الأردنية وكوادرها في مقرهم بعمان!

سادسًا: أما في الحالة العراقية؛ فقد كانت الأردن ولا تزال قاعدة إمدادٍ خلفية للجيش الأمريكي؛ فقد قام هذا النظام بفتح أبواب البلاد على مصراعيها للعدو الصليبي، يفعل فيها ما يشاء؛ فقد اتخذ من هذه البلاد قاعدة خلفية تنطلق منها الطائرات الأمريكية بصبِّ جام حممها على أهل الإسلام في العراق، ولا ننسى جيش المترجمين من العملاء الأردنيين في العراق، وكذا للأسف أسطول ناقلاتٍ محملة بالزاد والعتاد الذي ينقل بوساطة الشاحنات الأردنية للجيش الأمريكي في العراق، حتى يستعينوا بها على حرب الإسلام وقتل المجاهدين!

وهذه رسالة إلى أهل الإسلام في الأردن: إنا نحب أن نطمئنكم بأننا من أحرص الناس على دمائكم، كيف لا؟ وأنتم أحبُّ إلينا من أنفسنا وأبنائنا، وإننا لنعلم بأنكم ضحية هذا النظام الإجرامي، الذي ذبح أبناءكم كما فعل بالمسلمين في مدينة معان، واستحيي نساءكم، وسامكم الذل والهوان، وأما ما صوّره هذا النظام الخائن من أنكم بتم ضحية للمجاهدين؛ فهذا كله محض افتراءات وتزوير، ومعاذ الله أن نجترئ على إراقةِ دمائكم؛ فلو أردنا أن نقتل الأبرياء من الناس كما زعم هذا النظام المرتد: لَما تكلفنا عناءَ المخاطرة بهؤلاء الأسود في تجاوز الحواجز الأمنية المحيطة بفنادق الضرار تلك، بل لو أردنا سفك دمائكم والعياذ بالله: لَكان أسهل علينا أن يفجر هؤلاء الاستشهاديون أنفسهم في الأماكن العامة، التي يجتمع فيها المئات من الناس، والتي هي من الأهداف السهلة؛ كالساحة الهاشمية أو مجمع العبدلي أو المجمعات التجارية كالسيفوي وغيرها، ألم يكن باستطاعة أسود تنظيم القاعدة ممن أطلقوا الصواريخ على البارجات الأمريكية في

إيلات، أن يقوموا بإطلاقها على التجمعات السكنية للأبرياء في عمان، بدل تعريض أنفسهم للمخاطر في الوصول إلى العقبة، المحاطة بسياج أمني والتي أضحت منطقة أمنية مغلقة؟ ولكن علم الله أننا ما أقدمنا على اختيار هذه الفنادق إلا بعد أن ترجح لدينا من خلال التحري والاستطلاع المتأني بهذه الفنادق لمدة تزيد عن الشهرين، ومن خلال المعلومات التي زودتنا بها مصادرنا الموثوقة من داخل هذه الفنادق وخارجها؛ تفيد بأن هذه الفنادق باتت مقرات لأجهزة المخابرات اليهودية والأمريكية والعراقية، فأما فندق الرادسون؛ فيقطنه معظم موظفي السفارة الإسرائيلية، وهو مقصد السياح الإسرائيليين، وكذلك فندق الدايز إن، أما فندق حياة عمان، وما أدراك ما حياة عمان! وكر الاستخبارات الصهيونية والأمريكية والعراقية، ولك أن تعرف حقيقة هذا الفندق: أن الجاسوس الإسرائيلي (عزّام عزّام) كان يلتقي بالموساد الإسرائيلي في هذا الفندق! والذي يعرف هذه الفنادق، يعلم علم اليقين من الذي يرتادها، بل إن فندق حياة عمان فيه جناح خاص لطاغية الأردن (عبد الله الصغير) يقضي فيه الليالي ذوات العدد!

فيا أهلنا في الأردن؛ ما لنا وللتفجير وسط حفلات الأعراس؟ فإن كان مرادنا التفجير في أماكن كهذه؛ فصالات الأعراس منتشرة في طول البلاد وعرضها، مفتوحة الأبواب، لا حسيب عليها ولا رقيب، وأما ما أُشيع أن الأخ الاستشهادي قام بتفجير نفسه في صالة للأعراس وسط الحضور؛ فهذا كله كذب وتلفيق من أجهزة الشر الأردنية، فالذي خدع الناس طيلة هذه السنين الطوال بأنه عدو لبني صهيون: قادر على أن يقلب الحقائق ويلبّس على السذج من الناس.

وأما من قُتل من المسلمين في هذه العملية؛ فنسأل الله أن يرحمهم وأن يغفر لهم، فوَالله لم يكونوا هم المستهدفين، ولم نفكر ولن نفكر لحظةً واحدة في استهدافهم، حتى وإن كانوا أصحاب فسقٍ وفجور، هذا على فرض أن الانفجار وقع بالقرب منهم؛ لأن الإخوة الاستشهاديين كانوا قد استهدفوا الصالات التي ضمت اجتماعًا لضباط المخابرات لبعض دول الكفر الصليبي وأوليائه، وما نال المقتولين من أذى، بفعل سقوط جزء من السقف الثانوي عليهم بفعل قوة الانفجار، ولا يخفى أن هذا الأمر وقع تبعًا لا قصدًا ولم يكن بالحسبان، وقد ذكر شقيق العريس كما أوردت القدس برس: أنه يستبعد أن يكون الانفجار سببه عملية انتحارية؛ لأن الوضع كما وصفه كان طبيعيًّا من البداية، فلم تكن هناك أيُّ دلائل أو إشارات بوجود شيء ما، وأضاف أن السقف سقط بكامله؛ الديكور والإسمنت مع الحديد، كما أن الغبار والأتربة كانوا يغطّون المكان، مما يشيرُ إلى أن العملية سببها كما يعتقد قنبلة مزروعة بالسقف، فلم يكن هناك نار أو حريق.

وأما الفندقان الآخران؛ فقد كان فيهما عدد من الشخصيات الأمريكية واليهودية، وقد تمكن الإخوة -بفضل الله تعالى- من تحديد مكان وزمان تواجدهم بعد الاستطلاع المتكرر لموقع العملية، وبالتالي: فإن الإخوة كانوا يعرفون هدفهم وحدوده بدقةٍ كبيرة.

قال أبو جعفر: تمتع الشيخ -تقبله الله- بالخبرة العسكرية العالية في إدارة المعارك، حتى أن أكثر العمليات ذات الصدى العالمي الواسع، لم تكن تُنفَّذ إلا بعد اطلاعه عليها وإبدائه ملاحظاته بخصوصها، وكانت عمليات الأردن من مخططاته، خاصة مع حرصه

على جمع المعلومات الدقيقة حول الأهداف. من ذلك أنني سألته مرة عقب إحدى هذه العمليات: "يا شيخ، يقولون في الأخبار إن التفجيرات كانت على عرس"، فقال: "بل كان هناك اجتماع لرجال المخابرات اليهودية والأردنية والصينية، إضافة لمخابرات بعض الدول العربية". كما كان الشيخ يخطط لعمليات داخل وخارج أرض العراق.

حادثة التحريش على المجاهدين

ذكر في صحيفة النبأ (٤١): كانت وسائل الإعلام الصليبية تشنّ حملة شرسة لتشويه سمعة المجاهدين في العراق وعلى رأسهم الشيخ أبو مصعب الزرقاوي -تقبّله الله- وإخوانه، وشارك في تلك الحملة أمراء الفصائل الضالّة وقادة حزب الإخوان المرتدين (الحزب الإسلامي)، وخاصة بعد أن أصبح اسم الشيخ الزرقاوي ملء السمع والبصر، وصار وجود مجاهدي (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين) سدًا منيعًا في وجه كل مشاريع الخيانة من أولئك الضالّين الذين أعلنوا ردّتهم، ومما زاد من هموم الشيخ الزرقاوي ما كان يبلغه من انتقادات مصدرها القائمون على تنظيم القاعدة في خراسان، لا تدع مجالا للشك في أنّهم كانوا يصدّقون ما يثار في الإعلام الصليبي من شائعات ضد مجاهدي العراق، ولكن لانكشاف أمر معظم الفصائل ووضوح انحرافاتها مبكّرًا، لم يكن أمام هؤلاء إلا الشكوى من سوء العلاقة بين الشيخ الزرقاوي وإخوانه و(أنصار السنة)، فقد كان قادة (أنصار السنة) على اتصال دائم مع عطية الله الليبي عن طريق إيران، حيث كان للطرفين فيها موطئ قدم ونقاط تواصل، وأمام حالة الحزن التي انتابت الشيخ الزرقاوي -تقبله الله- من معاملة بعض القائمين على قاعدة خراسان له، وسوء ظنهم به، وبسبب صعوبة

التواصل معهم، كان الخيار الأفضل لديه أن يرسل مبعوثا من قبله إليهم، ليبيّن لهم حقيقة ما يجري في العراق ويكشف لهم حقيقة افتراءات أمراء (أنصار السنة) على المجاهدين، ولم يكن في نظر الشيخ الزرقاوي -رحمه الله- من هو أفضل من الشيخ أبي إيمان لإنجاز هذه المهمّة، لكونه نائبا له، ولعلمه، وقدره، ولكونه كان المسؤول الشرعي السابق لتلك الجماعة المفترية (أنصار السنة)، فهو الأعرف بحالهم وخفايا أمرهم، فاستجاب الشيخ لطلب أميره، ومضى إلى خراسان، حيث التقى بالقائمين على قاعدة خراسان وشرح لهم حقيقة ما يجري في أرض العراق، وعاد بعد ذلك ليطلع الشيخ الزرقاوي على أحداث تلك الرحلة، والنتائج التي تحققت من خلالها.

قال ابن أبي علي الأنباري: بقي الشيخ أبو علاء عدة أيام، فقد كان إخوانه يرتبون له أوراق سفره وما أن أكملوها حتى سافر إلى بغداد، والتقى بالشيخ الزرقاوي ورجع إلى العمل مجدداً. ثم بعد فترة اتصل بي وطلبني عنده في بغداد، فذهبت وما أن وصلت حتى علمت منه أنه سيسافر قريبًا لكن هذه المرة إلى خارج العراق.

يقول الشيخ عن سفرته تلك: "سافرت إلى هناك بصحبة إخوة لي فدخلنا إيران أولاً ثم عبرنا إلى باكستان ولبسنا الملابس المحلية هناك، واستمر تنقلنا حتى وصلنا إلى إقليم وزيرستان والتقيت هناك بقادة التنظيم منهم الشيخ أبو يحيى الليبي والشيخ أبو اليزيد. إذ أن بعض أفراد الأنصار (أنصار الإسلام) قد أرسلوا بعض الرسائل بل وقد ذهب موفدهم أبو العباس ومعه صحبه والتقوا ببعض قادة التنظيم هناك، وشكوا لهم ما ادعوه من ظلم التنظيم في العراق ومن أجل ذلك ذهبت إلى هناك، فقد لزم علينا توضيح

الأمور لقيادة التنظيم، فطلب مني الشيخ أبو مصعب أن أذهب إليهم بنفسي ففعلت".

إقامة مجلس شورى المجاهدين

ذكر في صحيفة النبأ (٤١): في الوقت الذي كان الجيش الصليبي الأمريكي يترنح في العراق، كانت مشاريع أهل الضلال أيضاً تتشكل على الأرض، وكل منهم يحاول أن يسرق ثمرة الجهاد في العراق بتلاعب شياطين (السرورية) ومخابرات الحكومات العربية المرتدة وخاصة في الخليج، فكان ردّ الشيخ الزرقاوي وإخوانه الإسراع في تطوير مشروعهم ليصلوا به إلى جمع خيرة الفصائل عقيدة ومنهجًا في إطار واحد بما فيها (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين)، وأُطلق على هذا الإطار الجامع مسمى (مجلس شورى المجاهدين في العراق)، وحصل الاتفاق على أن تكون إمارة هذا المجلس دورية بين الفصائل المشكّلة له، ووقع الاختيار هنا على الشيخ أبي إيمان ليكون أول أمير لمجلس شورى المجاهدين، حيث ألقى بنفسه البيان الأول لهذا المجلس واتخذ لنفسه اسما حركياً هو (عبد الله بن رشيد البغدادي) الذي اشتهر حينها على وسائل الإعلام.

ذكر في بيان مجلس الشورى: فبعْد أن دهَمَت جحافلُ الصّليب، وأشياعهم من الرّافضة والعلمانيين دارَ الخلافة بغداد، وضَرَبوا المُسْلمين عن قوسٍ واحدة، طلباً لنُصرة كفْرهم وتحقيقا لأحلام اليهود أسيادهم. وخلالَ أكثر من سنتين ونصفٍ مضت، تقلّبت الأحداث في بلاد الرافدين، وتَسارعَت وتيرَتُها صعوداً، بعْد أن بارَك الله في جهادِ الفئة القليلة من طلائع هذه الأمّة، لنقف أخيراً على مشْهدِ اجتماعٍ كفريّ متعدّد الأطراف ومتنوّع المشارب؛ فكان لِزاماً على الموحّدين مِن أهلِ السنّة والجماعة، ممّن اختار درْبَ

الجهاد ومناجزة الكفّار بكلّ صُنوفه وكافّة أشكاله، الاجتماعُ على نُصرة الحقّ، متآلفين مُتحابّين، نابذين للشّرك، طالبين لمقصد لا حياد عنْهُ ولا تراجُع.

وقد قرّرت الجماعات الجهاديّة الآتية:

١- تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

٢- جيشُ الطّائفة المنصورة.

٣- سرايا أنْصار التّوحيد.

٤- سرايا الجهاد الإسلاميّ.

٥- سرايا الغُرباء.

٦- كتائبُ الأهوال.

تشكيلَ مجلسٍ تحت اسم (مجلسِ شورى المجاهدين في العراق)، وذلك لتحقيق المطالب ويؤكّدون على عدم التّفريق بين طاغوتٍ عربيّ أو أعجميّ، فالطّاغوت هو هو أياً كانت جنسيّته ومهما كان انتماؤه. ونذكّر بأن باب اللّحاق به والانضمام إليه مفتوحٌ لكلّ طالب لنُصرة الدّين ونيل محبّة ربّ العالمين.

حوادث عام ١٤٢٧هـ

اعتقال نائب الأمير وعدد من المجاهدين

ذكر في صحيفة النبأ (٤١): وفي شهر ربيع الأول من عام ١٤٢٧هـ، قدّر الله أن يحضر الشيخ أبو إيمان من الشمال، ليلتقي مع بعض مسؤولي التنظيم وليذهبوا جميعا للقاء الشيخ الزرقاوي في حزام بغداد الجنوبي، وفي إحدى المحطات على الطريق، حدث إنزال أمريكي على المنزل الذي استقروا فيه، وقد كانوا خرجوا من المدينة إلى ريف بغداد بغير سلاح بسبب اضطرارهم إلى سلوك طريق عليه الكثير من الحواجز، فاعتقلهم الصليبيون بقدر من الله بعد اشتباك مع مجموعة من الاستشهاديين كانوا في مضافة بجوارهم وقصْف مقرهم، وبالتالي اكتشفت الاستراحة التي كان فيها الشيخ أبو إيمان مع إخوانه، وكانت تلك من أقسى الضربات الأمنية التي تعرض لها تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

وفي فترة سجنه تلك جرت أحداث هامة في تاريخ الجهاد في العراق، إذ انتقل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي –تقبّله الله– إلى ديالى لتهيئة الأوضاع لإقامة الدولة الإسلامية، لكنه قُتل على يد الصليبيين قبل أن يعلن عن قيامها بنفسه، ليستلم الراية من بعده الشيخ أبو حمزة المهاجر –تقبله الله– والذي أعلن حلّ تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، وأعلن البيعة للشيخ أبي عمر البغدادي –تقبله الله– أوّل أمير لدولة العراق الإسلامية، ومن تلك الأحداث الجسام الردة الجماعية للفصائل والتنظيمات التي دخلت في مشروع الصحوات الأمريكي، وضاقت الأرض على الموحدين، واستحرّ القتل في المجاهدين، حتى

قُتل الشيخان أبو عمر البغدادي وأبو حمزة المهاجر، تقبّلهما الله، ليأخذ الراية الشيخ أبو بكر البغدادي، وتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ دولة العراق الإسلامية.

وذكر في صحيفة النبأ (٢٨٥): كان الشيخ أبو محمد الفرقان على موعد مع الشيخ الزرقاوي ليكون معه في تصوير المشاهد الضرورية للإصدار، فخرج إليه مع عدد من إخوانه أمراء التنظيم، كالشيخ أبي علي الأنباري والشيخ أبي محمد العراقي والشيخ أبي المعتز القرشي، تقبلهم الله جميعًا. فقدر الله أن يعثر الصليبيون على المضافة التي كانوا فيها ينتظرون من يقلهم إلى مكان الشيخ الزرقاوي، وذلك إثر عملية إنزال أمريكية على موقع للمجاهدين قريب من المضافة، فالتقطت مكان المضافة عدسات طائرة استطلاع للصليبيين كانت تحوم من الأجواء لحظة اشتباكهم مع المجاهدين. وبعد أن انتهى الاشتباك بمقتل جميع المجاهدين في الموقع المجاور حيث فجروا أحزمتهم على القوات المهاجمة ورفضوا الاستئسار لهم، حاصروا المضافة وفيها الشيخ أبو محمد ومن معه، وهم عزّل من السلاح تقريبا، لكون طريقهم من بغداد إلى مكان الشيخ الزرقاوي ملغما بالعديد من سيطرات الصليبيين، فقدر الله للشيخ أبي محمد أن يؤسر، ويبقى في السجن سنوات، وأن لا يودع أميره الوداع الأخير، فقتل الشيخ الزرقاوي -تقبله الله-، وهو في سجنه، أسيرا عند الصليبيين، متنقلا بين سجونهم ومحاجرهم.

إقامة دولة إسلامية

قال أبو مارية القرشي: حدثني شيخنا أبو بكر عن شيخنا أبي مصعب -رحمهما الله- وهذا إسنادٌ مسلسلٌ بالشهداء إن شاء الله: أنه كان يتوقع قيام الإمارة الإسلامية

في غضون أشهر معدودة على الأراضي التي يسيطر عليها المجاهدون. فقد كان –رحمه الله– ببعد نظره وعميق فهمه لدينه وواقعه يتلمس الحاجة الشرعية والواقعية المُلحة لإقامة دار إسلامٍ في أرض الرَّافدين.

قال الزرقاوي: بإذن الله تعالى، من هنا إلى ثلاثة أشهر يكون الجو مهيَّأً لإمارة إسلامية.

قال أبو عبد الرحمن العراقي: إنّ الله أكرمنا في الأشهر الأخيرة بالاجتماع مع إخوتنا بتشكيل مجلس شورى المجاهدين بإمرة شيخنا عبد الله بن رشيد البغدادي وكان لشيخنا –رحمه الله– الأثر الطيب في إنشاء هذا المجلس ليكون النّواة الأولى لدولة الإسلام الّتي سَتقام –بإذن الله– على أرض الرافدين.

قال العدناني: أمير دولة الإسلام أبو عمر البغدادي، ووزير حربه أبو حمزة المهاجر اللَّذان حققا أمنية أبي مصعب الشهيد فشيّدا دولة الإسلام، وقاما على رعايتها وتدبير شؤونها والمحافظة عليها في أحلك الظروف رغم كل المحن والزلازل حتى رزقهما الله الشهادة.

قال أبو الليث الليبي: الله عز وجل أكرم الزرقاوي بأن دخل للعراق شريدًا طريدًا، فكان مع إخوانه المجاهدين في العراق. كان لهم الدور الأسمى والأسنى في استنهاض الأمة، وتحويلها من العبث واللهو، ومن أن الجهاد عبارة عن فضول أوقات، وفضول أعمال، وفضول أموال، إلى عمل أساسي رسمي لا بد من القيام به حتى نصل إلى الدولة المباركة (دولة الإسلام).

فصل في اتباعه السنة وحذره من البدعة

قال ميسرة: ومرةً كتبْتُ فيما كتبْتُ: يا خيل الله اركبي ويا غارة الله جُدِّي السير مسرعة... إلخ؛ فاعترَض -رحمه الله- على: "يا غارة الله جدي السير"، وذكر لي عن الشيخ أبي عبد الله المهاجر أنه اعترض عليها لكنه لا يذكر وجه الاعتراض، وذكر لي أن أبا الغادية كان حاضراً؛ فأرسلتُ لأبي الغادية أستَوْضِحُ وجه الحظر، وريثما يأتي الإيضاح كنت حذفتها من الكلمة سمعاً وطاعةً للشيخ -رحمه الله- رغم أني أراها جائزة بناء على أن الغارة في اللغة تأتي بمعنى الخيل، وقولُنا: "يا خيل الله أو يا غارة الله" سيان؛ فكلاهما على تقدير محذوف يُعرف عند الأصوليين بـ (لحن الخطاب) كقوله تعالى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ}. أي: أهلها.

ودارت الأيام والتقيت بأبي الغادية فاستوضحت منه القضية، فذكر لي أن الشيخ -رحمه الله- كان إماماً في الصلاة وكان الشيخ المهاجر وأبو الغادية مأمومين به، فدعا الشيخ في القنوت "يا غارة الله..."، فكان هذا سببَ إنكار الشيخ المهاجر؛ لأن القنوت لا يناسبه مخاطبة غير الله، فتَبَيَّنَت القضيةُ، ولله الحمد.

قال الأنباري: جلست مع موفد أنصار الإسلام فكان النقاش أولاً في الخطوط العريضة من عقيدة الجماعة، فتوثقت العلاقة بيننا كثيرًا ثم طلب مني أن أزوره في بيته ببغداد فكان ذلك. في بغداد جلسنا نتناول أطراف الحديث فأخبرني بأن هناك رجلاً من الأردن عندي ضيفًا في بغداد وأريدك أن تلتقي به وبدأ يثني على الضيف وأنه من المهاجرين إلى أفغانستان وأنه بعد سقوط دولة طالبان، دخل إيران واعتقل هناك، ثم

تركوه على الحدود العراقية وهو الآن في داخل العراق ونحن على اتصال به، وأنا لا أعرف من هذا الأخ المهاجر. وبدأ يحدثني عنه ثم قال مختصراً لو رأيته لظننت أنك ترى رجلاً من عصر الصحابة، فتشوقت لرؤيته كثيرًا. ذهبت إلى بغداد في منطقة النصارى في الدوره كان مسكن ممثل الأنصار هناك، وصلت إلى البيت وجلسنا وقريب من المغرب أو بعد المغرب بقليل، دخل علينا الضيف فإذا به رجل في ريعان شبابه أسمر بعض الشيء فجلس إلى جانبي، كان ممثل الأنصار قد أعد لنا طعاما طيبا في ذلك الوقت. فاجتمعنا على الأكل نحن ثلاثتنا، نحن تمادينا في الأكل لكن الضيف أكل شيئًا قليلًا وانسحب، فقال له ممثل الأنصار: "كل يا شيخ، أنا أعلم أنك كنت صائما، وهذا ليس أكل صائم"، قال: "أنا والله أفطرتُ بقطعة حلويات فكأن هذه القطعة سدت معدتي، فأقللت من الأكل". جلسنا وتكلمنا في أمور كثيرة ودار حديث بيننا وكان طيب الحديث، ثم جاء صاحب البيت لنا بالشاي، فشربت الشاي وشرب ممثل الأنصار الشاي إلا أن ضيفنا الثالث بقي الكوب أمامه، رفعه في المرة الأولى ثم تركه. بعد أن أفرغ ممثل الأنصار كوب الشاي، أخذ الكوب الفارغ وفرغ شايَهُ بالكوب الفارغ ثم بدأ يشرب، ثم علَّلَ قائلاً بأن في الكوب خرمًا وأن الرسول ﷺ نهى عن الشرب في الإناء المخروم، فكبُرَ الرجل في عيني كثيراً إذ أنه كان صائمًا (صيام تطوع)، وكما كان يلتزم بما يعرفه من الهدي النبوي، ثم عرفني بشخصه أنه (أبو مصعب الزرقاوي) فبقينا ليوم كامل ثم عدت إلى تلعفر.

سأل أبو اليمان: أيهما أفضل مسلم تلبس ببدعة أم مسلم صافي العقيدة لكنه لا يجاهد؟

فأجاب الزرقاوي: أما الذي يدعي أنه مسلم صافي العقيدة وهو تارك للجهاد فهو فاسق و أما المسلم الذي يجاهد في سبيل الله فهو أفضل من القاعد عن الجهاد وإن كان متلبساً ببدعة، وأُقرب لك الأمر: ها هم الطالبان مثلاً -زمن الملا عمر- المعروف عنهم أنهم ماتُريدية خريجو المدرسة الديوبندية وهؤلاء من المعروف عنهم أنهم لا يقبلون إلا بتحكيم شرع الله وقاتلوا في سبيل الله ووقفوا بوجه طغيان أمريكا.

وعندهم بعض الأخطاء ونعلم بهذا ولكن هم عندي خير من أصحاب العقيدة الصحيحة من (علماء الجزيرة) الذين بايعوا الطاغوت عبد الله بن عبد العزيز بل أي عقيدة صحيحة يحملون ومن هو الأفضل عند الله تعالى؟ ملا محمد عمر أم هؤلاء؟ بل ملا محمد عمر خير من ملء الأرض من أمثال هؤلاء.

ماذا نفعتنا العقيدة النظرية التي يعتقدونها وماذا نفعتهم عقيدة ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب وهي محشورة في عقولهم محبوسة في صدورهم لا تخرج للعلن ولا يرى لها تأثير على الطواغيت، بل إنهم يصدون عن سبيل الله بمبايعتهم للطاغوت وبتعطيلهم للجهاد وبدعوتهم لقتل المجاهدين ووصفهم بالفئة الضالة، فبئس ما يحملون من (عقيدة) إن لم يتبعها عمل وينتج عنها ثمر صالح {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [سورة البقرة: ٩٣]، فالطالبان خير من هؤلاء مئات المرات بل لا مقياس ولا تشابه.

ومثال آخر الشيخ عبد الله الجنابي هو صوفي نخالفه ولا نتفق معه ومع هذا كان الشيخ أبو أنس الشامي -رحمه الله- يقبل رأسه وكنا نرجو فيه خيراً ونطمع أن نجلبه إلى

طريق السلف، وقد أهدى له الشيخ أبو أنس إحدى مؤلفات الشيخ ابن تيمية فماذا نريد من الرجل إذا كان رافعاً لراية الجهاد داعياً لقتال أعداء المسلمين فهو عندنا والله خير من المثبطين القاعدين عن الجهاد.

ورغم هذا لم نكن نداهنه كنا نناقشه وفي وقت الحرب والمنازلة كنّا نشهر معه أسلحتنا بوجه العدوّ الصليبي الصائل. فيا أخي: ائتني بصوفي يحمل بدعة يجاهد في سبيل الله أقبّل قدمه وهو عندي خير من القاعد وإن كان يزعم أنه يحمل عقيدة صحيحة فالمرء ما دام مسلماً مجاهداً هو على خير وهو أفضل من القاعد على أي وجه كان على أن لا يمنعني جهاده من التبرؤ من بدعته ولا يحملني هذا على ترك مناصرته.

فمن المعروف أن الأئمة قاتلوا مع يزيد الخارجي عندما قاتل الفاطميين على الرغم من أنه من الطائفة الموصوفة بأنها كلاب أهل النار. نعم أقاتل مع المبتدع إلا إذا تلبس بناقض وهذا أمرٌ آخر وأما ذاك الذي تلبس بناقض فإني لا أقاتل معه ولا تحت رايته ولكن هذا لا يمنعني من دعوته بالحسنى وأن أطمع بإسلامه وهدايته إلى طريق السُنّة وفي الوقت ذاته لا أرفع عليه السيف ما دام يقاتل ذات العدوّ الذي أقاتله.

و محصلة الأمر عندنا أن من تلبس بناقض وقاتل الكفار نناصحه وندعوه ونطمع بإسلامه ولكن لا نستعين به ولا نقاتله ما دام رافعاً للسيف بوجه عدونا معرضاً عن مقاتلتنا.

وأما المبتدع فنصبر عليه وندعوه ونقاتل معه ولا نقره على خطئه ولا نداهنه ونستمر بدعوته حتى يعود إلى السنة. هذا هو دين الله تعالى: نصبر عليه وندعوه بالحسنى ونناصره

لما معه من الإسلام، ولا أقول له: أنت محسن ببدعتك هذه ولا بأس عليك، بل أصارحه بخطورتها وبتلطف وبالحسنى وأبقى أذكره بحقوق أخوة الإسلام التي تجمعنا.

وإن كان قد ورد عن بعض السلف طرد المبتدع من الثغور، فإن هذا كان أيام التمكين، أما اليوم فأنا أواجه عدواً صائلاً يروم استئصال الإسلام والقضاء على الدِّيْن بالكلية، ولهذا فمن الواجب أن نقاتل مع كل مسلم دون اشتراط براءته من البدع، وهذا ما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قاتل التتار فإنه قاتل مع الصوفية ومع الأشاعرة وتحت راية المماليك الذين كانوا يجمعون ما بين التصوف وعقيدة الأشاعرة والتعصب للمذهبية. والواقع أنه لم يكن هنالك (جيل) أو جيش بعد جيل الصحابة والتابعين صافياً.

ونقر اليوم بأن هناك أخطاء وهنالك من المجاهدين من معه بعض البدع، ولكن هذا لا يمنع من القتال معهم ضد عدونا الصائل. أما جماعتنا فشرط الانتساب إليها اتباع السُّنّة وترك البدع وهجر الكبائر وهذا ما نلزم به أنفسنا ومن تبعنا أما من لم يقدر على هذا ولم يستطع بلوغه فإن منعنا لانتسابه لنا لا يعني إلغاءنا له وإغفالنا لحقه علينا في التناصر بالسيف قتالاً معه وباللسان نصحاً له. وأعتقد أن هذا هو المنهج الذي ينبغي أن تكون عليه الجماعة التي تريد إرجاع خلافة النبوة وإقامة الشرع إذ لا بد من وضوح المنهج واستقامة المعتقد لكي لا تنحرف الراية.

قال عطية الله الليبي: كان الشيخ أبو مصعب يتألف الجنابي ويبعث له الإخوة وهو -رحمه الله تعالى- كما كتب في بعض رسائله لبعض إخوانه هو الذي اقترح على الإخوة

إدخال الشيخ في (مجلس شورى المجاهدين) ساعتها، ثم توليته إدارة المجلس، لما رأى -رحمه الله- من الخير في ذلك والتألف له وللناس واجتماع الناس على الجهاد.

فصل في تدبيره للإعلام

قال الزرقاوي: فبين الفَيْنَة والأخرى؛ يقومُ إخواني في القسم الإعلامي بتزويدي ببعض أخبار المسلمين المتناقلة في وسائل الإعلام المختلفة؛ المرئية منها والمسموعة، وبالأخصِّ أخبار المنتديات، وساحات الحوار الإسلامي، التي غالبًا ما تنقل أخبار المسلمين عامَّة، والمجاهدين خاصة. وكثيرًا ما كانت تنقطع عني هذه الأخبار بسبب الظروف الأمنية التي أعيش، والتي تجعلني غالبًا في تَنَقُّل مستمر؛ مما يحرمني الاطلاعَ على كثير من أحوال الإخوة المسلمين.

قال ميسرة: في أول رمضان قبل ثلاث سنواتٍ كان الشيخ -رحمه الله- مُلْتَهِباً شوقاً لإعلان نبأ انضمامه إلى القاعدة الكبرى، إلى حبيبه وأميره شيخ المجاهدين أسامة بن لادن، ولم أرَه حريصاً على شيء كحرصه ذاك، ولا أزال أذكر حين دخل بثوبه الأبيض الجميل يسألني عن صياغة البيان الذي أملى عليّ هو من قبلُ خطوطَه العريضة، وما أن جَهَّزْتُه حتى جلسنا في مجلس شورى كان منهم أبو عزام -رحمه الله-، وأبو سفيان أمير بغداد وقتَها، ثم توجَّه ساعي البريد لرفع نبأ الإعلان، وكَبَّر إخوةُ السلاحِ في الفلوجة ابتهاجاً؛ لقد كان خبراً مفاجئاً للغاية، رغم أن إرهاصاته كانت من قبل.

وقال ميسرة: وكان إذا أرسل رسالة يقول عن نفسه مخاطبًا لي في آخرها: أخوك الصغير يعني نفسه؛ مع أنه أكبر مني سناً وقدراً، ولم يكن تواضعه من النوع الديكوري، ولكنه من قلب صادق فيما يبدو، ولم يكن يتشبَّعُ بما لم يُعْطَ؛ ففي أول جلسة ثنائية للنظر في صياغة أول بيان شاركتُ فيه كان إذا أراد تغيير كلمة أو جملة أو إضافةً أو

إنقاصاً تراه يخاطبني بأدبٍ جَمٍّ ومن باب المشاورة. وبينما كنا نقرأ معاً أحد البيانات لضبطه وتصحيحِه خرجَتْ معنا كلمة (منعرج) وقد ضَبطْتُ راءها بالفتح:

دعيني أُحَدِّثْكِ بأمرِنا *** ونحنُ في مُنْعَرَجِ اللِّوَى

فقال: "هذه أكيد خطأ وهي بالكسر"، ثم أعقبها مباشرة بقوله مخاطباً لي: "أصابت امرأة وأخطأ عمر"، فقلت له: أراجعها. وكان -رحمه الله- قد اعتمد في ضبطه هذا على تأكيدِ أحد طلبة العلم له أنها بالكسر -وقد سماه لي-، ثم راجعتها في (مختار الصحاح) فذكر أنها بفتح الراء، فالحمد لله على التوفيق.

قال ميسرة: كنت في جلسة معه والشباب يطلبون منه شريطاً كلَّ مدة ليشد العزيمة وينعش الروح وهو يعتذر ويدلهم على أشرطةٍ لغيره، ثم قال بالحرف: "ما كنت يومًا أتوقع أن يحتاج الإخوة أشرطةً مني"! كان يرى نفسه دون أن يعظ هو غيره بأشرطة، أسأل الله أن يأجره.

وقال: وما كنت لأنسى يوم أن تَبَيَّن له من كلامي معه أنه سرد في كتيب (واعتصموا) حديثاً بلفظ لم أره في الروايات -قبيل معركة الفلوجة الثانية- فسارع وقال: نبه الشباب واشطب عليها، لا أنسى عينيه اللتين اقترب جفناهما من بعضهما وحرك رأسه وتكلم بصوت خافت متوشِّحٍ بالخوف من التقول على رسول الله: "هذا دين يا أخي، صححه"، وكان من رغبات الشيخ أن أعيد تنقيح الكتاب وتخريج أحاديثه، وقد تيسر لي جزء جيد من هذه الرغبة منذ شهرين ولله الحمد، وتم توزيعه على الولايات ليدخل ضمن المقرر الدراسي، ومن فضل الله أنه تيسرت لي فيما بعد مراجعُ أوسع وتثبُّتٌ من رواية الحديث

التي أَثْبَتَها شيخنا فرأيتُها واردة في كتب الحديث، فالحمد لله أولاً وآخراً.

قال ميسرة: وبعد تَبَيُّنِ خبر أبي أنسٍ وجَّه شيخنا الإعلاميين ليُجَهِّزُوا إصداراً يتحدث عن أبي أنس وبدأ العمل، وكان مما استقرَّت عليه المشورة أن يتكلم كل واحد يعرفه من الأمراء بكلمة عنه، لكنَّ الشيخ لم تنفتح نفسه لأن يتكلم ولا بشِقِّ كلمة، وكان من رأي أبي ميسرة العراقي -رحمه الله- أن لا يتكلم الشيخُ بشيء وأن يُكْتَفى بكلام من يعرفه من سائر الأمراء.

وفكرتُ فرأيتُ خيرَ ما أتكلم فيه عنه أبياتًا من الشعر تعبر عن مشاعري وأحاسيسي؛ فاخترت أبياتاً من نسج أحد الشعراء المعاصرين، مطلعها:

عينُ جُوْدِي بدمعك الرقراق *** واسكُبيه على أَعَزِّ الرفاق

ثم تم إنهاء الإصدار، فطلبتُ من شيخنا أن يشاهده ليدلي بملحوظاته قبل نشره على الملأ، فجلس ووضعت الجهاز أمامه وراح يعطي الملحوظات من أول (الفلم)، وكانت سيما وجهه أقرب إلى الحزن والذبول، فلما وصل إلى فِقْرَة "عين جودي... إلخ"، تَغَيَّرَت ملامحُ وجهه وبدت علائم السرور والإعجاب عليه؛ فاهْتَبَلْتُ الفرصةَ وقلت له: أأعجبتك؟ فقال: "نعم"، والإلقاء جيد، فقلت: لِمَ لا تأخذها أنت وتلقيها. واسترسلْتُ أُذَكِّرُه بأن رفيقَ دربِه من حقه عليه أن يتكلم عنه ولو بشيء يسير، -وكان الشيخ لا يريد التكلم لأنه يرى أن أي كلام لن يوفي حق صاحبه أبي أنس-، فقال الشيخ بما معناه: "لا، لا، الأبيات أنت قلتَها لن آخذها". فورطْتُ نفسي وقلت له: لا عليك، أنا أنسج أبياتًا جديدة فهذه ليست من نسجي. فقال: "إذن آخذها شريطة أن تقول

أنت غيرها"، فوافقْتُ والسعادةُ ملأت أحشائي لأن شيخنا سيتكلم بشيء.

فجهزْتُ له أبيات: "عين جودي..." واستأنفت مع الشيخ قائلاً: لماذا لا نكتب ولو كلمات قليلات قبيل الأبيات، وما عليك إلا أن تصف لي شعورك حين وصلك خبر أبي أنس وأنا أترجمه إلى لغة البيان، فكان إلقاؤه حقاً متميزاً عن سائر إلقاءاته البطولية، لقد كانت أحاسيسه ومشاعره تخالط نبرتَه وهو يرثي رفيق دربه. وبعد هذا نسجْتُ أبياتاً عن أبي أنس -رحمه الله- كان مطلعها:

وردٌ تألق في بستان أحزاني*** جُرْحٌ تَفَتَّق من أعماق وجداني

ذكر في صحيفة النبأ (٢٨٥): فلما أظهر الله تعالى دعوة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله-، وأبان للناس صحة منهجه، وأعظم نكايته وإخوانه في الصليبيين، كان خيار الأفاضل من جماعة أنصار السنة الانضمام إليه، وعقد البيعة له، حرصا على الجماعة ونبذا للاختلاف والفرقة، وكان على رأس هؤلاء الأفاضل الشيخ أبو علي الأنباري -تقبله الله-، الذي فوضه إخوانه بمبايعة الشيخ الزرقاوي بالنيابة عنهم بعدما وجدوا تسويفا ومماطلة من قيادة (أنصار السنة) في هذا الأمر، وحرصا على الزعامة والإمارة. وهكذا دخل الشيخ أبو محمد الفرقان إلى صفوف قاعدة الجهاد، ملازما لأخيه وأميره الشيخ خالد المشهداني (أبي شهد) -تقبله الله-، الذي كان أميرا للقسم الإعلامي في التنظيم، فلما زادت الأحمال والتكاليف التي ألقاها الشيخ الزرقاوي على عاتق (أبي شهد)، عهد إلى أبي محمد الفرقان بإدارة ملف الإعلام بالنيابة عنه، فأبلى في ذلك أحسن البلاء، حتى اعتقل الشيخ المشهداني، فصار أبو محمد أميرًا للإعلام في التنظيم

وكان يعمل حينها بكنية (أبي سجاد). وفي تلك الفترة كان الشيخ كثير اللقاء بالشيخ الزرقاوي يناقش معه أمور الإعلام والرسائل التي ينبغي أن تصل إلى كل من المسلمين والصليبيين، فتزيد من تأييد أهل الإسلام للجهاد في العراق، وتدفعهم إلى الهجرة والانضمام إلى المجاهدين، وتوهن من عزائم الصليبيين، وتشككهم في جدوى حربهم المهلكة في العراق، وتدفعهم إلى الانسحاب منه مخذولين مدحورين. وكان -رحمه الله- يبين لإخوانه في تلك المرحلة أن أهم واجبات الإعلام فيها إظهار الغلظة والشدة من المسلمين على الصليبيين، لإعادة الثقة والعزة لدى أهل الإيمان بعد قرون من الذل والخضوع، ولزرع الرعب من المجاهدين في قلوب المشركين عامة، وهذا ما كان بفضل الله.

ولما استوى الجهاد على سوقه، وقويت شوكة المجاهدين بعد معركة الفلوجة الثانية، وبدأ الشيخ الزرقاوي -تقبله الله تعالى- يعد العدة لمسك الأرض، وتحقيق التمكين، وإقامة الشريعة والدين، وإعلان الدولة الإسلامية، وعزم أن يسبق ذلك بالخروج على الإعلام بوجهه مطمئنا للموحدين وإغاظة للمشركين.

قالت أم خطاب: وقد اقترحت أمي مرة أن تساعده في بحث كان ينوي البدء به، وكان عنوانه: "هل أتاك حديث الرافضة؟"، وكانت متلهفة لمساعدته فيه، فلم يتكبر، بل فرح فرحًا شديدًا باهتمامها، وشكرها على مبادرتها الجميلة، وسمح لها بذلك، علمًا أن أمي تخصصت في أصول الفقه الإسلامي والعقيدة، وقد نجحت وقتها في مساعدة الشيخ في بحثه على الرغم من كونه بحثًا تاريخيًّا لكنهما العزيمة والإصرار بعد فضل الله تعالى، فنجحا معًا بتوفيق الله في دحر الرافضة بذلك البحث القوي الرائع، وقد نُشِر بحمد الله،

كتب الله أجرهما على ما نفعا به هذه الأمة المباركة.

وقالت: كما كانت أمي تجهّز لبحث آخر عن العمليات الاستشهادية، بعنوان: (شرطة الموت)، وكان الشيخ قد أرسل خبرًا كي تبدأ في التحضير للعمل فيه، ولكنه قُتل بعد ذلك –تقبله الله–.

قال أبو حمزة: في بلاد الرافدين سُكبت دماء الإعلاميين رخيصة في سبيل الله، قد قُتل على سبيل المثال الحيي الأديب (عقيل) المسؤول عن التسجيلات الصوتية للشيخ أبي مصعب –رحمه الله–، والأخ (عبد الإله الجنوبي)، فجّرا حِزاميهما وسط العدو بما معهما من خام للشريط المرئي للشيخ أبي مصعب –رحمه الله– قبل إصداره.

وقال: في أحداث الفلّوجة الثّانية طلَب منّي أخي وشيخي الحبيب أبو مصعب رحمه الله تعالى ألّا أدعَ الورقة والقلم، فكنتُ أسجّل شِعري ومشاعري، حتّى اشتدّ الخطبُ، وكنتُ أقفز من بيتٍ لبيت وأضعُ دفتري إلى جانب مخزني، حتى حوصِرتُ في أحد البيوت وأيقنْت بالهَلاك ولم أشكّ في ذلك، فأبصرتُ عجوزاً كان لها فضل كبيرٌ عليّ، فقُلت لها: يا أمّي هذا مالي، هوَ لكِ، وهذا الدّفتر حاوِلي إيصالَه إلى إخواني فإنه عندي لا يقدّر بمال، وكنتُ أرجو أن يصلَ إلى ابني ولعلّه يقرؤه بعدما يكبُر فيعرفُ ما كان عليه أبوه، فلا يحيد، ولعلّه يتّعظُ، لكن ضاعَ الدّفتر.

فصل في تعامله وتدبيره للجند

قال ميسرة: كان -رحمه الله- يتعامل مع سائقه ومن حولَه تعامُلَ الأخ لأخيه، وكثيراً ما كان يُفَتِّتُ اللحم لإخوانه الجالسين على المائدة يعتني بهم، ويَرْفُق بحالهم فيَشُدُّ هذا من عزيمتِهم ويُشْعِرُهم بدِفْء الإخوة في مثل هذه الأجواء الحساسة، وبنحو هذا الفاكهةُ -إن وُجِدت- قد يقطعها قسمين بينك وبينه. ومعروف أن الشيخ -رحمه الله- كان يحب الجبن المعروف بـ (الكرافت) إلا أنني سمعت من أحد مرافقيه أنه ذات مرة أحضروه له فنهاهم عن إحضاره ثانية حتى يأكله كل الجنود.

وكنتُ قبيل الفلوجة الثانية رأيت أحد الأمراء قد حار في أمره كيف يوزع كمية بسيطة من الزيت والزعتر على الجنود في حي الشهداء، فاستفسرته عن قصة هذا الزيت والزعتر، فبين لي أن الشيخ رفض أن يأكل منه حتى يأكل منه الجنود. ولهذا الزيت والزعتر قصة، وهي أن الشيخ أبا أنس -رحمه الله- كان مُغْرَماً به حتى أنه أوصى بإحضار شيء منه من بلده الأردن، فوصل الزيت والزعتر بعد مقتله -رحمه الله-، والزيت والزعتر له مكانة خاصة عند إخواننا الشاميين من بين الأطعمة.

وقال ميسرة: حدثني سائقه ورفيقه عبد الرحمن البصراوي: أن الشيخ في أحد أيام رمضان منذ ثلاث سنوات كان يتجول في السيارة لتفقد أحوال رعيته فلمح رجلين لا يعرفهما على قارعة الطريق وقد اقترب موعد الغروب فنزل وأفطر معهما، ولم يجد في هذا حرجاً، وهما لا يعرفانه.

وعلى إحدى سيطرات الإخوة مرت سيارة الشيخ فأوقفه المسؤول عن السيطرة وهو

لا يعرف الشيخ، وأنزله من السيارة وسأله أسئلة، والشيخ مطواع له في كل هذا، وبعد أن مشى الشيخ عرف المسؤولُ عن السيطرة أن الذي كان يسأله هو الشيخ -رحمه الله- فخجل.

وقال ميسرة: رغم أن الشيخ كان ينأى بنفسه أن ينكشف بصورته على كل الإخوة خشيةَ أن يتسرب خبرٌ فتأتي الطائرات وتدكَّ المناطق ويتضرر المجاهدون وسائر الناس رغم هذا إلا أنه كان مهتماً بأحوال رعيته اهتماماً فريداً، وكثيراً ما كان يبقى يدور إلى منتصف الليل يتابع بنفسه الثغور والسيطرات وتحركات الرعية وحال الناس، حتى أنني كنت أستسلم لأسر النوم كثيراً وأنا معه في السيارة، وربما كان يتكلم فأدخل في غيبوبة النوم ثم أصحو وأخجل من نفسي، ولكن ما الحيلة؟ فقد رُفع القلم عن ثلاثة. وفوق هذا كان له وِردٌ من الليل لا بد أن يُنْجِزَه، إلا أنه لطولِ سهره يضطر أن يأخذ قسطاً من الراحة بعد صلاة الفجر ليستأنف الحركة صباحاً. لقد كانت رعيته تحبه، والناس العوام معجبون به، فإذا ما جالسوه أسرهم بهدوئه ورزانة كلامه ورجولة أفعاله، حتى أن أمريكا بغبائها جربت أن تغريَ أحد رعيته لتدبير حادث اغتيال له بتقنيات عالية فهز برأسه ليطلقوه، فما أن أطلقوه حتى أخبر الشيخ بالأمر.

قال أبو أنس: فقدت نعلي في أحد المواجهات، وقلت مداعبا لأبي الخطاب: جهز لي سرية حتى أسترد نعلي، وتضاحكنا. هذه النعل لها قصة طريفة وذلك أنها كانت قد بُلِيَتْ واهترأت وكان الشيخ أبو مصعب الزرقاوي يُلحُّ علي أن أستحدث أخرى وأنا أسوّف. وأقول له: هذه النعل عزيزة عليّ فقد أهدانيها أخٌ عزيز من المدينة فلا أفرط

فيها. وكان يمازحني ويقول: "لا أدري كيف يقاتل بمثل هذا النعل؟"، وكتبت في ذلك اليوم إلى الشيخ أبي مصعب الزرقاوي أُبشّره بأن أُمنيته قد تحققت وحيل بيني وبين نعلي.

قال أبو جعفر: كان الشيخ -تقبله الله-، حريصًا على البقاء مع إخوته في الخطوط الأمامية، لغرض رفع معنوياتهم، وتحريضهم على القتال، وكان دائمًا يركز على النوعية لا الكمّيّة، وقال لي: "في يوم ما، إذا بقي معي ١٥ مقاتلاً صادقًا، فإنني أستطيع أن أقاتل جميع الأمريكان في العراق بإذن الله".

وقال أبو جعفر: كان الشيخ -تقبله الله- يتفقّد قواطع الإخوة المقاتلين بحرص كبير واهتمام متناهٍ، لدرجة أنه ما كان يأتي لأهله إلا قليلاً، بل في بعض المرات، أضطر أنا لنقل أسرته إليه حين يكون بعيدًا عن سكناهم، إذ كان لا يدع قاطعًا في ولايات العراق إلا وزاره وتفقّده، ووقف بنفسه على احتياجاته، يصنع هذا دومًا مهما كانت الظروف، ويقول: "يجب أن أكون معهم".

وقال: وكان الإخوة في إحدى المضافات يجدون يوميًّا جواربهم مغسولة، دون أن يعرفوا من غسلها، فيسألون بعضهم بعضًا: "أأنت غسلت الجوارب؟"، ويكون الجواب: "لا"، وبعد التحري والمراقبة وجدوا الشيخ أبا مصعب الزرقاوي -تقبله الله- يجمع الجوارب ليلاً، ثم يغسلها ويضعها على الحبل!

وقال أبو جعفر: لقد كان دائمًا يتقابل مع إخوة من مختلف الديار؛ بين جزراويين ويمنيين ولبنانيين وغيرهم من ديار أخرى، ويبقى معهم أيامًا في المضافات ثم يتلقّون

التدريبات العسكرية، وبعد ذلك يعودون من حيث أتوا: كلٌّ إلى بلده! الأمر الذي لفت نظري، وأثار السؤال عن السبب في ذهني، مستغرباً من تركهم للعراق رغم شدة الحاجة إليهم، لا سيما بعد أخذهم التدريبات. إلا أنني عرفت بعدها أن الشيخ -تقبله الله- كان يهيّئهم ثم يبعثهم إلى ديارهم؛ لتأسيس خلايا نائمة.

قال أبو جعفر: وقد ذكر لي أحد الإخوة المرافقين له في مدينة الفلوجة، أنه تم إنزال قوة من الأمريكان على بيت من البيوت، وكان الشيخ معهم فيه، فخرج الإخوة وتفرقوا، وكان هذا الأخ مع الشيخ أبي مصعب، وقاموا بالاختفاء في بيت آخر يقبع خلف حائط، ودخل الأمريكان عليهم، ولا فاصل بينهم سوى البراميل، فقال الأخ للشيخ وهو يمازحه في تلك اللحظة: "هل لديك مشكلة مع الأمريكان؟"، فأجابه: "هذه المواطن ليست للمزاح بل هذه مواطن للدعاء"، وراح الشيخ طول الوقت يدعو حتى انسحب الأمريكان بفضل الله.

فصل العلم للعمل

قال ميسرة: كان شيخنا الزرقاوي –رحمه الله– يُحب الشيخ أبا عبد الله المهاجر ويُجِلُّه ويثني عليه ويَوَدُّ لو يأتي إلى العراق، وكانت قرائنُ الحال تَدُلُّ أنه لو أتى لأوكل إليه مسؤولية الهيئة الشرعية، وكان شيخُنا يحثني على تدريس الطلبة كتاب المهاجر (أعلام السنة المنشورة في معالم الطائفة المنصورة) وكنا صورناه، وبدأتُ تدريسَه للإخوة، هذا فضلاً عن كتاب (فقه الدماء) الذي كنا ننتظر وصوله إلى الفلوجة وقتَها ولم يصل إلى أن بدأَتْ معركة الفلوجة الثانية. وكان الشيخ ذكر لي أنه دَرَسَه عند الشيخ المهاجر أربعَ سنوات إن لم تخني ذاكرتي. ثم دارت الأيام ودخل الكتاب إلى العراق بعد أحداث الفلوجة الثانية وطُبِعَت منه نسخٌ كثيرة جداً، تحت اسم (مسائل من فقه الجهاد)، وهو كتابٌ جيد قوي، جدير أن يلخَّص منه ويُدَرَّس للإخوة المجاهدين.

قال أبو جعفر: كان –تقبله الله– يحث الإخوة على طلب العلم ودراسة العقيدة الإسلامية وفقه الجهاد وتطبيقه. وكان يُدني منه طلاب العلم ويقرّبهم ويحبّهم حبًّا جمًّا. هذا وقد بلغ من توقير الشيخ لطلاب العلم وتقديره لهم، أنه إذا دخل وقت الصلاة، قدّم الشيخ طالب العلم ليصلّي به وبالإخوة، ولم يتقدم عليه، وكنت أحياناً آتيه بأحدهم، وهو الأخ أبو عبد الرحمن العراقي –تقبله الله–، فيقبل الشيخ عليه بحفاوة ويقول: "هذا رجل معبَّأ بالعلم"، علمًا أنه أخ صغير السن، إلا أنه طالب علم بحق –ولا أزكيه على الله–، وكم كنت أعجب منه حين أصحبه معي في السيارة، إذا كان كلّما أدرتُ جهاز التسجيل لنسمع شيئًا من القرآن الكريم أو حتى قصيدة أو نشيدًا، بكى حتى تبتلّ

ملابسه متأثرًا! لا سيما قصيدة: "شتّ بي يومًا خيالي".

ذكر في مجلة دابق (١٢): كبار قادة الدولة الإسلامية بما فيهم الشيخ أبو مصعب الزرقاوي –رحمه الله– لم ينصحوا بكتاب أبي مصعب السوري (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية). لكن المختصر والمفيد كتاب (إدارة التوحش) لكاتبه المجهول: أبي بكر ناجي، عندما قرأه الشيخ الزرقاوي –رحمه الله– قال فيه: "كأن صاحب الكتاب يعلم ما أخطط له"[١].

قال أبو جعفر: كان الشيخ أبو مصعب الزرقاوي –تقبله الله–، وفيًّا لإخوانه وخاصة طلبة العلم، الذين كان يحبهم حبًّا عجيبًا، ولطالما كنت أتعجب من هذا الوفاء لطلبة العلم وخاصة الشيخ أبي علي الأنباري، حيث يكون الشيخ معهم في المضافة لثلاثة أو أربعة أيام لا يفارقهم، ولا يذهب إلى بيته، مع أنه مجاور لمضافة طلبة العلم، ولكنه حظهم الأوفر من حبه لهم.

وقال: وكان يجالس الإخوة ساعات طويلة، وبعضهم كان يمضي معهم أيامًا، وخاصة طلبة العلم منهم، والذين كان يحبه حبًّا جمًّا –تقبله الله–.

وقال: وقد أحب الشيخ –تقبله الله– التلاوات العذبة لكتاب الله، وكان يفضّل سماع الإخوة الجزراويين، ويقول: "والله عندما أسمعهم يتفطر قلبي"، كما كان يستعذب الأناشيد الجهادية، ويحب نشيد: يا حواري الخلود * قد أتاك الشهيد، الذي دأب سماعه

---

[١] تكملة لتعليق دابق: مع أن (ناجيا) وصف خطط المجاهدين بصورة واضحة إلا أن (الناجي) وقع في بعض الأخطاء في مناقشاته قضايا تكفير الأحزاب التي تعارض بقوة الشريعة وأحكامها ص٣٩.

وترديده.

وقال أبو جعفر: كان الشيخ أبو مصعب الزرقاوي حافظًا للقرآن، كثير التسبيح، كثير الصلاة على النبي محمد ﷺ، كما كان غزير التهجد في الليل، وإذا ما كنا في إحدى المضافات، فإنه يبلغ الحارس الذي تنتهي نوبة واجبه قبل صلاة الفجر بساعة، أن يوقظه لصلاة التهجد. وكان مواظبًا على أداء الصلوات في وقتها، لا يؤخرها عنه، وفي بعض الأحيان، كان يوقظني لصلاة الفجر، وعندما أتوضأ وأعود إليه، أجده يصلي الصلاة المكتوبة، حتى لا يتأخر عن الوقت.

وقال: كما كان نهمًا في القراءة، ودائمًا كنا نحمل معنا حقيبتين من الكتب، إذ كان يقرأ طول النهار تقريبًا، في شتى أنواع الكتب الدينية والعلمية والثقافية وكتب أخرى.

فصل في الإعداد

قال أبو جعفر: كان الشيخ -تقبله الله- يشجع دائمًا على إقامة المعسكرات والتدريب؛ لتخريج مقاتلين أشدّاء أكفاء، ومن أجل هذا: أقام عدة معسكرات -خاصة في مدينة الفلوجة-، وأوكل مهمة الإشراف عليها للأخ أبي جعفر المقدسي، وتوجد عدة فيديوهات للتدريب عليها وقد اهتم الشيخ -تقبله الله- بإعداد المجاهدين في هذه المعسكرات إيمانيًّا وبدنيًّا وعسكريًّا، كما اعتنى بتدريب البعض تدريبًا خاصًّا لتخريجهم ككوادر تدريب بدورهم، وكنت أذهب معه حين يتدرب، ومعي الأخ المسؤول أبو جعفر المقدسي، فأرى الشيخ وقد بدا كأنه جزء من الرمال؛ من شدة انهماكه في تدريبه! وأكثر ما كان يركز عليه: العناية باللياقة البدنية، ودقة الرمي لا سيما للأهداف المتحركة.

وقال: ولشدَّة ما كان -تقبله الله- حريصًا على تطوير الأسلحة؛ لتكون أنكى وأضرى وأشد تنكيلًا وتأثيرًا في الصليبيين بإذن الله سبحانه، لدرجة أنه -تقبله الله- ومن منطلق هذا الحرص الكبير: أعطى الإخوة مبلغ نصِف مليون دولار لتطوير السلاح الكيماوي، وكان يشجعهم دومًا على التجارب، ويبث فيهم روح الأمل في النجاح وعدم اليأس من استمرار المحاولات، وقد مَنّ الله عز وجل عليه فأثمر كل هذا العمل تطويرًا ملموسًا في الأسلحة بفضل الله، وخاصة العبوات الناسفة، وقد اعترف الكفرة أنفسهم بذلك مغتاظين مندهشين، وتساءل خبراؤهم باستغراب عن السر الكامن وراء قوة تلك الانفجارات، فلله تعالى الحمد والمنّة.

وقال: أما عن السلاح؛ فكان الشيخ -تقبله الله- صديقًا لجميع أنواع الأسلحة،

يحبها ويجمعها، ويعتبرها صديق المجاهد الوفيِّ، وأكثر سلاح فضّله هو (BKC) الأمريكي؛ كونه خفيفًا وسهل الحمل، إضافة إلى سلاح الـ(كلانكوف) والرمان الحراري. وكان لا يخرج إلا مدجّجًا بالسلاح، مما يزيده هيبة وشموخًا وقد تحول إلى ترسانة أسلحة، تزينه القنابل والحزام الناسف.

فصل في شجاعته

قال أبو جعفر: من مواقف شجاعته، أنه يدخل أشد الأماكن خطورة؛ ليكون قريبًا من الإخوة المقاتلين، حتى يرفع معنوياتهم.

وقال أبو جعفر: كان أصعب شيء في حياتي أن يقول لي الشيخ -تقبله الله-: "جهّز لي السيارة؛ أريد أن أذهب إلى المكان الفلاني"، فلقد كان خوفي عليه وحرصي خلال رحلاتي معه: لا يُوصفان، وذلك لشدة جزعي من أن يُقتل الشيخ معي، وأبقى أنا حيًّا!

وقال: ومرّةً كلفني الشيخ بأن أدخله إلى منطقة زوبع قرب بغداد، وكانت فيها معارك طاحنة مع الأمريكان وانتشار كثيف لهم حولها، فرأيت أن الأمر صعب جدًّا، إذ تلك المناطق ساخنة. فما كان مني إلا أن ذهبت إلى والي الأنبار الأخ جراح الشامي -تقبله الله-، وشرحت له الوضع، وقلت له: "لا يمكن أن نُدخل الشيخ إلى هذه المنطقة"، وطلبت منه أن يكتب رسالة للشيخ، ويشرح له الوضع الصعب في زوبع، وبالفعل، كتب الأخ جراح هذه الرسالة، وأخذتها وذهبت بها إلى الشيخ، وإذ به ينتظرني، وحين رآني من بعيد، وأنني وحدي، جلس على ركبته، وقال لي: "أين السيارة التي سأذهب بها إلى زوبع؟"، فقلت له: "اقرأ الرسالة من أخينا جراح"، فقال: " لقد قرّرتُ أن أدخل زوبع، يعني سأدخل مهما كلّف الأمر، فلا يمكن للإخوة أن يقاتلوا وأنا بعيد عنهم، ارجع حالاً وجهّز السيارات للدخول"، فامتثلتُ لأمره، ورجعت وجهّزنا سيارة صهريج، ودخل هو وأبو جعفر المقدسي داخلها، حتى وصلا إلى زوبع، وشاركا الإخوة في القتال.

وقال: وقد روى لي أحد الإخوة المعتقلين، الذي كان يرافق الشيخ -تقبله الله-، أن محقّقًا أمريكيًّا كان معه فترة من التحقيق، وقد قال له: "عليكم أن تفتخروا بأبي مصعب، لأننا استطعنا أن نلطخ أيدي كل الفصائل إلا هذا الرجل -يقصده-".

وقال: وقصّ عليّ أحد الإخوة حاكيًا عن شجاعة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي، فقال لي: "كنا في معركة شرسة مع الأمريكان في حي الجامعة ببغداد، وأثناء القتال، إذا بالشيخ أبي مصعب الزرقاوي في أول الصف يقاتل، فارتفعت معنويات الإخوة عندما رأوا الشيخ يقاتل معهم في تلك المعركة، وقد كبّدوا الأمريكان خسائر كبيرة بفضل الله تعالى".

هذا وقد قامت القوات الأمريكية بحملة كبيرة للبحث عن الشيخ الزرقاوي، وكانت القوة تتألف من ٣٠ ألف جندي أمريكي، كما أعلنوا عن منح ملايين الدولارات لمن يبلغ عن مكانه، فكانت أيامًا صعبة جدًّا، وقالت زوجة الشيخ أبي مصعب له: "يا أبا مصعب، لماذا لا تذهب إلى خارج العراق فترة، وتتولى التوجيهات من الخارج ريثما تنتهي الحملة، وترجع بعدها؟"، فقال لها غاضبًا: "أنا؟! أنا أكون خائنًا لديني حتى أخرج خارج العراق؟!".

وقال: وفي أحد الأيام كنا نتمشى، ودار بيننا حوار، فقلت له: "يا شيخ، إنني لن آخذك لأي مكان مرة أخرى -لكون الأمريكان قد شنّوا حملة لقتله-"، وتابعت: "سوف أضعك في مكان أمني، لن تخرج منه حتى انتهاء هذه الحملة"، فقال لي: "والله إنني أعرف أن هذا من حرصكم علي، فكيف لي أن أجلس والإخوة يقاتلون؟ بل يجب أن أكون معهم في أشد المواقف، وإذا كان مكتوبًا عليّ أن أُقتل، فهذا أمر الله".

فصل في حذره

قال أبو عبيدة: هذا ما فعله الشيخ أبو مصعب الزرقاوي –رحمه الله–، النزول من السيارة بسرعة مع جعل السائق يستمر للتضليل. أثناء حركة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي في العراق لاحقته إحدى الدوريات الأمريكيّة على أساس أنه مجاهد، هم لم يكونوا يعلمون حقيقة من يطاردون، ولكن طاردوه على أساس أنه مجاهد –بعد أن شكّوا في أمره– فالشيخ أبو مصعب أمر السائق بأن يسرع بالسير ثم بعد ذلك أمره بالتوقف فقفز الشيخ أبو مصعب الزرقاوي من السيارة واختفى في المزارع، ثم بعد ذلك طلب من السائق أن يتابع سيره، وبفضل الله عز وجل استطاع أن يفلِت من عملية المطاردة ونجاه الله عز وجل باتخاذه لهذا السبب، وهو القفز من السيارة ثم الاختفاء في المزارع.

وقال أبو عبيدة: أبو مصعب الزرقاوي في العراق بقي أربع سنوات بعيدًا عن أنظار الأمريكان لأنه لم يكن يستخدم الموبايل أو أي وسيلة من وسائل الاتصالات.

قال أبو جعفر: كان الشيخ ذا دقة عالية في الأمنيات، وكان أسلوبه، إذا تحرك العدو يتحرك، وإذا سكن العدو لا يتحرك، وعندما أذهب لكي أجلب له البريد، يقول لي: "حدّد الساعة التي تأتي بها"، فأقول له: "لماذا؟"، فيقول: "إذا تأخرت فأعرف أنك في خطر". وفعلاً، دائمًا إذا تأخرت عن الموعد المحدد، لم أجد الشيخ يتحرك من مكانه.

وقال: وكان لا يتكلم حتى تسأله، ويجيبك على قدر سؤالك، كما كان الشيخ –تقبله الله– ينام في مكان يبعد عن الأمريكان مسافة عشرة أمتار، ويقول: "من المستحيل أن الأمريكان يفكرون بأن أبا مصعب الزرقاوي، ينام هنا في هذا المكان!". ودائمًا يذكرني

ويقول: "إذا أردت أن تؤمَّن، فاقترب من العدو".

وقال أبو جعفر: في المحرم من سنة ١٤٢٦هـ، كان الثلج يغطي المضافة التي يسكنها الشيخ أبو مصعب، وكانت مضافتي بجانبها، وقد جلست في الصباح، وخرجت لكي أذهب إلى مضافة الشيخ، ورأيت أبا الغادية -تقبله الله- الذي كان يرافق الشيخ من أفغانستان وحتى في العراق، رأيته واقفًا على مرتفع بالاستعداد، فظننت أنه يرصد الجو الذي كان لا يوصف من شدة البرد، ودخلت المضافة، ورأيت الشيخ وأبا جعفر المقدسي وإخوة آخرين، وسلّمتُ عليهم، ولكن الوجوه كانت مربدَّة وكأني لم أعرفها قط، ولا أحد منهم يتكلم، ولم أعرف السبب. وبعد فترة عرفت أن أبا الغادية كان نائمًا في واجبه، وجلس الشيخ ولم يجد حرسًا. فعاقب أبا الغادية بأن جعله يقف على مرتفع بالاستعداد وكأنه خشب لا يتحرك، وقال: "إذا لم يستطع أحد منكم أن يحرس، فأنا أحرس مكانه"، وأضاف مستاء: "ماذا نقول للمسلمين إذا أمسكنا العدو ونحن نائمون؟! ماذا نقول للأمة؟!".

وقال: وكنت يومًا معه في مضافة، وأنا لا أستطيع أن أقوم الليل الطويل في الشتاء، حيث يبدأ النعاس يداهمني، ويقول لي الشيخ: "نَم، أنا سأحرس"، وفعلًا يبقى جالسًا حتى الصباح، ويقول لي: "دائمًا نحن لا نخشى العدو، والمصيبة إذا أمسكنا العدو ونحن نائمون، ولكن إذا كان هناك حرس، وجاء العدو علينا: فسوف يوقظنا الحرس ونقاتل العدو ونُقتَل في سبيل الله، لكن ماذا نقول للأمة إذا أمسكنا العدو ونحن نائمون؟!".

قال أبو جعفر: قال لي الشيخ أبو مصعب الزرقاوي -تقبله الله-: "إياك أن تدخل

طفلاً أو صبيًّا على الإخوة إذا كانوا في بيتك، وخاصة إذا كان الطفل ذكيًّا"، فسألته: "لماذا؟"، فأجابني: "في إحدى المرات، وفي السودان: تم تفكيك خلية للإخوة عن طريق صبي، وكان صاحب البيت الذي يجتمع فيه الإخوة، له صبي يعرف كل الإخوة بأسمائهم، فقامت المخابرات المصرية بالدخول إلى السودان، وأخذت الصبي وقامت بتعذيبه والاعتداءِ عليه جنسيًّا، وبعدها اعترف وقال: فلان وفلان كان يأتون إلى أبي! وتم إمساك الخلية وتفكيكها بعد ذلك! والله المستعان".

وقال: وذات مرة، أمسك الشيخ برأس أحد الإخوة من الخلف، وقال له: "اقتلوا فلانًا وفلانًا –عدّدهم بأسمائهم– إذا تباطأتم بقتلهم: فلن تقدروا عليهم –يقصد علماء الطواغيت– وخاصة حمزة العيساوي، الذي أفتى بقتل ثلاثة من الإخوة، اثنان منهم من المهاجرين".

وقال: ولم يكن الشيخ ينزع حزامه الناسف حتى وهو نائم، لا سيما وأن حزامه كان غير سميك، لدرجة أنه إذا ارتداه: التفّ على جسمه جيدًا حتى لا يكاد يُرى، ومن الطرائف: أننا كنا إذا دعوناه لوجبة غذاء: أستقبله وآخذ سلاحه من يده وهو يقول باسمًا: "أبا جعفر؛ السلاح شرف".

وقال: وقد كان الشيخ –تقبله الله– مبتلى، لا يدخل مكانًا إلا وتبدأ الإنزالات فيه والمداهمات، وفي أحد الأيام، نزلت عليه مجموعة من الطائرات السمتية، واستطاع الخلاص منها بأعجوبة، وذلك بعد توكله على الله.

وقال أبو جعفر: وفي أحد الأيام، خرجنا على الخط السريع، عازمين على نقل الشيخ

إلى مدينة الرمادي. وفي الطريق، وجدنا سيطرة لأمريكان (سيطرة متنقلة)، وراح جنودها يقتربون منا، حتى وصلوا لمسافة ١٠ أمتار تقريبًا بينهم وبين سيارتنا، والتفتُّ حينها إلى الشيخ، الذي كان جالسًا خلفي، وبجانبي أبو جعفر المقدسي، وينتابني الخوف على شيخي وكيف أتصرّف لحمايته، ونظرتُ إليه، وإذ به يضحك مطمئنًّا، وقال لي: "لا تفكر يا أبا جعفر، إذ مكتوبة هنا خلاص"، مشيرا إلى جبهته. ولكن الله سلّم؛ فبعد دقائق إذا بالسيطرة قد ذهبت، ودخلنا مدينة الرمادي سالمين بفضل الله.

وقال: ولقد كان الشيخ -تقبله الله- دائم التحذير من الحكومة الأردنية وطواغيتها، مشيرًا إلى دورهم الكبير الدائب في محاربة الدين وأهله، وكان يقول: "اعلم أن أشدّ حكومة حربًا على الإسلام: هي الأردن؛ فإنها حكومة يهودية، ورجالها مدرَّبون من قِبَل الأمريكان واليهود".

فصل في حرصه على المسلمين

قال الزرقاوي: في بعض الأحايين يترجح عند الإخوة بعض الأمارات والدلالات أن فلانًا من الناس ممن يتعامل مع الكافر المحتل، ويعين على حرب المجاهدين؛ فيقومون بقتله، ثم يتبين لهم بعد ذلك أن المقتول كان بريئًا مما نُسب إليه، وأن القتل كان خطأ، فما يكون من الإخوة إلا استرضاء ولي المقتول، ودفع ديته، والاعتذار عما قاموا به من القتل الخطأ.

قال الزرقاوي: لقد كان بإمكاننا –بإذن الله– إفساد الانتخابات في أكثر مناطق العراق، ولكننا أحجمنا عن ذلك؛ دفعًا لاحتمالية مقتل عوام أهل السنة، الذين لُبّس الأمر عليهم من قبل أئمة الضلالة، ولقد كنا نتوقع غدر الصليبيين بهم، وأنهم استُدرجوا لفخ نصب لهم بإحكام.

قال الأنباري: في ١٤٢٦هـ في العراق، كانت الانتخابات على التصويت على الدستور؛ أناس ذهبوا إلى الدستور للتصويت بـ(نعم) وأناس بـ(لا). في ذلك كان أمراء الجهاد من ضمنهم الشيخ أبو مصعب –رحمه الله رحمة واسعة–، أصدروا تعميمًا أن الذهاب بالموافقة على الدستور ردة عن دين الله، والذي يذهب سنقتله. وبدأ العمل في ١٤٢٦هـ؛ أكثر أماكن التصويت على الدستور ضربت، لأن هذه ردة، الحكم المترتب عليها العقوبة والقتل والقتال. في ٢٠٠٥م، كانت انتخابات تشكيل الحكومة؛ في ذلك الوقت، الشيخ كان ومعه إخوانه، قالوا: هذه ردة؛ الذي يرشح أناسًا للدخول في هذه الحكومة هذه ردة عن دين الله، لكنهم توقفوا عن القتل والقتال. توقفوا عن إنزال العقوبة؛

لأنه كان عندهم مانعٌ يمنعهم من إنزال العقوبة في هؤلاء. المانع كان أن الخطباء -هؤلاء أهل الضلالة والعياذ بالله- من خلال المنابر، جعلوا الذهاب إلى الانتخابات من الدين؛ رجل مسلم حضر وابتلاه الله بخطيب، فإذا به على المنبر يقول: {وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا}، {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ}، {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا}. وبدأ يفسر أن هذه شهادة؛ عليك أن تذهب وتدلي بهذه الشهادة بحق هذا الرجل إذا كنت تعرف عنه شيئا، وتذهب وتقول هذا يصلح وهذا ما يصلح. فأدخلوا الناس بهذه الآيات على أن المسألة مسألة شهادة؛ والناس ذهبوا للانتخابات على أنهم يطيعون الله عز وجل. من هنا قالوا إن الذي يذهب مرتد لكن نتوقف في قتلهم بسبب انخداعهم بهؤلاء الخطباء.

قال ميسرة: لا أزال أذكر حين استفتى أحدُ أمراء المفارز في واقعةٍ تعترضهم وهي أنه قد يأتي رجل مستحق للقتل شرعاً بسيارة وهو محمَّل بالبضائع ولكن معه طفل صغير -كأنه ولده- فإن لم يقتلوا الطفل فربما يُخْبِرُ عنهم العدوَّ المحتلَّ ويدلُّ على المكان، وإن قتلوه مع أبيه نَجَحَت المهمة، ونقلْتُ الأمرَ لشيخنا فسارع بمنع هذا العمل متنازلا عن هذه الغنيمة كلها لئلا يُقْتَل الطفل.

قال أبو جعفر: تم تكليف أحد الأمراء المجاهدين بغزوة على الأمريكان، وكان من ضمن الغزوة سيارة مفخخة، وأثناء الغزوة قُتل مدني بسبب المفخخة، ووصل الخبر إلى الشيخ أبي مصعب الزرقاوي، فحزن حزنًا شديدًا، وطلب من أمير الغزوة الحضور أمامه، وقال له: "اعلم أن الله سوف يحاسبني على مقتل هذا الشخص، ماذا أقول لله إذا وقفت

بين يديه وأنا الذي أُسأل عنه يوم القيامة؟! وهذا الإنذار الأخير إليك، وإذا تكرر مثل هذا الأمر فسوف تُحاسَب وتُطرَد".

وقال: كما كان يؤمن الطرق للمسلمين، وقد سألته مرة عن تأمين الخط السريع، فقال: "هذا في رقابنا، يجب علينا أن نؤمّن الطريق للناس، وأي خرق سنحاسب عنه، لأن الناس أمانة في أعناقنا، وإذا احتاج أي مسافر شيئًا، فأعطوه ولا تقصروا عليه بشيء".

وقال أبو جعفر: وفي إحدى المرات، تم اختطاف عائلة من الخط السريع، واعتُدي على إحدى النساء، فقال: "خلال يومين، أريد الجُناة"، فبحمد الله، تم إلقاء القبض على قطاع الطرق، وتم إعدامهم وتعليقهم في أحد جسور الخط السريع، فقال لي: "أريد أن تعرفوا الفتاة التي تم الاعتداء عليها، لكي نردّ لها كرامتها، لأنها أمانة في أعناقنا"، وقال لي: "أي عائلة إذا سُلِبتْ، فنحن نعوّضها، لأن الناس أمانة في أعناقنا".

وقال: أما أكثر ما كان يؤلم الشيخ -تقبله الله-، فأخواتنا وإخواننا المعتقلات والمعتقلون، لدرجة أنه قال مرة: "ادفع مليون دولار لإخراج أخ من السجن".

وقال أبو جعفر: وفي أحد الأيام، طلب مني الشيخ أن أجد له مكانًا، لإنجاز واجب ما، وحين عثرتُ على المكان المناسب للعمل، واجهتني مشكلة في البيت؛ ذلك أن الأخ صاحب البيت كان صوفيًّا! فتكلمت مع الشيخ في هذه المسألة، فقال: "تكلموا معه في مسائل التوحيد"، وفعلاً تكلمنا معه وكان معي أبو جعفر المقدسي -تقبله الله-، غير أن هذا الشخص بقي على فكره الضالّ! وبعد أيام، أخذت الشيخ، وذهبت إلى ذلك

البيت، إذ كنتُ مجبرًا على أن يتقابل الشيخ معه، وتكلمت مع هذا الشخص الصوفي، وقلت له: "تعال معي وسلّم على شخص يريد رؤيتك"، فعندما واجه الشيخ أبا مصعب الزرقاوي، وقف أمامه ونظر متعجبًا، وقال: "إنني لا أُصدق! أهذا هو أبو مصعب الزرقاوي؟"، ثم عانقه، وبعد أيام صار الشيخ أحب إنسان إليه، حتى أنه لا يكاد يفارقه، وتصحح منهجه والحمد لله، وأصبح بعد ذلك سائق الشيخ الخاص، ولشدَّة ما تألم لمقتله، بكى عليه بكاء مريرًا وقتها، وقد واصل هذا الأخ مسيرته في درب الجهاد، حتى قُتِل في سبيل الله، نحسبه ولا نزكي على الله تعالى أحداً.

قال الأنباري: منذ زمن الشيخ أبي مصعب -أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبله في عليين- كان من أولويات اهتماماته في الجهاد أن يجد طريقًا للسجون بالقتال حتى يخرج أولئك المستضعفين من تلك السجون، ورأيتم العمليات التي حصلت على السجون، وفي سويعات قليلة من الله عز وجل على الآلاف منهم خرجوا في وقت قصير، وهم الآن يُسمون بالأحرار لأنهم حرّرُوا من السجن.

فصل في تعامله مع مصائب رعيته

قال ميسرة: وقبل وصولي إلى العراق حَصَلَتْ حادثة سمعتُ جزءاً منها من الشيخ وباقيها من غيره، وخلاصتها أن أحد الصحفيين الأجانب جاء بين الفلوجة الأولى والثانية يريد لقاء صحفياً وقدَّر الله أن أبا أنس –رحمه الله– كان موجوداً (وكان يجيد الإنجليزية) فانبرى في الكلام ولم يُبْق ولم يَذر حتى ذكر وجود عرب مقاتلين، ولكن بعد فوات الأوان، انتبه. ثم انصرف وجلس على أحد الأرصفة وإذ بأمير الفلوجة آتٍ فتفاجأ به واضعاً يديه على وجهه كهيئة النَّدْمانِ، فناداه: ما بك يا أبا أنس؟ فرفع وجهه وحرك رأسه قليلاً يمنة ويسرة ثم أعاد وجهه إلى يديه، فلما عرف شيخنا –رحمه الله– بالأمر أرسله إلى بيتٍ لئلا يَخرج منه حتى حين ووضع معه اثنين يؤمنان طلباته. فلما طال المقام وأبو أنس –رحمه الله– لا يقوى أن يسمع صوت الرصاص والنيران حتى يركض نحوها يستطلع الأمر لما طال المُقام –والشيخ هو الذي يحدثني الآن بهذا– أرسل أبو أنس لشيخنا رسالة –وهو صاحب الكلمات الرائقة والتشبيهات الساحرة–؛ وكان فيما قال له: "أنا خاتم في إصبعك"، فرقَّ له الشيخ، وأذن له بالخروج، –رحمهما الله– وجمع بينهما في الفردوس بخير.

وقال ميسرة: بُعَيْدَ مقتل أبي أنس –رحمه الله–، بدأ احتكاكي الكثيف بكل الإخوة على اختلاف شرائحهم، وتنوع أطيافهم وأعمارهم؛ فالتقيتُ بأخٍ شاميٍّ دخل العراق جديداً وراح يسارِرني بأمر حدث معه خلاصته أنه التقى قبل الدخول بأخ من الجزيرة العربية في مضافةٍ من المضافات وأثناء الطعام استفسر المُضيف (المنسق) الإخوةَ عن

معتقدهم بابن باز وابن عثيمين، فتبين له أن الأخ الذي من الجزيرة لا يكفرهما؛ فاستغرب المضيف من ذلك وعنف الأخ ونقل له عن الشيخ أبي مصعب أنه يكفرهما وأن من لا يكفرهما لا يدخل أرض الجهاد. فراح الأخ من الجزيرة بتعجب يقول: "يعني تمنعني من الدخول؟"، قال: "نعم!". وحقاً فعل ما توعَّده به فأرجعه من حيث أتى، لكنَّ الأخ الذي يحدثني خاف فلم يُفْصِح عن رأيه في القضية خشيةَ أن يُمْنَعَ هو كذلك من الدخول إلى بلد الجهاد والرباط وبوابة القدس -بإذن الله تعالى-. وما لبثتُ أن رفعْتُ القضيةَ إلى شيخِنا -رحمه الله-، خاصة وأنه أوصاني أن أنقل له ما يحدث في الساحة خشية أن لا يتيسر لرعيته أن يوصلوا له بحكم اختفائه الأمني عنهم، فغضب غضباً شديداً وتوَعَّد الذي نقل على لسانه خلاف رأيه. وأمر نائبه أن يتحرى من الموضوع فإن ثبت على المضيف ذلك فسيُطْرَد من الجماعة، ثم قال لي الشيخ: "صحيح أنني أراهما قد أضلا الأمة بفتاويهما لكني لا أكفرهما، ووالله لو أن الأخ الذي من الجزيرة لا يُكَفِّر فهدًا لما حَرَمْته من الجهاد، وقد دخل العراق كثير ممن لا يكفر الحكومة السعودية ثم حين بُيِّنَتْ له الأدلة اقتنع بها لوضوحها".

قال أبو سليمان: في بداية عام ١٤٢٨هـ، بعد ظهور الصحوات، عوقب أمير قاطع في إحدى الولايات الشرقية بالعراق لبعض تجاوزاته، اسمه (س د). كان (س د) من عشيرة وريف أهلها متديّنون قبل الغزو الصليبي على العراق، ودرّسهما في السنوات قبيل الحرب، لكن الشيطان أدخل العُجب على قلبه مع بعض أصحابه، فكانوا يتكبرّون على أقرانهم ممن لحقهم على طريق الجهاد.

وللأسف، هذا العُجب جعل بعضهم يتميّزون ويتمايزون عن إخوانهم بتبنّي أقوال شاذّة جمعتهم ببعض الغلاة ممن تبنّى القول بأن (الأصل في الناس الكفر)، وكانوا يمتحنون الناس في هذه المسألة، لكن هذا الخلاف لم يكن له أثر ملحوظ سوى الجدل، ثم تطوّر الأمر إلى التوسّع في مسألة التترّس بتلك الولاية، كانوا يفرحون إذا قُتل المارّة من عوام المسلمين بتفجير عبوة على الصليبيين وأعوانهم، فبناء على أصلهم: والمقتولون كلهم كفار، ولهم في ذلك أجر! وقد استتابهم الشيخ أبو مصعب الزرقاوي –رحمه الله– من هذه البدعة، فأظهروا التوبة وتخلّيهم عن هذا المعتقد، على مضض.

لذلك الشيخ أبو عمر البغدادي في ١٤٢٨هـ، منع جنود وأمراء الدولة عن الخوض في هذا الناقض درءا للفتنة، كان متّبعا سنّة أبي مصعب الزرقاوي الذي منع جنوده من الخوض في حكم ابن باز عام ١٤٢٦هـ، لما بدأ بعض الجهلة بتكفير وتبديع من يخالفه في ذلك؛ وأمر أبو مصعب ثم أبو عمر بتعزير المخالف بجلده على ظهره ثم نفيه من صف المجاهدين.

سئل الأنباري: لماذا التوقف في ابن باز وابن عثيمين من أباحا للأمريكان دخول العراق والجزيرة...؟

فأجاب الأنباري: هذا كان بأمر من الشيخ أبي مصعب أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبله، أمر في ذلك الوقت أن نكف لساننا عن هؤلاء؛ لأن الإخوة الذين كانوا يأتون من الجزيرة هؤلاء كانوا كما تعلم تربوا على المشايخ والمساجد ويعتبرون هؤلاء علماء. فعندما يأتي يهاجر لكي يجاهد في سبيل الله ويقال له فلان مرتد وفلان مرتد، كان

ينصدم، فكان أدى إلى كثير من الإشكالات في بعض المقرات بل وبعضهم أراد أن يرجع: "كيف تكفرون هؤلاء أنتم"، لكن بعد أن بقي ومارس الجهاد بدأ يكشف ما هو الموضوع، فمن هنا كان الأمر بالتوقف. ما زلنا ساكتين عن هؤلاء أفضوا إلى ما قدموا.

ذكر غير واحد: في عام ١٤٢٥-١٤٢٦هـ، أُرسل زكريا عفش ليكون مسؤولاً على الجنود في الشام من قبل الزرقاوي، لكنه نكث بيعته وانضم إلى جند الشام الذين كانوا يخططون للجهاد في أرض الشام ضد طاغوت النصيرية. لكن قدر الله أن يقبض على الجماعة، وذكر أن عفش تاب إلى الله من نكثته وندم على فعلته، وقتله النصيرية في سجن صيدنايا.

قلت: رواها عددٌ من المجاهيل.

روى أحدهم: بعد الغزو الأمريكي على العراق التحق بدران المكنى بـ(أبي عبد الله) من القائم بتنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، وتولى لفترة منصب مسؤول ومنسق الحدود بين سوريا والعراق ومن مهامه إدخال المهاجرين للعراق.

في عام ١٤٢٦هـ، اعتقل وسجن في صيدنايا فرع فلسطين، فمرة عذبه وهدده النظام النصيري ومرة أغراه بالأموال، حتى رضخ بأن يعمل جاسوسًا للمرتدين ليخرج من السجن ويتجسس على المجاهدين. علمت قيادة تنظيم القاعدة في العراق بحاله مما وصلهم من معلومات وبقي مشكوكًا في أمره. قام الجاسوس لتغطية أمره بتسهيل دخول الأمير الزرقاوي لمداواة جراحه في مدينة حلب. وتحدث أبو حمزة المهاجر مع الأمير في أمر

الجاسوس لكنه وقف ضد التحقيق فيه، وذلك بمكر الجاسوس بالأمير بتسهيله للعلاج وعدم تسليمه لمرتدي سوريا. وزالت الشكوك حوله لفترة من الزمن وأكمل العمل. وبنى عصابته من الجواسيس.

في عام ١٤٢٧هـ، قامت دولة العراق الإسلامية وأرسلت مسؤولا لسوريا للتحقيق في قضية الجاسوس بدران لكن قبض عليه بخديعة من الجاسوس.

في عام ١٤٢٨هـ، قام الجاسوس بالتساهل في دخول بعض الإخوة ليعطي لنفسه الثقة؛ والتشديد وتبليغ المرتدين عن المهاجرين وخاصة الشاميين. تلقت قيادة دولة الإسلام رسالة من قبل أحد الإخوة المسؤولين المعتقلين في سوريا تؤكد جاسوسية المرتد. قُتل الجاسوس من قِبل الجنود الأمريكان في البوكمال.

في عام ١٤٣١هـ، انتهى الأمنيون بدولة الإسلام بالقضاء على الجواسيس الذين عملوا معه خلال السنوات.

قلت: من ذكر هذه الحادثة مرتد ومدلس وساقط العدالة ولم يصاحب الزرقاوي، ويزعم أنه نقلها من الثقات. وأراد منها الطعن بدولة الإسلام، فأعدت صياغاتها على ما يشابه حقيقتها وذكرتها ليستأنس بها في خطر الجاسوس وتلونه.

قال أبو عبيدة: الشيخ أبو مصعب الزرقاوي -رحمه الله- قبل ما يقرب من أربع سنوات، أرسل لي حتى ألحق به إلى العراق، فالأخ الذي جاء بالرسالة من العراق إلى هنا مسك في الطريق، فالمخابرات الأمريكيّة عندما ألقت القبض عليه قالت له: ماذا تعني هذه الحروف والأرقام وغير ذلك؟ طبعًا كان كاتب اسمي بعملية التشفير والرموز، فتحت

التعذيب اعترف قال: "إن هذا أخونا أبو عبيدة، أبو مصعب الزرقاوي يطلبه إلى العراق".

فقال له: ماذا يريد من أبي عبيدة وغير ذلك؟

قال: "هذا من أصحابه وهو يريده أن يكون معه في العراق". قدر الله عز وجل للأخ أن يؤسر، وأنا بعد ذلك ما عرفت، ولكن الأخ أسر وبسبب عملية التشفير والتزوير التي هي غير جيدة استطاع أن يكشف، ويعترف، ويُقِرّ أن هذا فلان وعلان من الناس يريده أبو مصعب الزرقاوي.

فصل في حوادث رواها

قال الزرقاوي: حدّثني أحد إخواني الثّقات بحادثةٍ رآها بأم عينيه فيقول: "رأيت في مقتبل حياتي حادثةً لم أر مثلها قطّ في غيرة ثورٍ قتل نفسه بعد أن عصبت عيناه ليطأ أمه، فجاءت به جدّتي تجره إلى والدته، وهو لا يعلم أنّها أمه؛ لأنّه معصوب العينين، وبعد عملية التّلقيح كشفت عينه، وأيقن بأنّه أتى أمه، فما كان من ذلك الثّور إلا أن قام هائجًا وثائرًا يناطح الجدار برأسه حتّى سالت منه الدّماء الغزيرة وهو يتحرك بجنونٍ وهيجانٍ، ثم اتّجه إلى نهر دجلة والدّم يقطر من جسده، وألقى بنفسه في النّهر حتّى غرق ومات من جراء ذلك! لأنّ الغيرة أخذته على أمه، وهو دابةٌ قد استبيح لها ذلك فطرةً وجبلّةً، فقلت في نفسي آنذاك: البهائم تأنف الزنا بالمحارم، وتغار على حريمها؛ فكيف بالبشر لا يعقل ذلك؟!".

قال الزرقاوي: هُنَاكَ طبيبٌ من تلعفر يدعى: (عباس قلندر)، تابع للمجلس الأعلى للثّورة الرافضية الذي يتزعّمه عبد العزيز الحكيم، وكان هذا الطّبيب مرشّحًا لأن يكون قائم مقام تلعفر: كان قد أعطى علاجًا لطفلٍ، وهذا العلاج كان يضاعف من الآثار الجانبية للمرض متعمدًا؛ ذلك لسببٍ بسيطٍ هو أنّ الطّفل اسمه: (عمر)!

وكان هناك طبيبٌ آخر في بعقوبة، مركز محافظة ديالى، يرفض أن يعالج أي مريضٍ اسمه (عمر)، أو أيّة مريضةٍ اسمها (عائشة)! وقد قام المجاهدون بفضل الله بمحاولة اغتيال هذا الرافضي الخبيث، فأطلقوا عليه النّار داخل عيادته، فأصيب إصابةً بالغةً في رقبته، واستطاع بعدها الفرار إلى إيران.

قال الزرقاوي: رحم الله الشيخَ أبا أنس الشامي يوم أن قال لي مثبتًا ومسلِّيًا: يا فلان! سنبقى نحفرُ بالصخر حتى نصنع مجدًا لأمتنا.

قال الزرقاوي: ولقد بعث لي كثير من الأخوات المجاهدات في أرض الرافدين، يطلبن القيام بعمليات استشهادية، ويلححن في طلب ذلك، وقد كتبت لي إحداهن رسالة سطرتها بمزيج دمعها ودمها، وذلك بعد استشهاد الإخوة في عملية أبي غريب، التي كانوا يرومون منها استنقاذ الأسيرات من سجون القهر الصليبي، كتبت تلح علي فيها بتنفيذ عملية استشهادية، قائلة: "إن الحياة لا تطيب بعد مقتل هؤلاء"، واستحلفتني بالله طويلًا أن أستجيب لها في طلبها، ومنذ ذلك اليوم وإلى هذه الساعة –وذلك قرابة ثمانية أشهر– وهي تواصل الصوم لا تفطر، ويعلم الله مقدار تأثري بكلماتها وما تمالكت نفسي فبكيت أسفًا على حال هذه الأمة.

قال الزرقاوي: فلتعلمي يا أمتي! بأن هذه الفيالق الخبيثة عندما دخلت إلى العراق أثخنت أيما إثخان في أهل التوحيد؛ فهجّرت العوائل السنية من الجنوب، وقتلت المئات من أهل السنة، واغتصبت المساجد وحولتها إلى معاقل للوثنية والشرك، كل هذا وفق برنامج مدروس لتصفية أهل السنة؛ فقد اغتصبوا ٢٩ مسجدًا في بغداد تم تحويلها إلى حُسينيات وثنية مع أنهم لم يقربوا كنيسة واحدة، ولم يُغلقوا محلًّا واحدًا لبيع الخمور! وعندما ذهب بعضهم إلى الهالك محمد باقر الحكيم يستجديه إعادة المساجد إلى أهل السنة؛ أجابهم بالحرف الواحد: "كم مسجدًا أُخذ منكم؟"؛ فلما أخبروه أجابهم بكل لؤم: "تسعة وعشرون مسجدًا فقط؟ هذا قليل، أنتم أهل السنة لكم أربعة آلاف مسجد

في العراق؛ أفتستكثرون علينا هذه المساجد؟!".

كما وقاموا بتصفية معظم كوادر ورموز أهل السنة من الدعاة والأطباء والمدرسين وأصحاب الخبرة والتقنية، بل وقاموا باختطاف كثير من النساء اللاتي لا يُعرف مصيرهن حتى الآن، بل إن قوات الشرطة الروافض شاركوا في انتهاك أعراض المسلمات الحرائر مع الصليبيين في سجن أبي غريب، فلو تعلمون عن سجن الكوت؛ الذي تُديره المخابرات الإيرانية، وسجن الحلّة؛ الذي يديره الرافضي المسمى بـ (العميد قيس)، الذي كان يُقطّع أعضاء المسلمين بالمنشار الكهربائي، ويستبيح أعراض المسلمات هناك، ولا تسأل عن السجن في حُسينية البراتة؛ في بغداد معقل فيلق بدر! فوَالله لم نبدأهم بالقتال، ولم نصوب إليهم النبال.

وسأذكر هنا قصة تتقطع منها القلوب والأجساد، وتتقرح لسماعها الأكباد، وهي على سبيل الذكر والاستشهاد، لا على سبيل الحصر والاستطراد؛ لعلها تُصادف من أبناء هذه الأمة آذانًا واعية، وقلوبًا حية: ففي مدينة الحلة اقتحم قوات الشرطة المرتدين منزل أحد إخواننا المجاهدين، فلما شعر بهم لاذ منهم بالفرار، فأتى عدو الله الرافضي المدعو بـ(العميد قيس) إلى زوجة أخينا العفيفة الطاهرة وأخذ يجرها من رأسها، ويجذبها من شعرها مهددًا ومتوعدًا لها إن لم تخبره بمكان زوجها بسلب عفتها وانتهاك عرضها، وهي تصرخ وتستغيث: "ألا من مغيث؟! ألا من أمتي من يغار على أعراضنا ويدافع عن حُرماتنا؟!"، ولم تدر هذه المسكينة أن أبناء الأمة في لهوهم يلعبون وفي سباتهم نائمون!

فما كان منا لما بلغنا خبرها إلا المسارعة بإغاثتها، وتلبية ندائها، فوَالله لا حيينا إن

بقي هذا وأمثاله أحياء؛ فقام الإخوة بمراقبة دقيقة لبيته، ثم انطلق أحد الأسود الاستشهاديين قاصدًا معقل هذا المرتد اللعين فدك عليه حصنه الحصين، وأصابه وأهله من الرعب والجراح ما لا ينساه على مر السنين، وقدر الله أن يكون له في عمره بقية باقية؛ ادخارًا منه سبحانه ثواب قتله لعبد اشترى الآخرة بالفانية، وما زال الليوث يقعدون لهذا الرافضي كل مقعد، ويتربصون به كل مرصد حتى يعلم وأمثاله حرمة أعراض أخواتنا المسلمات، فلا تسوّل لهم أنفسهم الاعتداء عليهن، والنيل من كرامتهن.

قال الزرقاوي: إن أبناء هذه الأمة بحاجة إلى منارات حية تضيء لهم الطريق وتنير لهم السبيل، فها هو إمام لأحد المساجد في العراق، وكان أعمى البصر، مستنير البصيرة، يأتي إلى الأمير العسكري للقاعدة في بغداد -وذلك بعد استشهاد الشيخ أبي أنس رحمه الله تعالى- يطلب أن يقوم بعملية استشهادية، فقيل له: "يا فلان! إن الله قد عذرك"، فقال: "إني أطلب الشهادة، لعل الله أن يدخلني الفردوس الأعلى، فأجتمع بالشيخ أبي أنس".

قال الزرقاوي: أوَما سمعتم صرخة أمكم التي داس كرامتها رافضي خبيث؟ يوم أن جاؤوا ليعتقلوا زوجها، ولمّا لم يجدوه قاموا باعتقالها وهي تستغيث وتتوسل، حتى قبّلت حذاءه راجيةً منه ألا يسلمها إلى الأمريكان، قائلةً له: "أنا عراقية، وأنت عراقي؛ فلماذا تسلمني إليهم؟!"، فما كان من جنود الحرس الوثني إلا أن عصبوا عينيها وقيدوا يديها إلى ظهرها وحملوها، وقذفوا بها في سيارة الاعتقال الأمريكية!

فصل في ذكر طرفٍ من أخبار الشهداء من أصحابه وجنده

قال الزرقاوي: كثير هم الشخوص الذين يلقاهم الإنسان في رحلته على ظهر هذا الكوكب، وخاصةً إذا الإنسان قد امتطى صهوة جواده ضاربًا في فجاج الأرض، يطيف في الأصقاع، لا يكف عن التجوال والترحال، يبحث عن أخبية العز المتناثرة كواحة ظليلة في صحراء ملتهبة، تلحف بهجيرها وتحرق بشمسها وجوه الأحرار، ومع ذلك فقِلة هم الذين يوسعون في القلب محلًّا ويحفرون في القلب رسمًا لا تبلوه الأيام ولا يمحوه كر الأعوام.

أبو أسامة العراقي

ليث بن علي بن مطلق المجمعي الحسيني الهاشمي القرشي

ذكر في صحيفة النبأ (٢٠٣): لم ينتظر أن يستنفره أمير للجهاد، أو تدعوه جماعة مقاتلة للانضمام إليها، بل بادر لتشكيل سرية مجاهدة من أقاربه وأصدقائه بعد الغزو الأمريكي الصليبي. وبدأ قتالهم مستفيدًا من خبرته العسكرية السابقة في الجيش العراقي الذي تاب من كفر الانتساب إليه والقتال في صفوفه ضد روافض إيران، ليستقر به المقام مع إخوانه بعد فترة قصيرة في جماعة التوحيد والجهاد تحت إمرة الشيخ المجاهد أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله-، أميرا لقاطع أنس بن النضر الممتد في مناطق جنوب ديالى ومركزه في (برايز مبرز) مسقط رأسه، فأبلى البلاء الحسن في جهاد الصليبيين وعملائهم من الرافضة. واستمر في إمارته مع إعلان تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين.

أبو البراء الكويتي، فيصل المطيري

قال الزرقاوي: لقد كان وجهك وجه شهيد، ناطقاً بالصدق لائحةً عليه سيماء الصلاح، نحسبك والله حسيبك ولا نزكي على الله أحدًا، إذا خالطك إنسان أحبك، ولمس بيدي قلبه طيب قلبك وبياض سريرتك، إذا ذُكِرَ التواضع فأنت غرته، موطأ الأكناف؛ لا يجد رفيقك منك إلا الخير والألطاف، سهلٌ سِمِح، لا يتكبر بالإساءة، ويغضي على الأذى فيطويه في جوانحه ويتجرعه بصمت ثم لا ينتقم إلا لله. يطيف بوهلي -أبا البراء- أنك ربما لم تخاصم إنسانًا، ولم تؤذ مخلوقاً في حياتك قط، لا في جاهلية ولا في إسلام، نفس رقراقة، بالحب دفاقة، مع أصالة وعراقة، لا تعرف الكلال ولا الملال، مع عزيمة لا ترضى بالهزيمة، ومضاء وثاب، يأبى الذل والخنوع، ويطوي على الجوع حتى يبلغ ينبوع العز والكرامة، ليرتشف سلسبيلا خالصاً؟

تلك هي قصتك ومسار رحلتك في هذه الحياة، والتي ختمت لك بالشهد المستطاب، وتحقيق الأماني والرغاب؛ إنها الشهادة أبا البراء -إن شاء الله-.

لقد صبرت معي في درب الجهاد، وتجرعنا سويا الغصص في الله، وكنت تتلمظ تنتظر اليوم الموعود؛ لإصدار شريط (CD) لنقدمه للأمة، لتعرف بجلاء حقيقة الجهاد وصور التضحية والعطاء لأهل الإسلام في العراق مهاجرين وأنصارًا. فانعم عيناً أبا البراء، وأبشر بما يسرك، وعداً منا غير مكذوب إن شاء الله، عن قريب نقدمه لأمتنا الغالية، لينضاف أجره إلى سجلك، عطاء غير مجذوذ.

وان كنت شربتُ حسرةً في أمر شهادتك فهي أني حيل بيني وبين أن أقبل جبينك الوضاء قبلة الوداع، و أن أباشر دفنك بيدي وفاءً لعهدك، فأسأل الله أن يعوضنا رؤياك

في الجنان.

أبو الحسن

قال أبو حمزة: أبو الحسن كان محطّ ثقة أمرائه في تنظيم قاعدة الجهاد بل كان له من ذلك النصيب الأكبر. إذ قال لي يوماً أسد الرافدين، أود أن أُحضر أبا الحسن ليبقى معي يعينني وأستشيره وحتى إن حدث مكروه لفلان يكون هناك خلفاً له. ولقد عيّنه أميراً لبغداد في الفترة الأخيرة ثقةً منه أنه الرجل المناسب في المكان المناسب وحتى يصلح أمور بغداد بما فتح الله عليه وجمع له دون غيره من دراية شرعية وعسكرية وإدارية ومحبة الخلق. وكنت دائماً أحلف لأسد الرافدين أبي مصعب الزرقاوي –رحمه الله– أن أحق الناس بإمارة بغداد وأحزمتها هو أبو الحسن، فقط عيبه صُغْر سِنّه إذ أنه يبلغ من العمر خمسًا وعشرين عامًا فقط، لكن السّبق سبق صفة لا سنّ ولا زمان.

أبو الزبير العراقي

أركان بن جاسم بن محمد العزاوي

ذكر في صحيفة النبأ (٥٤): وعقب دخول الصليبيين أرض العراق سنة ١٤٢٣ هـ، تفرغ أركان للجهاد وحمل السلاح، وترك كل ما يشغله عن هذه الفريضة العظيمة. وكان عمله ومن معه أشبه بالعمل الفردي في قتال الصليبيين والمرتدين، حتى بايع الشيخ أبا مصعب الزرقاوي –تقبله الله– في أواخر عام ١٤٢٤هـ، فكان بذلك من الأوائل في هذا الركب المبارك.

أبو الغادية، سليمان بن خالد بن درويش

قال أبو حمزة: بالشَام بدأَ يضعُ لمسات التّنظيم العمليّة، فشاركَ مشاركةً فعّالةً في كلِّ مراحله، وفجأةً ظهر اسمُهُ وصورَتُهُ إلى العالَم بعد اتهامه بالضّلوع في محاولةِ تدميْر مقرّ الاستخبارات الأردنيّة الصهيونية، وحُكِمَ عليه بالإعدام غيابيّاً، لكنّ الرَّجُلَ ما جلسَ في غرفةٍ مُصْمَتَةٍ وأحاطَ نفسه بهالةٍ من التّكتيم والحراسة، على الرّغم من اشتهار وانتشار صورته، بل استمرّ في العمل وبلا كَلَل، فقادَ بتكليفٍ من الشّيخ أبي مصعب تنظيم بلاد الرافدين بأحد البلدان، وأخذَ الرَّجُلُ يحوطُهُ ترتيباً وتنظيماً حتى اشتدَّ عودُهُ وقَوِيَ أمْرُهُ وأصبحَ رافداً مهمّاً من روافدِ جهادِ العراق، ولما ضُيِّقَ عليه انتقل إلى العراق وبالتّحديد إلى الفلوجة.

وبعد ذلك أسند إليه القائد أبو مصعب –رحمه الله– إمْرَةَ شؤون المهاجرين بالفلوجة. وكعادته بدأ يُرَتِّب شؤون الإخوة أحسنَ ما يكون، فأحدث ولأوّل مرّة ديواناً للمهاجرين ورقماً سريّاً لكلّ مهاجر وأعطاهُ له، على أن يسجل اسمه وعنوانه وأهم ما يمكن عنه في ملفٍّ سرّيٍّ جدّاً في مكانٍ سِرّيّ.

أبو المغيرة القحطاني، وسام بن عبد بن زيد

ذكر في صحيفة النبأ (٢٤): بدأ وسام عبد زيد جهاده حين شكل مع مجموعة من أبناء مدينة الفلوجة مجموعة صغيرة تقاتل الصليبيين. ثم انضم مع رفاقه إلى الشيخ أبي مصعب الزرقاوي –تقبله الله–. وشارك في الدفاع عن مدينته في معركة الفلوجة الأولى

التي كان فيها من المرابطين على ثغورها، حيث توطدت علاقته أكثر بالشيخ أبي حمزة المهاجر -تقبله الله- الذي غالبا ما كان يحل ضيفا عليه أثناء وجوده في المدينة.

أعلنت جماعة التوحيد والجهاد فكان أبو همام -وهي أول كنية له في الجهاد- من أوائل المنضمين إليها، ومن الموثوقين فيها حتى أرسل موفدا عنها إلى جزيرة العرب التي دخلها تحت غطاء العمرة مع أخويه (الحاج عفان) و(الحاج إبراهيم) -تقبلها الله- للقاء بعض الإخوة هناك وإنجاز بعض المهام المكلف بها لصالح الجماعة، وأثناء غيابهم هناك وقعت معركة الفلوجة الثانية التي انحاز المجاهدون بعدها من المدينة.

أبو أنس الشامي، عمر بن يوسف بن جمعة

قال أبو حمزة: أوّل معرفتي بالرَّجل أنّي دخلتُ يوماً وبدعوة من الأمير أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله-؛ فلفت انتباهي شابّ في الثلاثينات من العمر يجلس على فَرْشِهِ مُقابلة كأنّه زهرة على بساط أخضر، جميل الصورة، نضر الوجه، ليس به نمش ولا سواد، ناعم الشعر، رائع القسمات، فناداه صاحبي فأقبل إلينا فلمحت البراءة في عينيه ثم تكلم، فتكلم بالفصحى بلا تقطع ولا تكلف بل يمازح ويلاطف في أدبٍ كبير، ثم جلس فاستشاره الشيخ أبو مصعب في عمل عسكري ما، فأشار واقترح بما يستطيع ويعرف ثم صمت عمّا لا يعرف، وتلك والله شيم العلماء، ثم خلوتُ بالشيخ أبي مصعب وسألته عن الرَّجُل، فمدح وزاد في مدحه بما يدلّ على أنّ الرَّجُل وقع من الشيخ موقعه المناسب، ففرحت لأسباب أهمها:

١ - أن الشيخ جعل مستشاره من أهل العلم والصدق والنصح.

٢ – أن عادة الشيخ لم تتخلف عنه حتى بعدما صار معروفاً مشهوراً، فمنذ كان في أفغانستان كان يُقرّب ويأتي ويذهب مع أحد كبار طلبة العلم، وهذا يدل على فهم الرَّجُل وتحرّيه للشرع في أمره ونهيه، وتقريبه للعلماء، وتلك والله شيم الصالحين.

فشكّل وأسّس (مجلس شورى مجاهدي الفلوجة) بالتنسيق وبأمر الشيخ أبي مصعب وحتى لا تذهب الثمرة إلى من جاء بعد المعركة، فكان هذا المجلس تقريباً صمام أمان فيما بعد لكثير من المعضلات.

أبو جعفر الأنصاري الشامي

قال أبو جعفر: كانت بذرة الغرس الأولى في دوحة لقائي مع الشيخ أبي مصعب الزرقاوي –تقبله الله–؛ عندما تم تكليفي بواجب معيّن، وقيل لي: "انتظر في هذا المكان؛ فسيأتي إخوة إليك"، وانتظرت وحدي لأيام، وأنا لا أعرف من سيحلُّ هنا، وبينما أنا جالس أنتظر: إذا جاءت سيارة وترجّل من كان فيها؛ فإذا بالفارس أبي مصعب الزرقاوي، بسمت الهيبة والوقار الذي يكلله، ومعه أبو الغادية رفيقه من أفغانستان. وتوجه نحوي، فإذا بالحياء يغشاه، والهيبة تعلوه، والوقار يشع ويفيض من حوله. وجلست معه أيامًا، وأنا لا أعرف ما هو عملي، وبعد فترة علمت أني سأكون صاحبه ومرافقه وقد جاء هذا الاختيار والاختبار بعد فترة طويلة قضيتها مع الإخوة، لم أعرف خلالها أنني سأكون مع الحبيب –تقبله الله–، وبدأت رحلتي معه أثناء معركة الفلوجة الثانية، افترقنا بعدها فترة قصيرة لأسباب أمنية، ثم التقينا مجدّدًا دون انقطاع لحين مقتله.

أبو جعفر المقدسي

قال أبو حمزة: مضتِ الأيامُ وبدأَ أبو جعفرٍ بتشكيلِ (قوةِ التدخلِ السريعِ) وذلك بأمرٍ مِنَ القائدِ الشَّهيدِ والسَّيدِ الحبيبِ أبي مُصعب الزرقاوي -تقبّله الله وغفر له-، حيثُ كانَ ذلكَ قَبْلَ أحداثِ الفلوجةِ الثانيةِ، وكانت لهذهِ القوةِ أهدافٌ كثيرةٌ أهمّها:

- سدُّ أيِّ ثغرةٍ قد تنشأُ في نقاطِ الحمايةِ التي تحيطُ بالمدينةِ.

- دعمُ نقاط الضّعفِ حالَ المعاركِ وفقدانِ الرّجالِ.

- حمايةُ المدينةِ من أي إنزال يتم خلف الخطوط، بحيث يكونُ مكانُ القوةِ في القلبِ.

فواصلَ هو وأخوهُ القائدُ الشَّهيدُ أبو خُبيبٍ التركيُّ العملَ ليلاً ونهاراً من أجلِ تشكيلِ هذهِ القوةِ، وقدْ تمَ ذلكَ في ظَرفٍ حسّاسٍ جدًّا، حيثُ كانَ القصفُ يطالُ أدنى تجمعٍ، فكانَ التَّدريبُ فَردياً (يُدرّبونَ واحدًا واحدًا)، ثم يتمُ جمعُ كلّ مجموعةٍ مع بعضٍ في بيتٍ من بيوتِ المدينةِ والتي أُعِدّتْ سلفاً في قلبِها.

وفي يوم من الأيامِ وصلتْ إلى القائدِ أبي جعفر رسالةٌ من أخيهِ الإمام أبي مصعبٍ الزرقاوي -تقبّله الله وغفرَ له- يأمرهُ فيها بإعدادِ وتدريبِ عددٍ من الإخوة إعداداً شاقاً وأنْ يختارَ من الإخوة خيرَهم خُلُقاً وديناً وجسماً وذلك لمهمةٍ خاصةٍ، يقومُ بتقسيمها لمجموعاتٍ صغيرةٍ كل مجموعةٍ مكونةٍ من خمسةِ أشخاصٍ عليهم أميرٌ، وأَمَرَهُ بأنواعٍ معينةٍ من التدريباتِ كتسلقِ الجدرانِ وعبورِ الحواجزِ المائيةِ وغير ذلكَ، فانخرطَ الأخُ في إعدادٍ للإخوةِ متواصلٍ بلا كللٍ أو مللٍ، وفي سريةٍ تامةٍ، وكانتْ هذه هي مجاميعَ اقتحامِ سجنِ

أبي غريب -فرضي اللهُ عن أبي جعفر وإخوانهِ-، ثم أُنيطَ للقائدِ تشكيلُ قوّةٍ خاصةٍ مهمّتها عملياتُ الخطفِ للأجانبِ وخاصةً أعداءُ اللهِ المحتلُّون منهم.

ثم بدا لأسدِ الرافدينِ أنْ يؤثرَ نفسهَ بالقائدِ أبي جعفر؛ ليكونَ رفيقهُ في حلِّهِ وترحالهِ ونومهِ وقيامهِ، ورسولهُ إلى المناطقِ ومستشارهُ العسكريَّ وحتى الإعلامي، وبدأتْ مع القائدِ رحلةٌ شاقةٌ لا يعرفُ صعوبتَها إلا من يعرفُ كيف كان يعيشُ أسدُ الرافدينِ أبو مصعبٍ. وبدأتِ الأيامُ تمرُ، وفي مرةٍ قابلتُ أبا جعفر فوجدتُ الإجهادَ واضحاً عليهِ، قلتُ: ما لكَ؟ قالَ: "واللهِ لو كلّفني الشيخُ بهدِّ جيشٍ من الأعداءِ ما تعاجزتُ بحولِ اللهِ، أما مسؤوليةُ حمايتِهِ ومرافقتِهِ، فهي واللهِ المسؤوليةُ، وتلك واللهِ الأعباءُ التي تنوءُ منها الجبالُ، يا أخي، الشيخُ رجلُ أُمّةٍ لو حدثَ لهُ مكروهٌ ماذا أقولُ لربي؟".

ومضتِ القافلةُ، ومضى أبو جعفر يتقدّمها بجوارِ أخيه أبي مصعبٍ، وفي كلِّ يومٍ تنزلُ عليهم الأتراحُ والأفراحُ، هنا خبرُ استشهادِ أخٍ، وهناكَ تدميرُ دبّابةٍ، وهكذا كانت حياةُ الرجلينِ لا يعرفانِ النّومَ، فقد كان أبو مصعبٍ لا يعرفُ النّومَ تقريباً؛ مذاكرةً لرسائلِ الإخوة وشؤونِهِم، حتى إذا أصبحَ الصَّباحُ جاءت تعليماتهُ للأُسُودِ في أنحاءِ البلادِ.

ولقدْ شاهدَ العالمُ بأسرهِ ذلك الشَّابَ المتينَ وهو يجلسُ بجوارِ الشَّيخِ (الثاني من جهةِ اليمينِ)، في شريطِ الشَّيخِ المصوَّرِ الأخيرِ، وعلَّقَ الأمريكانُ كثيراً لما بادرَ أبو جعفر بشدِ أجزاءِ سلاحِ الشَّيخِ، كعادتهِ في مساعدةِ الشَّيخِ في كلِّ شيءٍ: طعامهُ، وشرابهُ، ولباسهُ، ونومه، وقد كان الشَّيخُ -رحمهُ اللهُ- ينوي تزويجهُ ابنتَهُ وصرَّحَ بذلك لأحدِ الإخوة، وأنا نفسي كنتُ قد طلبتُها منهُ لأبي جعفرٍ، فقالَ: "واللهِ ما أعرفُ بأبي جعفر عيباً ولم أرَ

لابنتي مثلَهُ أو شبيهاً، لكن صبراً قليلاً حتى أطمئنّ أنها تصلحُ للزّواجِ، ثم هي لهُ إن وافقتْ بحولِ اللهِ وقوّتهِ، وما أظنها إلا لهُ".

المستشار الوزير أبو زهراء، علي العيساوي

قال أبو عبد الأعلى المضري: من مواليد مدينة الفلّوجة، عرف الحقّ والتزمه في وقت مبكّر، والتحق هو في جمعٍ من صحْبه منهم البطل أبو الحارِث العِيساوي والقائد أبو عزّام العراقيّ بالشّيخ أبي مصعب -رحمهم الله جميعًا-، فبايعوه ولزِموا غرزَه، وتلاقَت الأنفسُ الأبيّة والهِممُ العاليةُ على هدفٍ واحدٍ؛ وهو بناء دولةٍ للإسلام، يُعزّ فيها أهلها وتُرفع فيها رايةُ التّوحيد.

فكانَ عزيزَ النّفس كريماً، مُقبلاً على عظائم الأمور مترفّعا عن سفاسفها، ذكيّاً فطِناً حكيماً ذا رأيٍ سديد، ما أن لقِيَه الشّيخُ الأمير أبو مصعَب حتى صار من أهل مشورته المقرّبين، فكان ممّا يعتزُّ به أبو زهراء موقفٌ لا يفتأ يذكره مع الشيخ الأمير -رحمه الله-، ففي إحدى مجالس الخير حيث اجتمع إخوةُ الجهاد يتناقشون أمورهم وكان صاحبنا يجلس بجانب الشيخ أبي مصعب، قام الشّيخ بنزع خاتَمِهِ وألبسَه لأبي زهراء هديّة لم يزل يعتزّ بها ويقول: "لقد حَسدَني يومها كلّ الإخوة الحاضرين".

وأصبحَ بيتُ أبي زهراءَ مفتوحًا للمجاهدين وخاصّة المهاجرين الأوائل أمثال الشّيخ أبي أنس الشّامي والشيخ أبي محمّد اللّبناني وغيرهم من الرّعيل الأول، فكانَ ممّن وضعوا اللّبنات الأولى في بناءِ الجماعة التي فتحت على أهل الإسلام باباً عظيما للخَير، فللّه درّهم وعلى الله أجرُهم، ونسألُ اللهَ أن يُجزل لهم العَطاء، ويجزيهم عن الأمّة خيرَ الجَزاء.

أبو صهيب النجدي

قال أبو جعفر: في أحد الأيام، طلب الزرقاوي مقابلة الأخ الشرعي أبي صهيب النجدي الجزراوي، بغرض الاتفاق معه للذهاب إلى جزيرة العرب، والإتيان بالشيخ عبد الله الرشود -تقبله الله-، وبعد الانتهاء من المقابلة، تكلم معنا الأخ أبو صهيب أعني نحن الثلاثة الذين كنا برفقة الزرقاوي، فبكى بكاء شديدًا، وقال: "يا إخوة هذا الرجل أمانة في أعناقكم، فإياكم أن تحدثوا حتى أتى أنفسكم عن هذا الرجل".

أبو طلحة العلقاوي

ذكر في صحيفة النبأ (١٠٥): ومع دخول القوات الصليبية الأمريكية الغازية أرض العراق عام ١٤٢٤هـ، انبرى البطل أبو طلحة لهم مع عدد صغير من إخوانه بعد أن اشترى كل منهم سلاحا بماله الخاص. ولم يرضوا القعود والهوان، فأعملوا فيهم قتلاً وتشريدًا إلى أن يسر الله تعالى للمخلصين إعلان دولة العراق الإسلامية، فكان من أول المبايعين لأميرها الأول أمير الاستشهاديين الشيخ أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله-.

أبو عبد الرحمن البيلاوي الأنباري

عدنان بن إسماعيل بن نجم

قال العدناني: من السابقين الأولين في جهاد الصليبيين على أرض الرافدين، فإذا ذكرتم الأنصار فعدوه من القدماء المخضرمين الأخيار، وإذا ذكرتم التوحيد والجهاد فعدوه من المؤسسين، وإذا ذكرتم الدولة الإسلامية فعدوه من الموطدين لأركانها والقادة الكبار.

حل عنده الشيخ أبو مصعب الزرقاوي فكان خير أنصاري لخير مهاجر، فلزمه وصاحبه قرابة ثلاث سنين، فنهل من عقيدته وتشرب منهجه، وكان ساعده الأيمن، حتى ابتلاه الله بالأسر عند الصليبيين، فمكث في مدرسة يوسف بضع سنين أمضاها في طلب العلم.

أبو عبد الله الزوبعي

قال الزرقاوي: وهذه صورة من صور التضحية والفداء في سبيل هذا الدين، يفخر بها كل مسلم، صاحبها أسد من عشيرة زوبع الأصيلة، وهو الأخ المجاهد أبو عبد الله الزوبعي؛ فعندما انطلق الإخوة في معركة أبي غريب الأولى، كان أبو عبد الله ممن يؤوي الإخوة في بيته، وقدر الله سبحانه لحكمة يعلمها أن يُكتشف أمر الإخوة قبل العملية، فبدأ الطيران بقصف البيوت، فقُتل من عائلته قُرابة العشرين شخصًا -منهم أبواه وإخوانه وأخواته-، وضرب أروع الأمثلة في الصبر والاحتساب، ولما أردت تعزيته والشدّ من أزره خاطبني قائلًا: "يا فلان! طالما أنت وإخوانك المهاجرون بخير فكل شيء بعد ذلك يهون"، وقالها بلهجته العراقية اللطيفة: "أنا والأهل والأولاد فدوة للمجاهدين".

أبو عبد الله الشامي

قال أبو عبد الملك: فبدأت والشّهيد أبو عبد الله والشهيد أبو عمر وغيرهم نضع العبوات ونضع أوّل لمسات علم التّفخيخ والتّشريك بالعراق، وكان أبو عبد الله الشّامي من أساتذة هذا الفنّ ففتحَ الله عليه خيراً كثيراً، وباركَ في جهودِهِ ومسعَاه، ولما جاءَ القائدُ المباركُ أبو مصعب الزّرقاويّ -رحمه الله- لَحق ولحقنا بِرَكْبِه فكانت صفحةً جديدةً

وقصّةً أخرى وليدة من حياة أبي عبد الله سَخَّرَ نفسهُ وأهلَهُ وبيتَهُ وحياتهُ لخدمة المجاهدين والاستشهاديّين، ولأنّ البيوتَ كانت موصدةً أمامنا، فتحَ بيتَهُ، وفي بيته بدأت أوّل فصول العمليات الاستشهادية وعلى يديه سارت أوائل فصول قصّة الجهاد والاستشهاد في العراق.

أبو عبيدة، عبد الهادي بن دغلس

قال الزرقاوي: وإن كنت أنسى، فلا أنسى في هذا المقام إخواننا الشهداء رحمهم الله، الذين كانوا معنا في السراء والضراء، وصبروا معنا على لأواء الطريق، وعلى رأسهم الأخ الحبيب الغالي الشهيد الحي –نحسبه كذلك والله حسيبه– أبو عبيدة عبد الهادي دغلس؛ فوَالله ما رزئت بمصيبة –بعد أن هداني الله– بمثل فقد هذا الأخ، هذا الأخ الذي كنت أستصغر نفسي أمامه؛ لفرط شجاعته وإقدامه، وصبره وحسن خلقه، فعلى مثل عبد الهادي فلتبكِ العيون، فعلى مثل عبد الهادي فلتبكِ العيون.

فكلما تذكرته تذكرت حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي رواه أحمد وابن حبان، عن ابن مسعود أنه قال: "عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلَيْنِ، –وذكر منهما–: رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الانْهِزَامِ وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرجَعَ حَتَّى يُهرِيقَ دَمَهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لـمَلائِكَتِهِ: {انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَجَاءَ فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ}"، فيوم أن اضطر المجاهدون إلى أن يخلوا مواقعهم نتيجة القصف الشديد والمتواصل أبى أن يرجع، وتبايع على الموت –هو وثلة من إخوانه– وانغمسوا في العدو نسأل الله أن يتقبلهم.

فوالله لقد كان جبلًا من الجبال، وأسدًا من الأسود، وعابدًا من العباد، وزاهدًا من الزهاد، ترى الصلاح في وجهه، مسعّر حرب لو كان معه رجال، لا تأخذه في الله لومة لائم، شديدًا على أعداء الله، رحيمًا وبرًا بإخوانه.

رحمك الله يا عبد الهادي رحمة واسعة، لقد كنت -والله- الأخ الحبيب والصديق الشفيق، وكنت السمع والبصر، فوالله إن مكانك ما زال شاغرًا، لا يستطيع أن يملأه أحد، وبفقدك فقدت عضوًا من أعضائي، وإن كنت أنسى فلن أنسى ذلك اليوم الذي قلت لي فيه: "إني لأدعو لك أكثر مما أدعو لوالدي"، فأي خسارة بعد هذه الخسارة؟ وأي رزية بعد هذه الرزية؟ فقدتك في وقت كنت أحوج ما أكون إليك فيه.

قال أبو جعفر: أما رفيق دربه عبد الهادي دغلس، فحدِّث ولا حرج عن حب الشيخ له وعميق مكانته في نفسه، وقد سألت الأخ أبا أسامة الغريب عن الأخ عبد الهادي دغلس، فقلت له: "لماذا الشيخ أبو مصعب يحب الأخ عبد الهادي دغلس -تقبله الله- حبًّا عجيبًا؟"، فقال لي: "هذا الأخ لم أر مثله في حياتي"، فسألته كيف؟" فأجابني متأثرًا: "في أحد الأيام، وعندما كنا في شمال العراق مع أنصار الإسلام، وكان عمري أربع عشرة سنة؛ كان الأخ عبد الهادي يعطينا درسًا، وخلال المحاضرة كنتُ أترجم الكلام لبعض الإخوة العجم، وإذ بالأخ عبد الهادي يتساءل منزعجًا: "من هذا الذي يتكلم؟"، ظنًّا منه أنّ الغرض هو التشويش أو المقاطعة، فأجبته موضّحًا: "أنا أترجم للإخوة العجم"، فبدأ يبكي لأنه فهم الأمر خطأ، وراح يقبّل رأسي ويعتذر، وصار بعدها كلما قابلني، قبّل رأسي وبكى معتذرًا! فكان أخًا عجيبًا من طراز نادر -تقبله الله-، ولا نزكيه على

الله"، فقلت في نفسي: "إي والله، هذا الذي يجعل الشيخ أبا مصعب ينعيه ويتألم على فراقه، فهؤلاء هم الذين تربوا في مدرسة الزرقاوي، فنِعمَ المربّي، ونِعم الأبناء".

أبو عزام، عبد الله الجبوري

قال أبو حمزة: قد كان الشيخ أبو عزام يراسل أسد الرافدين وشيخه أبا مصعب بتقريرٍ مفصل يومياً عن أحوال الجبهات والمعارك والسلاح والإخوة، قتلاهم وجرحاهم وما لا بد منه، ويتلقى التعليمات والنصائح كذلك يومياً عن طريق أخٍ كريم بذل في ذلك مهجته. وكان من أمره قبل استشهاده بأيام أنه جاء إلى أميره أبي مصعب يطلب عملية استشهادية فرفض الشيخ، فقال: "والله يا شيخ لقد رأيت البارحة أن مناديًا ينادي يا أبا عزام أقبِلْ فإن أبواب الجنة فُتِحَت".

أبو علي الأنباري

عبد الرحمن بن مصطفى القدولي الحسيني الهاشمي القرشي

روى ابن الأنباري عن أبيه قوله: كم ندمت لما أمسيت نائبًا للشيخ أبي مصعب لم أبق ملازمًا له لفترة بسبب انشغالي في العمل. فرجل مثله صاحب خبرة وقع على تجربة الجهاد في بلاد الأفغان، قد كان آية في التواضع والشجاعة.

وقال: كان الشيخ الزرقاوي -تقبله الله- محبًّا لمدينة تلعفر ومثنيًا على أعمال إخوانه فيها، وقد كنا في اجتماع معه ذات مرة فطلب من أمير الأعظمية قتل رجل منها باسمه (كان من رؤوس المحاربين للتنظيم، ويتعامل مع الرافضة) ثم بعد شهر كامل اجتمعنا لمرة

ثانية، وإذا بأخينا لم يستطع قتل ذلك الرجل بعد. وبدأ يقدم أعذاره، وأن الرجل متحصن بين أهله وأقربائه، فقال الزرقاوي: تلعفر، تلعفر، من أين آتي بمثل تلعفر إلى الأعظمية؟؟

أمير المؤمنين أبو عمر البغدادي

حامد بن داود الزاوي الحسيني القرشي

ذكر في سيرته: بعد قدوم المشركين الأمريكان وأحزابهم، قام أبو عمر بالتحريض على جهادهم، وفي خطبه كان مجاهرًا بالحق وقتال المرتدين والصليبيين. وكون جيشًا في مدينة حديثة من طلابه وأهلها أسماه بـ(جيش الطائفة المنصورة). درب جنده على أنواع القتال والأسلحة، وتعاون مع إخوانه المجاهدين في الأنبار؛ فقاتلوا الكفار الأمريكان في الأنبار وأقضوا مضاجعهم. التقى البغدادي بأبي محمد اللبناني وأبي أنس الشامي –تقبلهم الله– ؛ بعدها التحق بجنده بجماعة التوحيد والجهاد تحت إمرة الأمير أبي مصعب الزرقاوي. التقى البغدادي بالأمير وأصبح من حاشيته وقضى وقتًا في ضيافة البغدادي. فأكثر الكفار من الجواسيس في غرب الأنبار لمعرفة المسلمين وأمرائهم، ففطنوا بشأن أبي عمر، وطلبوه لقتله أو سجنه.

انتقل أبو عمر إلى بغداد، وولاه الأمير مسؤولية الأمن فيها، فكشف جواسيس الصليبيين وترصد للكفار، فضيق عليهم وأعمى عيونهم. ثم ولي إمرة عامة على الولايات وعلى الأمراء والولاة فيما تمكن منه المسلمون في العراق. واشترط أبو عمر على من يلتحق بركبهم، أن يختبر دينه وعقيدته. ومن تدبيره لولايته أنه دقق في سير الجنود والأمراء، خشيةَ أن يزلوا في أمور تضر المسلمين.

أبو عمر الشامي

ذكر في صحيفة النبأ (١٧٥): بعد وصوله لإخوانه التحق بكتائب أمير الاستشهاديين أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله- وعلم أنهم بحاجة للانغماسيين والاستشهاديين فأقدم غير ملتفت للوراء رغم علمه أنه مقدم على أمر عظيم. ولم يكن لديه خبرة في قيادة السيارات فطلب من إخوانه أن يعلموه القيادة رغبة بتنفيذ عملية استشهادية ليثخن في أعداء الله. فبدأ بالتعلم رغم صعوبة التنقل والتضييق من قبل الصليبيين والمرتدين وكثرة الحواجز وتقطيع المناطق والأحياء بالكتل الخرسانية.

وبعد تعلمه توجه إلى الموصل بانتظار ساعة التنفيذ وقبل الموعد بأيام عدة خرج برفقة أحد الإخوة للتأكد من مدى جاهزيته فاعترضهم حاجز للمرتدين وبدؤوا بتفتيش السيارة فشكّ المرتدون بأبي عمر بعدما انهالت عليهما الأسئلة فأخذوه لمركز التحقيق ثم علموا أثناء التحقيق معه أنه من بلاد الشام ولرحمة الله به لم يعلموا أنه من فرسان الاستشهاد، ثم نقلوه بعد ذلك إلى (المحاجر السوداء) في مطار الموصل.

فبدأ الإخوة بتصبير بعضهم البعض وأن الفرج من الله وحده قريب. وأكمل أبو عمر في حفظه كتاب الله الكريم فتنقل بين السجون ترافقه نسخة المصحف التي كان يحفظ منها، حتى قدّر الله له النقل إلى سجن (بادوش) في الموصل. وهناك التقى بإخوانه المهاجرين والأنصار حيث أودعوه في قسم المهاجرين. وبدأ يتعلم من المجاهدين الذين التقاهم هناك علوم العقيدة وأحكام التجويد فزاده الله نورا فوق النور الذي كان يملأ وجهه وقلبه فحافظ على صيامه وقيامه وكان من أهل القرآن ولم يهمل عبادة الإعداد

للجهاد. وأثناء ذلك كان الشيخ أبو مصعب الزرقاوي -تقبله الله- يسعى لإخراج أسارى المسلمين من سجون الكفرة الصليبيين وأذنابهم المرتدين بأي وسيلة فجهّز سرية من الاستشهاديين والانغماسيين لاقتحام سجن بادوش وتحرير المجاهدين، بعد التنسيق مع بعض المجاهدين داخل السجن. فاقترب الفرج الذي كان ينتظره الصابرون المحتسبون إلا أن الشهادة كانت أسبق للشيخ -تقبله الله- ومع عظيم المصاب الذي ابتلي المجاهدون به لم يلينوا أو يهنوا فأكملوا المسير من بعده بقيادة الشيخ أبي حمزة المهاجر -تقبله الله-.

أبو فارس

قال أبو أنس: الأخُ الفاضل أبو فارس من عشيرة البوعبيد (من الجزيرة العراقية). أبو فارس فارسٌ لم تر العيون مثله، لقد قُدِّر لي أن أرافقه في بعض المشاهد فرأيت منه إقدامًا وشجاعة نادرتين. وأشهد أن الخوف لم يكن يعرِف طريقًا إلى قلبه أبدًا، لقد كان الخوف يخاف من قلب أبي فارس، وقد كان يتلهَّف على عملية استشهادية ويُلحُّ في ذلك. والشيخ أبو مصعب الزرقاوي يؤخره ويتأنى به ويدخره للمُلِمَّات، وكان لها أهلاً. بكى مرة في إثر عملية كبيرة كان قائدها وأصيب في رجله، فكان يبكي ويقول: لو كان فيّ خيرٌ لاصطفاني الله شهيدًا! هذا مع رقة نفسٍ وحُسن أدبٍ وتواضعٍ جمٍّ من غير كُلفةٍ وصفاء قلب لإخوانه. وتلك لعمر الله أخلاق الشهداء، وقد أنبتت صدق ولائه لربه ودينه حتى في وصيته التي كانت تفيض إيمانًا وتُقى، وقد ضمَّنها شرطاً عجيباً لا يخطر إلا ببال موحد خالص لربه ودينه. أوصى أبو فارس ألا يمشي أحد إخوانه في النسب -وكان شرطياً- في جنازته. و إلا فهو بريء ممن أذن له بذلك، فرحمة الله عليك أبا فارس

فوالله لئن سُئِلنا لنصدُقنَّ ولئن استُشهِدنا لنشهدنّ أنك كنت فارساً من فرسان الإسلام حقًّا. فالسلام على روحك في الخالدين.

أبو محمد اللبناني

مصطفى بن رمضان بن درويش

قال الزرقاوي: لبست ثيابي وامتشقت سلاحي عازماً على الخروج لتفقد إخوة العقيدة ورفقاء الجهاد والسلاح؛ وإذا بالأخ عبد الرحمن الأنصاري يخبرني بقدوم الأسد أبي محمد اللبناني ويستأذن بالدخول علي. وأبو محمد هذا أسد من أسود التوحيد وليث من ليوث الحمى لطالما ذاد عن الإسلام بسيفه، وخاض المعارك واقتحم الأهوال، ولم ينثن أبدا، صاحب عزيمة وقّادة وقلب كقلب الأسد، شارك في معارك القائم وراوة، مدينتان تقعان في العراق بالقرب من الحدود السورية وغيرهما، وكان معه في مقدمة الصفوف ابنه الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة، رامياً به في وسط المعمعة تلفحه وابنه بوهج نارها، ثابت ثبات الرجال، راسخ رسوخ الجبال.

صدق الله فصدقه -نحسبه كذلك-، فاصطفى الله سبحانه فلذة كبده عندما سقط صريعاً يتشحط بدمه رخيصاً في سبيل الله في معارك راوة، وبكى أبو محمد ابنه بكاءً مراً، لا لفقده -والله-، ولكن لعدم مرافقته إياه إلى الجنان، ولا زال محتسباً صابراً يقارع الكفار الذين جاسوا خلال الديار، رافضاً تبعات الخزي والعار وما زال. فأذنت له، ودخل مبتسماً كعادته لا يرفع طرفه حياءً، وعانقته وأخذت بيده، وأجلسته إلى جانبي، وتحدثنا ساعة عن تطورات العمل ومستلزماته، وعن الإخوة واحتياجاتهم (أنصاراً ومهاجرين)،

فقد كان أبو محمد المسؤول العسكري للإخوة.

وكنت ألحظ عليه –على غير عادته– شحوباً في وجهه، وحزناً يعلو ذلك الوجه الوضاء، فسألته: "ما بالك أبا محمد؟ هل ثمة شيء أحزنك؟". فنكس رأسه هنيهة مطرقاً، ثم رفعه، فإذا عيناه تذرفان! إنها لحظات صدق عالية، وشفافية عالية، فاض بها قلبه فسحّت عيناه حزناً وألماً، وحسرةً على وقوع رفيق دربه، وأنيس قلبه، وصاحب سره، الجبل الأشم (أبي عبد الله الراوي) في الأسر، فلطالما سارا سوياً على هذا الدرب، وكانا إخوة متحابين لا يكادان يفترقان، براءة في الإخوة وطفولة في المحبة وعذوبة في المودة. قالها أبو محمد، فحاولت أن أخفف عنه وأسليه بما فتح الله علي، فاستأذن للخروج فقمت وعانقته مودعاً، ولكنه كان ليس كأي وداع؛ وداعٌ أخذ معه قلبي وتركني حزيناً مهموماً، حُبست الدمعة في عيني، شاطرته الشعور وعشت معه اللحظات الأليمة، لأني طالما عشت هذه اللحظات، وأصبحت محطات في قطار حياتي.

رأى أحد إخواني في منامه: "أن إحدى يدي شلّت"، ولم يخبرني بذلك إلا بعد مقتل أبي البراء فيصل المطيري –رحمه الله–، فعلم أن الرؤيا قد وقعت فقصّها علي، أمسكت قلمي، وعزمت أن أخط مداده على ورقي، متجلداً صابراً، مذكراً أبا محمد وإخوانه قائلاً: "اصبر أبا محمد فوالله الذي نفسي بيده إني أرى بشائر النصر تلوح".

ذكر في صحيفة النبأ (٢٢): ما وهن أبو محمد وما لان مع كل ما أصابه بل واصل المسير يلملم الجراح مقررًا الثأر لابنه، فكان أول ما بدأ به نحر أحد الجاسوسين في الوقت الذي انتحر الآخر بتناول سم كان قد خبأه. عاد الغضنفر أبو الشهيد إلى المعارك، وذاع

صيته في كل أرجاء العراق. ففي كل مدينة كان له موطئ قدم حتى وصلت أخبار بطولاته إلى الشيخ أبي مصعب الزرقاوي، فأرسل إليه في الأشهر الأخيرة من العام الأول للغزو الصليبي، فدعاه إلى الانضمام إليه، فوافق على الفور ولم يتردد. بل قال: "عن مثل أبي مصعب كنا نبحث". فأصبح عضوًا في مجلس شورى جماعة التوحيد والجهاد وأميرها العسكري لفترة طويلة. فكان خير جندي لخير أمير، واضعًا بين يدي شيخه كل إمكانياته، فبات لأمير الاستشهاديين الشيخ أبي مصعب الزرقاوي –رحمه الله– الكلمة الفصل في المناطق التي ينشط فيها أبو محمد اللبناني ورفاقه.

كان الشيخ أبو مصعب كثيرًا ما يطلب منه أن يأتيه بأسرى أمريكيين، لما لذلك من تأثير كبير على الصليبيين. فحاول مرة مع مجموعة من المجاهدين قطع طريق مطار بغداد، وتحديدا على مقربة من جسر العامرية. وكان هناك رتل يضم مجموعة سيارات رباعية الدفع تابعة لـ(الاستخبارات الأمريكية CIA) فاشتبك معهم، ولم يتمكن من أسر أحد منهم، لأنه اضطر لقتلهم جميعا نتيجة شدة المعركة.

أبو محمد العدناني

طه بن صبحي بن فلاحة الحسيني القرشي

قال تركي البنعلي: دخل العدناني العمل الجهادي التنظيمي في بداية العشرينيات الهجرية، حيث بايع الشيخ أبا مصعب الزرقاوي –رحمه الله– في سوريا مع خمسة وثلاثين شخصاً، وانطلقوا بالإعداد لبدء قتال النظام النصيري آنذاك، قبل دخول الأمريكان العراق، فلما حصل الاحتلال الأمريكي للعراق، شد رحاله إليها، فتلقاه الشيخ أبو محمد

اللبناني -رحمه الله-. وكان من أهم المناصب التي شغرها:

١- مدرب في معسكر حديثة أيام التوحيد والجهاد.

٢- أمير حديثة بتنصيب الشيخ أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله- له.

٣- مدرب في معسكر الجزيرة.

٤- شرعي القاطع الغربي في الأنبار.

٥- المتحدث الرسمي لدولة العراق الإسلامية.

٦- المتحدث الرسمي للدولة الإسلامية في العراق والشام.

٧- المتحدث الرسمي للدولة الإسلامية (دولة الخلافة).

وقال: حُبس في سجون الأمريكان مرتين، وقضى في أحد محبسيه قرابة الست سنين، وقد وضع في خيمة الزرقاويين التي كانت تضم أبرز الأعيان الذين عرفوا بالخط الأول من المقاتلين حول الشيخ أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله-. له من الحظوة والمنزلة عند الشيخ أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله- ما لا يعلم به إلا الله، ومن ذلك أن أمير الاستشهاديين قال له: "لا تشاورني، فقط أطلعني".

أبو ميسرة العراقي

قال أبو عبد الأعلى المضري: كانَ أبو ميسرة العِراقي من أوائِل النّافرين، بهذا طافَ أبو ميسرةَ على أصْحابه، فجدّ واجتهد ونَفع الله به، وما هيَ إلا أيّامٌ والتحق بالطّليعة الأولى لجماعةِ التّوحيد والجِهاد، فكان -رحمه الله- مقرّبًا من الشّيخ أبي مصعب الزّرقاوي -رحمه الله-. وكان محبُوبًا عند من عَرَفَهُ، وكُلِّفَ بعد الإعلانِ عن الجَماعة نائباً لمسؤولِ القِسم الإعلاميّ، وناطقاً رسميًا عنِ الجماعةِ على شَبكة الإنترنت والمُنتديات الجِهاديّة

أعزَّ الله رجالها، ليلتفّ حوله الجيل الأول من المرابطين على ثغْر شبكة المعلوماتِ الدّولية.

أبو أحمد، طارق الوحش

قال أبو حمزة: كانَ من أوائلِ من انضمَّ إلى ركبِ التّوحيد والجهاد، بل من مُؤسّسيه وكانَ الشيخُ أبو مصعب -رحمه الله- يثقُ فيه ثقةً مطلقةً وكان أهلاً لذلك، كان بطلُنا عسكريًّا مُتمرِّسًا، فهو على خبرةٍ عاليةٍ في جميع الأسلحة الخفيفة والمتوسطة وكذلك عِلْم التّشريك والمتفجرات. فهو من أوائلِ من صنعَ الأحزمة النّاسفة، وطَوَّرَ تشريكَ السّيارات وأدخلَ الفتائل المتفجرة في التّشريك وأحسنَ استخدامها، كذلك كان له السّبقُ في تحطيمِ أوكارِ الكُفْرِ والردّة في بغداد وغيرها.

لما اشتدَّ الخطبُ وعرفَ الجميعُ قُرْبَ الاقتحام العام للفلوجة عرضتُ على الشيخ أبي مصعب -تقبّله الله وغفرَ له- أنْ يكونَ الرّجل المسؤول العسكري للمدينة، فوافقَ الشّيخُ على تعيينه مستشاراً عسكريّاً ورئيساً للجنة المساءلة والمتابعة، فقد كان طارقٌ جريئاً جدّاً يقتحمُ المهالك ولذا رفضَ الشّيخ تعيينه مسؤولاً واكتفى أن يكون مستشاراً فقط.

الحجي ثامر

ثامر بن مبارك الدليمي

قال أبو أنس: من الرمادي ومن أكبر عشائر الأنبار، من أبطال العراق الأماجد، وهو الذي أشرف على عملية قتل السفيه (باقر الحكيم)، وقد كان أحد أعمدة كثير من العمليات الاستشهادية إعداداً ومراقبةً وتجهيزاً هو والراحل الخالد حمزة أبو محمد -رحمهما

الله-.

قال أبو حمزة: وأما عن كيفية استشهاده؛ فبعد أحداث الفلوجة الأولى التي بدأت بعد مقتل الأمريكان الأربعة وإحراق جثثهم، كان الحاج ثامر على رأس مجموعة من المهاجرين والأنصار يرحلون في الصحراء والطرق الخارجية يلتمسون المأوى ويُغِيرون على العدو. ولما لاحت نذُر الهجوم على الفلوجة، نزلوا لحمايتها وعند بدء الحصار كان الحاج موجوداً مع إخوانه في المنطقة الصناعية وما جاورها، وبسبب قلّة عدد المجاهدين مع اتساع المنطقة وكثرة المنافذ، تمكن الأمريكان من دخول الحيّ، وفي منتصف الليل دار اشتباك عنيف بين الإخوة المجاهدين وجنود (المارينز) المتسلّلين فاخترقت رصاصة صدر أحد الإخوة، ورجع الحاج لينقذ أخاه فأصابه قناص في رأسه فسقط شهيداً -رحمه الله- ، وفي تلك الليلة نفسها.

حمزة أبو محمد

نضال بن محمد بن عربيات

قال أبو أنس: أنبل عشائر مدينة السلط في الأردن عاش في بواكير عمره حياة طيشٍ ثم أدركته رحمةُ مولاه فأحيا موات قلبه وأخذ بناصيته إلى أرض العزة والفخار في أفغانستان في ١٤٢٠هـ. وتلقى عدة دورات ثم انتقل إلى كردستان مجاهداً وقبيل سقوط النظام انتقل إلى بغداد والتحق بالأخ أبي مصعب الزرقاوي رفيقاً له في رحلة الجهاد في زمن الذل والاستعباد. كان -رحمه الله- مسعر حرب مقداماً لا يهاب، خبيرًا في المتفجرات وهو الذي جهز معظم سيارات العمليات الاستشهادية التي زلزلت أركان العدو وعملاءه في

العراق ولكن هذه الصورة الملطخة بالدماء تنقلب إلى نفس حانية وحياء عجيب وصمت عميق مع أهل الإسلام هذا إلى خفة روح ومرح ودماثة خلق وأدب ما خالطه أحد إلا وأحبه. وقد كان من أحب الإخوة إلى الأخ أبي مصعب الزرقاوي وكان بينهما علاقة حميمة نسجها التوحيد وشدّ معاقدها ذروة السنام وأخوة الجهاد. داهم الأمريكان داراً كانت قاعدة للإخوة المهاجرين في لحظة غفلة أمضاها الله عز وجل ليحق القدر المحتوم، واستطاع الإخوة أن يتسللوا وتخلف حمزة ليحمي ظهورهم وأكرمه الله فجندل عدداً من الأمريكان بمسدسه وكان نعم الرامي. وانهمر الرصاص كالمطر وصعدت روح فقيدنا إلى مولاه سبحانه طيبة طاهرة، وفاحت في البيت ريح المسك وتداعى الناس إلى شمها وبكت عيون الصغار والكبار وسرت روح الجهاد في المنطقة كلها وتلك لعمرُ الله سيرة النبلاء: علوٌ في الحياة والممات، حياتهم للأمة نصر وفتح، وموتهم للناس إحياءٌ وبعث. فرحمة الله عليك يا حمزة فلقد تركت فراغاً لا يملؤه أحد وأورثت القلوب لوعةً لا يسكن لهيبها إلا بلقياك هناك في الجنان -بإذن الله-.

ميسرة الغريب

محمد بن وائل بن حلواني

قال ميسرة: وصلتُ، فقُدِّرَ عليَّ -والحمد له على كل حال- ظرفٌ عَصيبٌ خرجْتُ به من مكاني حتى كِدْتُ أُخْرَج به من أرض العراق ونفسي تتلهف على البقاء، فعشت ٢٨ ساعة على أعصابي، أَتَنَهَّد تَنَهُّد المَلْهوف، وأَزْفُر زَفَرات المَصْدور، أدعو الله باسمه الأعظم أن يختار لي الخير، وأردد كلمات يونس في بطن الحوت، وأُكْثر من الاستغفار،

وإذ بالأمل ينبعث من مقبرة اليأس فتُلغى الإجراءات قبل ١٠ دقائق من موعد قطار السفر. وخلال ٢٤ ساعة أَجِدُ نفسي -في منطقةٍ لا أعرف ما اسمها- بين يدي أمير جماعة التوحيد والجهاد: أبي مصعب الزرقاوي. وكنتُ أتيتُ العراقَ راجياً أن يُكْرِمني الله بأشياءَ تنفع المسلمين وأكْسِب من ورائها أجراً إلا أن أمنيتي لم تَرْقَ إلى هذا المرتقى، خاصة وأني أعلم وضعَ الشيخ الحساس وأن أناساً قلائلَ هم الذين كانوا يلتقون به، لقد انقلبَتْ النِّقمةُ في ساعاتٍ معدوداتٍ إلى نعمة. وفي إحدى لحظات اللقاء ما استطاع بصري إلا أن يسارقني ليرجم الشك باليقين: أَحقًّا هذا الرجُل مقطوعُ الرِّجْل كما أكَّد الإعلام الأعرج؟!

ومن أَجْلِ إعلام الغرب الزَّنيم اضْطُرَّ الشيخُ أن يُظْهِرَ بعض انتصاراته وبعض كذبهم، فقد تناهى إلى سمعي قبل أن ألتقيَ بالشيخ أنه آثر الكمون أول الأمر بعيداً عن صَخَبِ البهارج والفخفخة من إعلانات وأفلام ونحوها. ويبدو أن الشيخ لا يحب أن يكون (كُنْتِيّاً)، حتى أنه تعمَّد أن لا يُصوِّر شيئاً من العمليات ضد الأمريكان لتبقى سراً بين العبد وربه، إلا أن إعلام الكفر السافر أبى عليه إلا أن يُخْرج شيئاً من الحقائق، فساقته الأحداثُ اليوم إلى الظهور في العراق رغم نفوره من الظهور، ولسانُ حاله: "مُكْرَهٌ أخاك لا بَطَل".

وقال: حتى أنني سألتُه في أول لقاء جَمَعَنا: "لو استقبلتَ من أمركَ ما استدبرتَ ماذا كنتَ تتمنى؟" فقال: "وددتُ لو أنني قُتلت في (خوست) في أفغانستان سنة ١٤١٠هـ"، فاسْتَفْسَرْتُه عن السبب، وقد تَمَلَّكَني العَجَب؟! لماذا يود أن يُقتَل آنذاك وقد يَسَّر الله

على يديه اليومَ ما لم ييسره على يد أحدٍ من ملايين المسلمين الخانعين! وإذ به كان يرى نفسه آنذاك أرقَّ قلباً وأصفى روحاً من الآن، فقلت في نفسي: لا تثريبَ عليك فقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام -وهو نبي- يُغان على قلبه فيَلْجأ إلى الاستغفار في اليوم مئةَ مرة.

وقال ميسرة: أول لقاءٍ بيننا: كان أول لقاء بيني وبينه مع مجموعة من الإخوة، وحين وصل إلى المكان الموعود كنا جالسين ننتظره، فلما دخل ومعه ابن الجراح -رحمه الله- بزِيِّه الأسود وبَسْطَة الجسم التي آتاه اللهُ إياها مع البسمة اللطيفة وهو يسلم على الحاضرين تذكرت ما جاء في الشمائل المحمدية: "مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ". فقلت في نفسي: يقسم الله لمن يشاء شبهاً مع حبيبه خيرِ بني عدنان، عليه الصلاة والسلام. وبدأ كل أخ يلقي عليه سؤالاً أو استفساراً ويجيب الشيخ -رحمه الله-. وكانت غالب أسئلة الشباب الجُدد عن العراق مستقبله وحاضره، فلما جاء دوري سألتُه: مَن أكثر ثلاث شخصيات أثَّرت عليك في حياتك؟ فسكت الشيخ قليلاً حتى خشيتُ أن أكون أحرجْته في السؤال، فاعتذرتُ منه؛ لكنه أكَّدَ مُبْتَهِجاً أن السؤال لا حرج فيه إلا أنه يُفكر! ربما لأنها أول مرة يُطرح عليه مثل هذا السؤال أو لحيرة قد تعتري المرء في اختياره لأول ثلاثة، ثم قال: فلان، وفلان، وأبو أنس. وكان الشيخ أبو أنس -رحمه الله- حاضراً، وأبو أنس معروف بفُكاهته ومرحه، فما أَنْ سَمِع هذه الكلمة حتى أَكَبَّ بوجهه وعَلَتْهُ سكينة وهدوء وكأن على رأسه الطير. ثم استرسل الشيخ -رحمه الله- قائلاً: أثَّرت فيَّ رجولتُه! لقد كان الشيخان -رحمهما الله- يحبان بعضهما حباً متميزاً، حتى أنني كثيرًا

ما كنت أسمع الشيخ أبا أنس يدعو: اللهم اغفر لأبي أحمد -إحدى كنى الزرقاوي- وأم أنس؛ فأنْعِم به من وفاء.

تعرفت على الشيخ الحبيب أبي أنس الشامي وحصل انسجام متميز ولله الحمد، فطلب مني أن أُعِيْنَه في تدريس الإخوة الذين كانوا يُعَدُّون للتدريس والوعظ في أنحاء المناطق، وأثناء هذا ذَكَرَني عند الشيخ الراحل فأزمع الشيخ على لقاء خاص كان هو الثاني بيننا، وكان من تقدير الله أنني وقتَها اطلعت على تقصير من أحد الأمراء مع أحد الإخوة وكتبتُ مُجْمَل التقصير؛ فحين التقينا تجاذبنا أطراف الحديث حول العمل الشرعي وتطويره وأشياءَ أخرى وكاشفْتُه بأمر ذاك الأخ، وبينما كان يطلع على الملف انهمرت دمعتاه وقال لي: والله ما كنت أدري بما فعل، ولو دريت لفعلت بالأمير ما توعد به الأخ! فلله دَرُّه ما أحرصه على العدل وأبعده عن الظلم!

ثم قال لي تلك الكلمة التي لا يزال صداها الرقيق في أذني: "أبا فلان، لا فراق بيننا"، وبعد قليل صعِدْنا السيارة وكان يجلس في الخلف حتى لا يراه أحد المارة وكان لا يفارق سلاحه، فسألني عن كنيتي -وكان اسمي غير الحالي- واستشففْت أنه يريد شيئًا فسألته: ما هي الأسماء التي تحبها؟ فقال: "ميسرة"، -وكنت كذلك أحب هذا الاسم-، فأخبرته أنني أحب هذا الاسم كذلك أكثر من الاسم الذي كنت متسمياً به، ثم قلت له: "ميسرة" أم "أبو ميسرة" ؟ فقال: "ميسرة الغريب"، وقد كان الشيخ -رحمه الله- يحب كلمة (الغريب) وأخبرني وقتَها أنه لا يحب كنية (أبي مصعب الزرقاوي) لكنه اشتهر بها، وكان قد سمى نفسه في أفغانستان (أبا محمد الغريب).

درر القلائد
في سيرة الزرقاوي القائد

باب الشهادة



مؤسسة صرح الخلافة

استشهد بقصف صاروخي على بيته الأمني، في الحادي عشر من جمادى الآخرة لعام ألف وأربعمئة وسبعة وعشرين.

من الرؤى قبل استشهاده

ذكر في بيان مجلس الشورى: يحدثني شيخٌ مجاهد عن رؤية رآها في ذلك الأسبوع، يقول: رأيتُ الشيخ وقد أتي بقدح من ماء فشرب ثُلثه أو نصفه -شكَّ الشيخ- وترك الباقي! فلعل المراد بقدح الماء؛ الجهاد، وما شربه الشيخ هو مدة جهاده نسبةً إلى عمر الجهاد في وادي الرافدين، والله أعلم.

ويحدث أخٌ مجاهدٌ كريم عن رؤياه فيقول: رأيت ليلةَ الأربعاء وكأن الشيخ جالسٌ في بيت وحوله قوم يخضبونه بالحنّاء! قلت: وهذه أوضح من سابقتها، قد رأينا تأويلها إن شاء الله، فالشيخ خُضِّبُ بدماء الشهادة ليلة الأربعاء وزفَّ إلى حور الجنان إن شاء مولانا الرحمن جلَّ وعلا. وحُدِّثْتُ عن أحد حراس الشيخ -رحمهم الله- أنه رأى ذلك البيت يفجر ويدمر، فأخبر الشيخ -رحمه الله-، فقال لا رادَّ لقضاء الله. وصدق أبو مصعب والله، فلا رادّ لقضاء الله.

قال أبو جعفر: ومرة كان الزرقاوي -تقبله الله- جالسًا مع إخوته، فقال أحد الإخوة: "يا شيخ، رأيت رؤيا"، فسأل الشيخ: "ما هي؟"، فقال الأخ: "وجدتك جالسًا في بيت داخل النخيل، ويداك مخضبتان بالحناء"، فقال له الشيخ: "هذا حتف أخيك"، أي: أنني سأُقتل وفعلاً، في نفس البيت داخل البستان الذي وصفه له الأخ: قُتِل الشيخ -تقبله الله-.

فصل في حادثة استشهاده

ذكر في بيان مجلس الشورى: بعد أنْ أفلسَ الصليبيون وأذنابهم وذاقوا مرارة الذّل والهزيمة والخُسران طوال ثلاث سنوات على أرض الرّافدين، أرادوا أن يحفظوا ماء وجههم مستخدمين حادثة استشهاد الشيخ الزرقاوي -رحمه الله-، حيثُ زَعَمَوا أن الأمرَ تمّ وفقَ متابعة وخطّة شاركت فيها مخابراتهم وأجهزتهم الأمنيّة بمساندة مخابرات دول الجوار، وغير ذلك من الأكاذيب الّتي لفّقوها، ونحنُ في مجلس شورى المجاهدين نُطَمْئِنُ أمّتنا أنّ الأمر محض قَضَاء وقَدَر، وأنّ البيتَ قُصِفَ كما قُصِفَت عدّة بيوتٍ في المنطقة ذاتها، وأنّ الصليبيين لم يكونوا يعلمون شيئاً، وفوجئوا بوجود الشيخ -رحمه الله- بعد نهاية القصف ووصولهم إلى المكان، وأمّا ما زعموه من أنّ الشرطة العراقية هي أوّل من وصلت إلى مكان الحادثة فهي كذبةٌ أخرى أيضاً، فقد روى أحد الحراس الشخصيين للشيخ -وهو الناجي الوحيد من الحادثة- أنّه كان يُراقب المنطقة خارج الدار، وبعد انتهاء القصف هرعَ إلى البيت ووجدَ جثمان الشيخ -رحمه الله- مطروحاً وَسْط ركامِ البَيْت وهو يقول: "أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنّ محمّداً رسول الله"، ثمّ غادرَ الأخ المنطقة إلى أحد المنازل القريبة وبعدها وصل الصليبيون إلى الدار.

ونحنُ نتساءلُ ها هنا: إذا كان الصليبيون يعلمون بوجود الشيخ قبل قصف المنطقة، فلماذا لم يقوموا بمحاصرتها واعتقال الشيخ؟!

ألم يكن ذلك سيمثل انتصاراً لآلة الدّعاية الأمريكية الكاذبة؟!

ألم يكن ذلك سيمثل ضربةً قاضيةً للمجاهدين عامّة ومجلس شورى المجاهدين وتنظيم

القاعدة في بلاد الرافدين على وجه الخصوص؟!

قال أبو جعفر: وها أنا أبسط خبر ارتقاء الشيخ -تقبله الله-؛ لكي أبيّن للعالم كذب المخابرات الأمريكية والأردنية. فعندما ذهبت مع الشيخ أبي مصعب الزرقاوي إلى موقع التصوير؛ وقف قبل أن نصل، وقال لي: "ارجع من هنا إلى عائلتي"، وكانت عائلة الشيخ تسكن معي في نفس البيت، وعانقني وقال لي: "يا أبا جعفر؛ سوف ترتاح مني، لقد أتعبتك كثيرًا"، ولم أعرف لماذا قال لي هذا الكلام؟! حتى رجعت وأخبرتني زوجته أنه رأى رؤيا، وقال لها: "سوف أذهب إلى التصوير، وبعدها والله أعلم: سوف أُقتل"، وكانت رؤيته مثل فلق الصباح.

فقد ذهب بعدها إلى ديالى، وكنت أراسله عن طريق البريد، ثم طلب الشيخ -تقبله الله- من (أبي عبد الرحمن الشرعي) أن يأتي إلى ديالى -وكان أبو عبد الرحمن مطلوبا للأمريكان-، وقد منعه الشيخ أبو مصعب من استعمال الهَاتف النّقال وحذّره، ولكنه تقدير الله تعالى؛ إذ خرج أبو عبد الرحمن من بغداد، واستعمل الهاتف المحمول، وكان مراقبًا من بغداد إلى ديالى، وعندما نزل في البيت: تم رصده، وضربته الطائرة كما ضربت مكانًا آخر، وكذا ضربت السيارة، ولا أحد يعلم أن الشيخ أبا مصعب في ديالى؛ إذ كان الأمريكان لا يقتلون القادة والأمراء، بل يسعون في طلبهم أحياء ولو دفعوا الثمن غاليًا؛ وذلك طمعًا في حصولهم على بعض المعلومات، ولكن هيهات أن يسلم قادة الأمة وأمراؤها أنفسهم.

وعندما جاء المرتدون، ونظروا إلى الجثث؛ قال أحدهم: "هذا أبو مصعب الزرقاوي"!

وكان الشيخ في أنفاسه الأخيرة، فأعطاه المرتد زجاجة ماء، إلا أن الشيخ أبى أن يشرب من مرتد، فأمسك بالزجاجة ورماها، وبعد نقله في الإسعاف: كان قد فارق الحياة، غير أن المخابرات الأردنية الفاشلة هوّلت وزمّرت، وقالت: "كنا نتابعه"، وهذا كذب منهم، يريدون منه أن يحسّنوا مواقفهم أمام أسيادهم الكفار، ويرفعوا من شأنهم أمام الأمريكان، وحتى يرضى عنهم اليهود والنصارى.

قلت: ذكر غير واحد من قادة الجنود الأمريكان في العراق: أنهم صبوا كافة مخابراتهم وجندهم مرة لقتله ومرة للقبض عليه خلال سنوات جهاده. وأن سبب الوصول إليه، أن أحد المعتقلين، ممن قبض عليهم قبل أشهر من قتله وكانوا عشرة ثم صفوا إلى خمسة، أخبرهم بمعلومة بكيفية الوصول إلى الزرقاوي وهو بمراقبة أبي عبد الرحمن الشرعي، حتى راقبوه لشهور وبعد وصوله المزرعة التي قتل فيها الزرقاوي رأوا عبر كاميرات الطائرات رجالاً لابسين السواد، وظهرت صورته معهم، فأُطلقت الصواريخ تجاه البيت. ولم يقتل الزرقاوي مباشرةً، بل بعد وصول الجنود الأمريكان بدقائق إلى المكان وجدوا سيارة إسعاف يقودها شرطي عراقي، فأخذوا منهم الزرقاوي ولم يمت بعد. أما قصة المعتقل فهي من كذبهم المعهود وحتى ينسجوا لأنفسهم نصراً مزوراً؛ لأنهم لم يظهروا صورته ولا اسمه وقالوا مرة: اسمه أبو علاوي وفي موضع آخر اسمه أبو حيدر، وأنهم لم يعذبوه بل حققوا معه بطريقة (محترمة!). والكذبة الأخرى قول قادة جند الأمريكان عند ذكرهم للحادثة: لم يشارك معنا أحد، وفي موضع آخر قالوا: شاركت معنا المخابرات الأردنية المرتدة بالمعلومات. وهذا مما يزيد التأكيد على بيان مجلس الشورى و أبي جعفر أن الزرقاوي -تقبله الله- لم يكن مقصوداً في هذه العملية بل أبو عبد الرحمن الشرعي -تقبله الله-.

بعد استشهاده

ذكر في بيان القاعدة في بلاد الرافدين: فقد اجتمع مجلس شورى تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين مباشرةً بعد استشهاد الأمير أبي مصعب الزَّرقاوي -رحمه الله-، وهذا ملخصٌ لمحضر هذه الجلسة:

١. أجمع القادة على مواصلة مسيرة الجهاد، وعدم تأثر التنظيم باستشهاد أميره -رحمه الله-، فالتنظيم قد اشتد عوده واستوى على ساقه، سقاه بالدم الطاهر أئمة الهدى؛ أبو أنس الشامي وعمر حديد وأبو عزام وعبد الله الرشود وأبو مصعب الزرقاوي، رحمهم الله جميعاً.

٢. تجديد معنى الإخلاص للمنهج وترسيخ ذلك في نفوس جند القاعدة، فمن كان يجاهد لأجل أبي مصعب فإنَّ أبا مصعب قد مات ومن كان يجاهد في سبيل الله فإن اللهَ حيٌّ لا يموت.

٣. تجديد البيعة لأمير تنظيم القاعدة أبي عبد الله أسامة بن لادن، وسيرى من جنده في العراق ما يُسِرُّ قلبه ويبهج خاطره -بإذن الله-.

٤. تثمين الموقف المتميز لأعضاء مجلس شورى المجاهدين حفظهم الله وبارك في جنودهم.

٥. الإعداد لعمليات كبرى تزلزل العدو وتقضُّ مضاجعه بالتنسيق مع بقية الفصائل في مجلس شورى المجاهدين، والخبر ما يرى أعداء الله لا ما يسمعون.

ذكر في بيان القاعدة في بلاد الرافدين: فقد اجتمعت كلمة مجلس شورى تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين على الشيخ أبي حمزة المهاجر ليكون خَلَفاً للشيخ أبي مصعب

الزّرقاوي -رحمه الله- في إمارة التنظيم. والشّيخ أبو حمزة المهاجر أخٌ مفضالٌ، صاحبُ سابقةٍ جهاديّةٍ وقدمٍ راسخة في العِلْم، نسألُ الله تعالى أَنْ يُسَدّدَ رَأيَهُ و أَمْرَه، وأَنْ يُتِمَّ على يديه ما بَدَأَهُ الشّيخ أبو مصعب -رحمه الله-.

وذكر في بيان لمجلس الشورى: كذبتانِ لا زالَ الصّليبيون وأذنابهم من أبناء المتعة والخونة المحسوبين على أهل السّنّة يرددونهما مُنْذ بداية الغزو الصّليبي على أرض الرّافدين؛ فأمّا الكذبةُ الأولى: فهي أنّ نهاية التيّار الجهادي في العراق أصبحت مسألة وقت، ولم يبق له إلا أيامٌ قلائل.

والثانية: أنّ العدوّ أصبح يعرفُ جميع المسالك والخطط المتّبعة للإرهاب وأنّهم استطاعوا الحصول على وثائق مهمّة. وقد جاءت تصريحات ابن المتعة موفق الربيعي -لا وفّقه الله- من قَبيل الكذبة الثّانية، حيث أعلنَ هذا الكذّاب الأشِر أنهم قد عثروا على وثائق مهمّة في البيتِ الّذي تمّ قصفه وتوفّي فيه الشيخ الزّرقاوي، نسألُ الله أن يتقبّله في الشّهداء.

ونقول ردّاً على (ابن المتعة) هذا: هل الوثائق الّتي أعلنتم العثور عليها هذه المرّة متوافقة مع ما أعلنتم العثور عنها في الشهر الماضي في اليوسفيّة جنوب بغداد؟!.

فإنْ كان جوابُهُ بـ (نعم) فلا قيمة لها هذه المرّة. وإن كان جوابه بـ (كلا)، وأنّها هذه المرّة وثائق مهمّة خطيرة، فليخرج إذاً هو وباقي أعضاء هذه الحكومة المحكومة خارج المنطقة الخضراء ولو لأمتار معدودة، لكي يُصدّق العالم بأسره أنّ نهاية الإرهاب في العراق أمسَت قريبة!

إنّنا في مجلس شورى المجاهدين نؤكّد أن الوثائق الّتي زعموا الحصول عليها لا أساس لها من الصِّحّة، وأن هذه الحكومة قامت على الكذب، وعاشت على الكذب، ولسوف تغرقُ قريباً في بحار كذبها حينَ يفرّ الصليبيون من أرض الرّافدين ويخرجون خائبين مدحورين -بعون الله-، وحينها يسمعُ القاصي والدّاني صريخ هؤلاء الأفّاكين إن بقيَ لهُم لسانٌ ينطِقُ.

قالت زوجته أم محمد: فوالله لقد كانت أمهات المجاهدين من أهل العراق خاصة إذا بلغهن نبأ استشهاد أبنائهن يقلن: "ما دام الشيخ أبو مصعب بخير فمصابنا بأبنائنا يهون". وما قام الجهاد ولا مضى القادة على ما مضوا عليه، ولا وصلوا إلى ما وصلوا له من النكاية بعدوّكم وإغاظته وإرهابه إلا من خلالكم فأنتم سواعدهم وأنتم عيونهم، لله درّكم وعليه وحده بركم. فكما أبررتموهم في حياتهم فلا تخذلوهم بعد موتهم. وكونوا على العهد ماضين، فإن شيخكم الحبيب بعد أن بدأت الحملات التفتيشية تتزايد عليه في الآونة الأخيرة حتى خصصت أمريكا وعملاؤها ثلاثين ألف جندي ويزيدون مهمتهم فقط البحث عن شيخكم، قلت له: ألا تخرج مؤقتاً خارج العراق وتتولى توجيهات قادتك من الخارج حتى تهدأ تلك الحملة وتفشل؟

فنظر إلي نظرة المستنكر الغَضِب وقال: "أنا! أنا! أأكون خائناً لديني حتى أخرج خارج العراق! لا والله لا أخرج من العراق إلا بالنّصر أو الشهادة".

هذا شيخكم قد وفّى مع ربّه ومعكم -أحسبه كذلك ولا أزكيه على الله-، فهل أنتم موفون؟

ورسالة أخرى أوجّهها إلى أهل وأقارب شيخنا وأميرنا الذبّاح أبي مصعب –تقبله الله ورحمه وغفر له–: أبارك لكم استشهاد ابنكم البار بكم وبأمته، الصادق الحازم، القوي الأمين، لقد كان لا يفتأ يذكركم ويدعو لكم، وكم كان في شوق كبير لرؤيتكم ولأنس الاجتماع بكم، حتى أنه قال لي يوماً بعد أن استخار واستشار في إخراج شريطه المرئي –وكنت أخاف عليه كثيراً من ذلك– قال لي: "الآن أخواتي وإخوتي وجميع أهلي يفرحون لرؤيتي بخير".

ومع أنه أحزنه ما أظهرته وسائل الإعلام من الحكومة الأردنية العميلة المرتدة من تصريحات بعض أفراد عشيرته بالتبرؤ منه ومما يقوم به إلا أنه كان يرجو في أبنائهم وشبابهم كل الخير وكان يدعو لهم؛ فالله الله في دينكم شباب العشيرة وأبناءها، وعظّم الله أجركم وأحسن عزاءكم واصبروا على دينكم حتى تلقوه في جنة الخلد التي لا وصب فيها ولا نصب.

ورسالة أخرى إلى كلاب الروم وحميرهم المستأجرة، نقول لكم: لا تظهروا الفرح والسّرور بمقتل شيخنا وأميرنا الذبّاح، ولا تتصنعوه أمام شعوبكم؛ لأننا والله نعلم أن موته أغاظكم كثيراً.

ولو كنتم صادقين في رصد أماكنه وتعقّبه من قبل شهر من مقتله لكان أحب إليكم وأشفى لصدوركم أن تأسروه ولكن هو الكذب الذي درجتم عليه، فالحمد لله الذي لم يمكنكم من تعقّبه ولا من الإيقاع به أسيراً.

فجعل الله تعالى موته إغاظة لكم، كما كانت حياته لكم إغاظة. وإنّه والله كان يلهج بالدّعاء في كل حين يطلب الشّهادة لا يفتأ، مع أنه كان من قبل يدعو ربه أن يطيل الله عمره ليُطاعنكم حتى يرى النّصر بعينيه والعزّة لهذه الأمة. لكنّه في الآونة الأخيرة كان يقول النّصر قادم لا محالة ولكني مشتاق للشهادة. فكان يستشعر بها ويستبشر حتى أنّه كان ينتظرها في كل يوم انتظار الذي بينه وبينها موعدٌ، رحمه الله تعالى وتقبله وغفر له.

وأزيدكم من الشعر بيتاً فإنه –وايم الله– كان يقول: سأظهر في الشّريط للأمة ليغتاظ من يغتاظ بكفره، ويُسر من يسر بإيمانه، وإنني والله أشعر أن الشّهادة بعدها هي موعدي. صدقَ الله فصدقه –أحسبه كذلك ولا أزكيه على الله–، فها هي أنواع الشهادة تبحث عنه حتى تلقاه بعد ظهوره للأمة بأقل من شهرين لينال بضربكم له شهادتين لا واحدة.

فالحمد لله أن رزقه الله تعالى بأيديكم ومن دونكم أقصى أمانيه، وإنها والله لهدية أهديتموها إياه من حيث تشعرون أو من حيث لا تشعرون. ويكفيه عزّة وشرفاً، ويكفيكم قهراً وكمداً أنه فتح عليكم بابًا لن يُوصَد، ألا وهو (الذبح) الذي سَنّه رسولنا ﷺ وجدّد هو فتح بابه عليكم، حتى أنه في عيد الأضحى السابق قلت له ألا تضحي؟ فقال لي –رحمه الله وتقبله وغفر له–: "ومن أين لي المال! أنا لا أملك ثمن أضحية، ولكن لعل الله يرزقني بعلج أمريكي فأتقرب إلى الله بذبحه".

ها هو الأضحوكة موفق الربيعي، الذي لا يفرق الألف من الباء ولا الذّكران من النّساء؛ خرج ببلاهته ليكرّر في لقاء تلفزيوني على القناة العميلة (العربية) أنهم ينتظرون

نتيجة الحمض (المنوي) ليتعرفوا على القتلى، يا للفضيحة! حمض منوي!! هذا هو الذي تفوّه به هذا الدّعي، لا يفرق بين كلمة (نووي) من (منوي).

قال أبو مارية القرشي: كان من قدر الله ومنّه أن أصِلَ إلى بلاد الرافدين قبيل شهادة أميرنا أبي مصعب الزرقاوي –رحمه الله– ببضعة أسابيع، فآثرت الانضمام إلى تنظيم القاعدة والبيعة لأميره –رحمه الله– بالسمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره. وقد أمضيت لأسابيع مع أحد كتائب المجاهدين، فخالطت الأنصار والمهاجرين، و هذه خواطر سريعة عن حال الإخوة، كنت قد أعددت مسودتها قبل استشهاد أميرنا رحمه الله:

١- تلقى الإخوة في مجموعتنا خبر استشهاد الأمير –رحمه الله– برباطة جأش منقطع النظير، وما لقيت أحداً إلا وقال: نحن نقاتل من أجل المنهج لا الرجال، وقد جمعتني اليوم جلسة طيبة بأميرنا ورجاله تحت ظل شجيرة، فذكّرهم بوجوب السمع والطاعة لأميرنا الشيخ أسامة بن لادن ومن يقوم بتوليته على أهل العراق، وذكرهم بأن قتالنا لم يكن أبداً من أجل أبي مصعب بل إننا أصحاب منهج، وأمرهم من الإكثار من الطاعات في هذه الأيام وكثرة الاستغفار.

وقد أعجبني حماس الإخوة لمواصلة العمل وفرحهم لنيل أميرهم شرف الشهادة.

٢- لفت نظري المعنويات العالية لشباب وشيوخ التنظيم، فلا تخلو مجالسهم من طرائف وذكريات عن غزواتهم المظفرة، فترى الشباب يضحكون ويمزحون وينشدون، حتى لكأن السكينة والطمأنينة قد غشيتهم.

٣- مواظبة الإخوة على رواتب الصلوات وركعتي الضحى، وقد سألت شيخنا عن ذلك، فأخبرني أن الشيخ أبا مصعب -رحمه الله تعالى- كان قد أوصى الإخوة باستخدام سلاح الطاعة والعبودية لمواجهة العدو الكافر، مستحضراً في ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية: "القلوب الصادقة والأدعية الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب"، وقد رأيت الذُلَّ و الانكسار للملك الجبار في لهجة هؤلاء الأخيار.

٤- انتشار السنة والتوحيد في المناطق التي يسيطر فيها المجاهدون، فترى الإنسان البسيط يحدثك عن ردة الحرس الوثني وعن قصص تدمير الأوثان (القبور والمشاهد الشركية) في قريته والنواحي حولها، فإذا قام إلى صلاته عجبت من جمال صلاته وإتيانه بالأركان والواجبات والسنن التي يجهلها كثيرٌ ممن يدعي العلم!

فمن عاش مع هؤلاء القوم فَهِم تلك العلاقة الأصيلة بين التوحيد والجهاد، فمن أحب الجهاد كهؤلاء الناس تأثر بأهل الجهاد و صار موحداً، ومن تعلم التوحيد على الوجه الصحيح صار مجاهداً.

٥- حرص الإخوة على معرفة الأحكام الشرعية وعدم تهاونهم في ذلك، وقد رأيت الإخوة يلقون القبض على جاسوسٍ قد شارك في قتل المجاهدين فلا ينفذون حكم الله فيه حتى يعرض الأمر على المحكمة الشرعية وتبتَّ في شأنه. و ما حلَّ شيخنا في مكانٍ إلا واجتمع حوله الإخوة يطرحون عليه مسائلهم ومشاكلهم ويطلبون المزيد من الكتب والمحاضرات.

٦- كنت أظنُّ المهاجرين كلهم من علية طلبة العلم، ففوجئت أن غالبهم شبابٌ بسطاء قد صحت فطرهم وعقولهم، فلم تلتبس عليهم الأمور الجلية الظاهرة من دين الله، فهاجروا إلى أرض الرافدين يبتغون الذود عن دين الله وأعراض المسلمات، ولا يظنن ظانٌ أن معنى كلامي هذا هو عدم وجود طلبة علم كبار من المهاجرين ولكنهم كالملح في الطعام، وقد مضى كثيرٌ منهم إلى ربه، ولا ننسى أبا أنس الشامي وعبد الله الرشود وغيرهم كثير و لله الحمد.

٧-كثرة الجواسيس الذين باعوا دينهم بعَرَضٍ رخيص، وقد تمكن الإخوة في قاطعنا من كشف العديد من شبكات التجسس في الأسابيع الأخيرة وتنفيذ حكم الله فيهم.

٨- العشائر هم وقود المعركة، وقد كرّم الله الكثير من أبنائهم بالشهادة، وقد رأيت العجب العجاب من جلد القوم وصبرهم وعظيم كرمهم، قد صيّروا من دورهم ملاجئ للمجاهدين من مهاجرين وأنصار، فشاركوهم الدار والطعام، وتحملوا مخاطر وآلام هذه النصرة.

٩- حسن سياسة المجاهدين وتعاملهم مع أهل المنطقة التي يتمكنون من السيطرة عليها، فيظهرون اللين أحياناً والشدة أحياناً؛ كلاً في موضعه.

١٠- خبرة المهاجرين القدماء بأرض العراق وعشائرها و جمعوا إليها خبرةً واسعةً في المجال العسكري، وقد رأيت كثيراً منهم قد صار من القادة الميدانيين الّذين يشار إليهم بالبنان.

١١- معرفة قادة المجاهدين بأهمية العمل الإعلامي ودوره في الصراع مع معسكر الكفر، ولكني رأيت بعض الإخوة المجاهدين لا يحرص -مع الأسف- على تصوير غزواتهم، فكم من غزوة قاصمة لظهر العدو قد فوّت الإخوة توثيقها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٢- ألمُ الإخوة المهاجرين من حال مشايخ السوء -في بلدانهم- الذين لم يكتفوا بالسكوت عمّا حلَّ بأهل السنة في العراق من حيف بل وزادوا على ذلك تخذيلاً و صداً عن سبيل الله تعالى.

١٣- تقدم أمراء المجاهدين وطلبة العلم للصفوف وخوضهم غمار المعارك بأنفسهم، و قد تعلموا من الشيخ أبي مصعب رحمه الله تعالى حكمة بليغة يلهجون بها و هي "إذا أردت أن تكون إمامي فكن أمامي"، ورحم الله أبا حفص النجدي الذي استشهد في اقتحام سيطرة للحرس الوثني، وكان رحمه الله من خيار طلبة العلم وتوّاقاً لطلب الشهادة، والأخ أبا الحسن النجدي الذي جمع بين الغزو والإثخان في أعداء الله وبين فتح الدورات الشرعية التي خرجت العشرات من طلبة العلم الذين توزعوا على كتائب المجاهدين مرشدين ومعلمين.

فصل في من رثاه من الأمراء وأهل العلم

رئيس مجلس شورى المجاهدين أبو عمر البغدادي[١]: فَلَيْسَ بِالجديدِ أَنْ يَترَجَّل فارسٌ مِنْ فُرْسانِ الميدَانِ للقَاءِ رَبِّهِ وَ أنّىَ لهُ أنْ يَتخلَّف عَن نِداءِ مَوْلاهُ إِذَا شَاءَ أنْ يَتّخِذَه شَهِيداً و يتقبّلهُ سعيدًا. فَأبْشِرِي أمّة الإسْلامِ بِرحيلِ قائِدٍ مِنْ قادَةِ المجاهِدينَ؛ أَبِي مُصعبٍ الزّرقَاويّ، القَائدُ المقْدَامُ وَالأَسَدُ الهُمَام، الذِيْ أرْعَبَ عَدوّهُ وَكَسَر شَوْكَتَه وَهَزَم رُوحَهُ، لا يَهدأُ وَلا يَهنأ، يُتَابع المَيْدانَ وَيُشرفُ عَلَى مُجرياتِ الأمورِ وَمُسْتجدّاتِ الأحْداثِ مع إخوانِهِ فِي سَاحَاتِ المُواجَهةِ، يَخِيطُ الليلَ بِالنهارِ دُونَ كللٍ أو مَللٍ، لا تَسْتَطيعُ إِن أردْتَ أنْ تَتحدّثَ عَن إقْدامِهِ وَشَجَاعتِهِ وَثَبَاتِهِ وَيَقِينِهِ أنْ تَفِي حَقهُ نحسَبه كَذلِك وَالله حَسيبُهُ.

وَ لا أرِيدُ أنْ أتَحدَّثَ عَنه فِي هَذهِ العُجَالةِ إِنّما أرِيدُ أَن أوجّهَ مِن خِلالِ هَذهِ الكَلِمَاتِ رَسائِلَ ينبغِي أنْ لا تُغْفلَ فِي مثل هذا الحَدَثِ الكَبير. فَرسالةٌ للأمّة الإسْلامِيّةِ أَجْمَع أقولُ مِنْ خِلالِهَا؛ إنّ الله تَبارَكَ وَ تَعَالى جَعل طَائفةً مِنْ هَذه الأمةِ تحملُ لواءَ الجِهادِ مَنْصُورةً ظَاهِرةً لا يَضُرّها من خَذَلَهَا.

وَ هَذَا القائِدُ المُبَارَك نَحْسبهُ مِن هَذا الخَير وَ تِلكَ الطائفةِ وَالله حَسيبُهُ، شَخصٌ بِأمّة وَرَجلٌ بِمَلايين، اسْتطاعَ بِسِيرَتِهِ العملية وَ جِهَادِهِ أنْ يَكْسِرَ شَوكَةَ الصّليبيين وَيَصُدَّ زحفَ الصّفويينَ وَ يقطعَ رُؤُوسَ المُرتَدّين.

---

[١] عبد الله بن رشيد البغدادي الثاني.

لَكن السّاحةُ العِراقِيةُ لَنْ تَعْدمَ مِثلَه فَفِي الوَقت الذي أهنِّئُ فِيهِ الأمّةَ بِاستشْهَادِ هَذا البَطَل أبشّرُها بِوجُودِ الكَثير -بِإذنِ الله- فِي الميدانِ من أمْثالِهِ وَعَلَى مَنْهَجِهِ، وَ لَنْ يَكُونَ هَذَا الحَدَثُ إلا دَافعَ قُوةٍ وَمُحَرِّكَ هِمةٍ فِي طَرِيقِ الجِهَادِ وَدَربِ الاسْتشهادِ فَمِنْ صِدقِ جِهادِنَا اسْتشْهَادُ قَادَتنا، وَ لا يَعنِي فَقدُ هَذا القَائِدِ عَرْقَلةَ مَسِيرةِ الجِهَادِ أَوْ تَبَاطُؤهَا فَهُو وَإِنْ قَضَى نَحْبَهُ وقُتِلَ، إلا أنّ الجِهَادَ مَاضٍ إلى يَومِ القِيامَةِ لا يضُرّه وَلا يُؤَخّرهُ وَلا يُضْعِفُه رَحيلُ قَائدٍ مِنْ قَادَاتِهِ بَل هُوَ دَرسٌ وَرِسَالةٌ لكُلّ القَاعِدِينَ مِنْ عُلمَاءِ الأمّةِ وَدُعَاتِهَا وَمُخْلِصِيهَا أنْ يَنهَضُوا لِحَملِ المسؤُوليّةِ، وَ أَنْ يُراجِعوا سَلْبِيّتَهم وَأَن يُقيّمُوا مَواقِفَهم وَ عَطَاءهُم لِهَذا الدّينِ وَ يَرَوا بعَيْنِ البَصِيْرةِ سُننَ الله في رَفْعِ مَن يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ اخْتِيارِهِ لِخِيارِهم أَوْلِياءَ وَشُهَدَاء.

فَأيْنَ أصْحَابُ الثّوَابِتِ وَالثّبَاتِ، وَ أينَ رِجَالُ المَيدَانِ وَالتّضْحِياتِ، فَالأمّةُ في مَعْرَكةٍ شَرِسةٍ مَعَ أعْدَائِها صَليبيين وَصفَويينَ وَمُرْتَدّينَ تَحْتاجُ إلى أنْ يَقِفَ لَهَا عُلَمَاؤها وَدُعَاتُها ومخلِصُوها وِقْفةَ رَجلٍ تُهْزمُ عِندَها كُل المُخططّاتِ وَ تَفْشَلُ مِن خِلالِها كُلُّ المؤَامَرات.

إنها هي رسالة لِجيلِ الأمةِ؛ أنْ يَنفُضَ عَنْهُ غُبارَ الوَهَن (حُبَّ الدّنيا وَكَرَاهِيةَ المَوت) وَ أن يَنْهَضَ لحَملِ مَسؤوليةِ الأمةِ في جِهادِ أعداءِ الله فَما جرَى مِنْ كَسرِ شَوكَتِهِم عَلى يِدِ أبي مُصعبٍ -رَحِمَهُ الله وَ تَقبلهُ في الشّهدَاءِ- دَليلٌ لا يخالُه شكٌ أنّ الأمةَ إذا أرادَ أحدُ أبنائِها أنْ يَنْهضَ لحملِ الرّايةِ فلن تَعدَمَ خَيراً وَ سَيفْتحُ الله عَلَيهِ بِما فَتح عَلى ذَلكَ القائدِ المغوَار.

ثُمَّ هِيَ رِسَالَةٌ إلى المجاهدين فِي خَارِجِ العِرَاقِ وَ دَاخِلِهِ؛ تُؤكّدُ عَلَيهِمْ بِأَنْ نَتمسّك وأنْ

نلتزِمَ بِأصُولِ وَثَوَابِتِ المنهَجِ الحقّ و ألَا نَتعلّق فِي جِهَادِنا بِذَواتٍ وَ قِياداتٍ مَهمَا كان موقِعُها وأيّاً كان دورها.

فتَمسُّكنا وَتعلُّقُنا إنّما يَكُونُ بِدِينِنا وَتوْحِيدِنا. وَأنا وَ إنْ كُنْتُ وَاثقاً -بإذنِ اللهِ- أنَّ قَتْلَ هذا القَائِدِ الحبَيْبِ لَنْ يَزِيْدَ إِخْوَانَهُ وَ أتْبَاعَهُ إلا تَمَاسُكاً وَتَرَابُطاً وَإِقْدَاماً وَثباتًا عَلى المنْهَجِ، إلا أنّني أوجّهُ هَذِهِ الرّسالةَ تأسّيًا بِدرسِ أُحُد وَ تَذْكيراً بِهِ فَأقول: قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيه أَبو مُصعَب -رَحِمَهُ الله- وَعَسَى أنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَ يَجْعَل الله فِيهِ خَيْرًا كَثِيرا.

ثُم هِي رِسالةٌ إِلى أعْدَاءِ الله صَليبيّينَ وَصَفَويّينَ وَ مُرْتَدين؛ إن اسْتِشهادَ هَذا القَائِدِ لَنْ يُغيّرَ فِي سَاحَةِ المُواجَهَةِ فِيْ شَيءٍ بَلْ سَيَزِيدُهَا قُوّةً وَشَرَاسَةً، وَإِنّ هَذَا القَائِدَ قَعّد قَوَاعِدَ وَأرْسَى أعْمِدةً، وَ لَنْ يَكُونَ فَقْدُهُ عَامِل ضعفٍ بل سَيكونُ رَمزاً يَقْتاتُ المجاهِدُونَ مِنْ سِيرتِهِ وَثَباتِهِ وَشَجَاعتِهِ وَقِتالِهِ وَقَتلِهِ؛ مَا يُغني عَن وُجُودِهِ -بِإذنِ الله-. وَ سَتشهَدُ الحُكُومَة العمِيلةُ وَالقُوّاتُ الصّليبيةُ حَقيقةَ ذلِكَ، وَسَتُدْرِكُ تَماماً هَذهِ الرّسالةَ فِي قَابِلِ الأيّامِ فَلَنا مَعَهُم صَوْلاتٌ وَجَوْلاتٌ يَتذوَّقُونَ فِيْها مَرَارَةَ القَتْلِ وَيَتجرَّعُونَ كَأسَ المَوتِ وَ يَجُرّونَ أذْيَالَ الهَزِيمة.

ثُم إنها هَي رِسَالةٌ أوجّهُهَا إِلى أهلِ السُّنةِ دَاخِلَ العِرَاقِ؛ أنْ يَحْفظُوا لِهَذا القَائِدِ مَكَانَتَهُ وَأنْ يُربُّوا جِيْلَهُم عَلى مَوَاقِفِه وَجِهَادِهِ وَرُجُولَتِهِ فَهُو الّذِي ضَحّى وَبَذلَ وَأعْطى وَمَا بَخِلَ، تَرَكَ الأهْل وَالوَلدَ قَاطِعاً الفَيافِي وَالمسافَاتِ، يُدَافع عَنْكُم وَ عَن حَرَائِرِكُم وَ عَنْ دِينِكُم.

و أخِيْراً فإِنّ مجلسَ شُورى المجاهِدينَ فِيْ العِرَاقِ بِكُلّ فَصَائِلِه وبجمِيع قِيادَاتِهِ وَجُنْدِهِ

يُبَشِّرُ الأمّة ويُؤكّدُ لها أنّ فَقدَ أحدِ أعضاء هذا المجلِسِ المُباركِ لَنْ يَزيدَهُ إلا قُوةً وَ تَمَاسُكاً وَ لنْ تَرَى الأمّةُ مِنْهُ إلا مَا يَسُرُّها في جِهَادِهَا وَ لَنْ يَرى عَدوّنا إلا مَا يَسُوءُهُ –بِإذنِ اللهِ–.

قلت: اعتقل الأنباري -تقبله الله- في ربيع الأول قبل استشهاد الزرقاوي بشهرين وكنيته في مجلس شورى المجاهدين (عبد الله بن رشيد البغدادي)، وغالب الظن أن من تولى إمارة مجلس الشورى نائبه أو ما اختاره أهل الحل والعقد وهو أبو عمر البغدادي -تقبله الله-، و من باب السياسة الشرعية ولاعتبارات أمنية أُبقيت نفس الكنية للأمير الجديد.

قال أبو حمزة: مِن أبي حَمزَةَ المهاجِر إلى أمّتي الغالية؛ لا يَخفى عَليكِ ضَراوةُ المعركةِ الّتي تدورُ بينَ جُندِ الحقِّ وبين جندِ الباطِلِ مِنَ الصليبيينَ والرَّوافضِ والمرتَدينَ على أَرضِ الرَّافدين. أعوامٌ ثلاثةٌ مضت؛ أذاق فيها أبناؤكِ المجاهدون الأعداءَ مرَّ الهزيمةِ والهوان، وبإذنِ اللهِ وَصَلَ أبناؤك مرحلةَ الحسمِ ولم يبقَ لعدوِّنا إلَّا أَن يولينا ظهره –إن شاء اللهُ تحقيقاً لا تعليقاً–. إنَّ أبناءكِ في بلادِ الرَّافدين بخيرٍ، وهم اليومَ أقوى عزيمةً وأكثرُ ثباتاً وأشدُّ بأساً مِن أيِّ وقتٍ مضى، ومهما تحزَّبَ الكفارُ ومهما بلَغَ جمعُهُم فهوَ مخذولٌ مدحورٌ وأنفهُ ينزفُ دماً كما اعترف قادتُهم بذلك.

في كلِّ يومٍ منذ ثلاث سنوات يدَّعون أنَّ المعركةَ على وشكِ أن تنتهي ويؤمِّلونَ شعوبَهم بذلك، وتأتي الضَّرباتُ ويشاهدُ العالمُ غزواتِ المجاهدين المظفرة لتؤكِّد لهم أنَّ المجاهدينَ يتقدمونَ في كل يومٍ خطوةً وأنَّ معسكرَ الكفرِ في تقهقرٍ مستمرٍ وانهيارٍ متتابع.

أمَّتي الغَاليةَ؛ لقد رأيتِ كيفَ أنَّ عدوَّكِ الصَّليبي باتَ يتوسلُ بالقواتِ المتحالفةِ معَهُ ألَّا تنسحبَ وتذرَهُ في الميدانِ وحيداً، وأضحى يستغيثُ بالدُّول الأوروبية ويستنجدُ

بطواغيتِ الدُّولِ العربيةِ لإخراجهِ ممّا صارَ يُعرَف بـ (المستنقع العراقي). أمّا دُمَى المُرتدينَ والمنافقينَ فقَد حارَ فيها، يُقدِّمها تارةً ويُؤخرها تارةً أُخرى، فمرَّةً يأتينا بمجلس حكمٍ محكومٍ ومرّةً بحكومةٍ انتقاليةٍ مُعيَّنةٍ، وبعد هذهِ وتلك جاءنا بلعبة الديمقراطية ودَجَلِ الانتخاباتِ التي استقدمت له خدمَهُ الرَّوافض وأدعياء السّنة من الَّذين خانوا اللهَ ورسولَهُ، مُستنفِذاً بذلكَ كلَّ خياراتِهِ ولَم يبقَ أمامَه غيرُ الاعترافِ بحقيقةِ المأزقِ الذي سيق إليه وأُركسَ فيه بمكرٍ من ربنا عظيم. هي ذي المرحلةُ الأخيرةُ ولن ينفعَهم جمعُهم، ولن تغنيَ عنهم فئتُهُم من اللهِ شيئاً.

أمَّتي الغالية؛ إنَّ أبناءَكِ اليوم مستبشرونَ بنعمةِ الله وفضلهِ إذ خصهم بالجهاد وأكرمهم بالنيل من أعدائه.

أمَّتي الغالية؛ نقولُ لمن خذلكِ من المحسوبين على أهلِ السُّنة وباع نفسه للصَّليبيين ووضع يده بأيدي الروافض الحاقدين محتجاً بذرائعَ واهية وتأويلاتٍ باطلة: سَتَرونَ –بإذنِ اللهِ– ماذا أعددنا لكم جرَّاء خيانتِكم وردتكم، فسيوفنا مشرعةٌ على رقابِكم ولن تفَرِّقَ بين مرتدٍ وآخر. لقد فَضَحَكُمُ اللهُ يومَ مددتم حبل النّجاة للروافض وأنتم تعلمونَ مدى حقدهم على أهل السُّنة ومقدار جرائمهم اليومية بحقِّ عوام أهل السُّنة من النساء والأطفال فضلاً عن الشُّيوخِ والشَّباب، وأتيتم بثالثة الأثافي ونهاية الخِسة يوم رشّحتم جَزارَ مدينةِ العز (الفَلوجَة) لمنصب وزير الدِّفاع.

إنَّ يوم القصاص قريبٌ ولن تغني عنكم بروجُكم المشيدة داخل المنطقة الخضراء. ونقولُ لأحفَادِ ابنِ العَلقَمي؛ يا مَن أشركتم بربِّ العَالمينَ، وطَعنتُم بعِرضِ خيرِ المرسلين،

وشَتمتُم الصحابة المكرمين، وتفانيتم في خدمة الصليبيين. بدأه معكم شيخُنا أبو مصعبٍ -رحمه الله-، ولنقاتلنّكم حتى تكون كلمةُ التوحيد هي العليا وكلمةُ طواغيتكم هي السُّفلى.

أمّا أنتم أيُّها الصليبيون؛ فإنَّ بيننا وبينكم أياماً تشيبُ لها مفارقُ ولدانِكم، ومعاركَ ستكشفُ عن زيفِ قوَّتِكم وخَوَرِ جنودِكم وتفضحُ كذَّابَكم الأَشِر. فلا تأخذنَّكم نشوةُ الفرح بقتل شيخِنا أبي مصعب -رحمه الله-، فإنَّه قد تركَ أسوداً، ربّاهم على عينه، وتدربوا في عرينِهِ، هم أصحاب منهجٍ وعقيدةٍ، فلا يقاتلون إلَّا للهِ وفي اللهِ وباللهِ.

أمة الإسلام و جحافل الجهاد؛ ها هم أعداء الله تعالى يعدون العدة و يحثون الخطى لضرب مدينة الإباء و ثغر الرباط مدينة الرمادي الكريمة بأهلها وعشائرها، فأين أنتم مما يُعد لأهلنا هناك؟ لا خير فينا إن خلصوا لهم و فينا عرق ينبض، فَحَيَّهَلَا على مقارعة أعداء الله تعالى ورد كيدهم عن إخوتنا ومساجدنا وحرائرنا.

قال الملا محمد عمر: بكل حزن و نيابة عن مقاومة الشعب الأفغاني المقدسة أقدم التعازي، بشهادة أخينا البطل المجاهد أبي مصعب الزرقاوي -رحمه الله-، إلى الأمة الإسلامية كافة. و لكن من ناحية أخرى نعتقد و بكل تأكيد أن شهادة الزرقاوي لن تؤثر على المقاومة العراقية ضد الاحتلال الصليبي الأمريكي البريطاني لأن مقاومة العراق جهاد ومقاومة للشعب العراقي فالآن كل شاب عراقي هو اليوم الزرقاوي حيث أن الزرقاوي ما كان يعرفه أحد قبل ثلاث سنوات ولم يكن قائدًا ولا بطلاً و لكن اليوم الزرقاوي درب الآلاف من المجاهدين الأبطال في العراق للجهاد والمقاومة ضد الاحتلال

وهؤلاء الأبطال سيواصلون السير على منهج الزرقاوي الشهيد. نحن نعلن ونؤكد بأنه إذا استمر الاحتلال الصليبي الأمريكي وحلفاؤه في احتلال الدول الإسلامية، استمر كل فرد من الأمة الإسلامية بالدفاع عن عقيدته وعرضه ووطنه إلى آخر رمق من حياته – بإذن الله سبحانه وتعالى– ومن هنا أعلن وأؤكد مرة أخرى بأن مثل هذه الحوادث لن تؤثر على مقاومة المجاهدين الأبطال لا في العراق ولا في أفغانستان ولا في أية دولة أخرى ضد قوات الاحتلال الصليبي الغربي.

قال أسامة بن لادن: فلقد فُجعت أمتنا الإسلامية بفارسها المقدام، أسد الجهاد، ورجل الحزم والسداد؛ أبي مصعب الزرقاوي (أحمد الخلايلة)، إثر مقتله بغارة أمريكية آثمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فنرجو الله أن يكرمه بما تمنى فيتقبله في الشهداء، ويجزل له المثوبة والعطاء، ويحسن لأهله و ذويه العزاء.

أيها المسلمون؛ إن المصاب جلل، والخطب عظيم، ونَحُثُكُم على الجميل؛ وهو الصبر، ونُرَغِبُكُم في الجزيل؛ وهو الأجر.

أمتنا الإسلامية الغالية؛ لئن أحزننا فراق الأحبة، أبي مصعب وصحبه، فقد سرنا أن أنفسهم سالت في هذه الملاحم العظام وهم يذودون عن شريعة الإسلام، ولئن أُصِبنا بِفارِسٍ من أعظم فُرسانِنا و أميرٍ مِن خيرَةِ أُمَرائِنا، فقد سَرَنا أننا وجدنا فيه رمزاً وقدوةً خالدةً لأجيال أمتنا الماجدة، وسَيذْكُرُه المجاهدون ويدعون له، ويثنون عليه شِعرًا ونثرًا، سِرًا وجهرًا، سَنُثْني عليه بما عَلِمْنا.

مضى أبو مصعبٍ رافعَ الرأسِ، عزيزَ النفسِ، حُراً أبياً، كريماً وفياً، لم يعط في دينه

الدنية، ولم يَنَمْ على الضيم أبداً، ولم يُداهن في الحقِ أحداً، عزيزاً على الكافرين، رحيماً بالمؤمنين، مُحرضاً على القتال، و مجاهداً في سبيل الدين.

وكان -رحمه الله- مَحَلَّ محبة أصدقائه، وتقدير أعدائه، فالمنصفون منهم شهدوا له ومدحوه، ولا عجب. اقتدى أبو مصعب بنبينا محمد ﷺ، واقتدى بمن مضى قبله بساداتنا؛ بمُصعبٍ وعمر وعلي وجعفر، رضي الله عنهم أجمعين، فخاض غِمار الحرب مُبتسماً، فرفع الله شأنه، وأعلى ذكره، وصار أُسوَةً لمن بعده.

مضى أبو مصعب -عليه رحمة الله- وقد فتح الله عليه؛ فأسَسَ قاعدة للدفاع عن الدين، ولاسترجاع فلسطين -بإذن الله-، وأخذ بثأرٍ للمستضعفين هناك، حيث أثخن في الأمريكيين حلفاء اليهود ودوَّخَهُم؛ فقتل رِجالهم، وصَدَّع بُنيانهم، واستنزف أموالهم، وشتت شملهم، وأذل كبرياءهم، حتى تجرأ عليهم الداني والقاصي، والطائع والعاصي، فدخل التاريخ من أوسع أبوابه فَشرَّفه، وأخذ بيد العالم إلى طريق العزة فعرّفه، بإصرارٍ وحزمٍ وإباء، فخُلِدَت سيرته مع سير أعلام النبلاء.

إن أبا مصعب علَّمَ البشرية دروساً عملية في كيفية انتزاع الحرية، فالحرية لا تُوهب للخانعين تحت قباب الديمقراطية، وعلَّمَ البشرية التمرد على الطغاة، في زمن استَبدَ فيه الطاغوت الأكبر فرعون العصر، بوش وصحبه، وداسوا على جميع القيم والمواثيق، ولكم في غزو العراق وسجن غوانتانامو عِبرة، فأرهبوا الناس، واستذلوهم بالنار والحديد، وعاملوا الرؤساء معاملة العبيد.

لقد جاء فرعون العصر إلى العراق لا يبالي برفض ومظاهرات البشر، الذين قالوا له:

"لا لسفك الدم الأحمر من أجل النفط الأسود"، ولكنه احتقر العالم أجمع، وتقدَمَ إلى العراق مُستكبِراً، مُتَغطرِساً بجنده وعتاده، مُتَصوراً أن أسد الشرى قد مُسِخُوا، وأن رجال الإسلام قد خَنَسوا، بعد أن قدَّمَ له حُكام العَرَب مِن مُلوكٍ ورؤساء آيات الطاعة والولاء، والمذلة والاستخذاء، وكلٌ منهم يُحسِسُ على رأسه؛ متى يكون دوره لِيوضَع في رَمسِه. هَجَمَ العدو على العِراق فجعل يعسف بالناس عَسفاً، و ينسِفُ القرى نسفاً، وأزيز الطائرات قد ملأ الآفاق، وصمَّ الآذان، و انفجارُ البارودِ قد نَشَرَ الحُتوف، وأزكَمَ الأُنوف، وكانت الجبالُ تهتزُ وتميد من شدة القصف، فبلغت القلوب الحناجر، ولاذ أولو البأسِ والنُهى بأحلاسِ بيوتهم، ولم يحرِّضوا بِقول، ولم تحملهم أقدامهم من شدة الهول، واشرأب الباطل، ونَقَضَ المنافقون العهود، ووقفوا في خندق النصارى واليهود، وصار المسلمون كالغنم الشاتية، في ليلة مطيرة بأرض مسبَعَة. وفي ظل تلك الأجواء الرهيبةِ الكئيبة، التي تَرى فيها أشباه زعماء ولا زعماء، وأشباه علماء ولا علماء، وأشباه رجال ولا رجالًا، إلا من رحم الله، في تلك الظروف العصيبة المزلزلة ظهرَ فارس الإسلام أبو مصعب الزرقاوي.

ظهر ومعه ثلة من المؤمنين، كانوا سبعة عشر رجلاً، وليسوا سبعة عشر جيشاً، فتواثقوا وتعاهدوا، وعاهدوا الله تعالى أن ينصروا دينه، أو يهلكوا دونه، رِجالٌ و الرِجالُ قليل. ومن سيقاتلون؛ مثلهم في العدد أو مثليهم؟! كلا، أو حتى عشرة أمثالهم؟! كلا، إنها أمواجٌ كأمواجِ البحرِ من العتادِ وجنود الشر، ولكن من عَظُمَ حق الله في قلبه و رُزِقَ التوحيد تَميدُ الجبال الرواسي ولا يميد، فتَرَجَّل فارِسُنا حاملاً الراية، وعزَمَ على القتالِ إلى النهاية، فإما يذوق ما ذاقَ جعفرٌ أو يذوق النصر.

فخاضوا غمار الحرب، وبدؤوا الضرب، وذلك بعددٍ يسير من الكلاشنات، وعددٍ يسير من ألغام الدبابات، وعددٍ يسير من مدافع البازوكا، وكان أبو مصعب قد جاء مع بعض إخوانه في الفترة الماضية إلى الجهاد ضد الروس، فسابق إخوانه حتى سبق المتقدمين، ونطَقَ فَبزَّ الناطقين، وبمجيئه وإخوانه إلى أرض أفغانستان أخذوا تطعيم معركة ضد القوى الكبرى، وزالت من أذهانهم أسطورة الدول العظمى، ونقلوا الجُرأة الكبيرة المتوثبة، والمعنويات الهائلة، من أفغانستان إلى بغداد، وأشعلوا فتيل الجهاد، وتفجرت طاقات الشباب في كل مكان، من أعلى الفرات إلى أسفله، ولله الحمد والمنة.

هذا هو فارسنا الذي نتحدث عنه، قام بكل ذلك بعد توفيق الله له؛ بإمكانيات ذاتية بسيطة، ولم يكن وراءه حلفٌ دولي، ولا تحالفٌ إقليمي، ولا تنظيمٌ عالمي، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسعٌ عليم.

نعم هذا هو فارس الإسلام الذي نتحدث عنه، والذي قام في وجه فرعون العصر، في وجه الإمبريالية الأمريكية، بعد أن فشلت المنظماتُ الدولية، والتجمعاتُ الإقليمية، بعد أن فشل العالم أجمع في إيقاف ذلك العدوان الغاشم الظَلوم.

وهنا ندعو الله أن يجزي خير الجزاء فارسنا المقدام، وأن يجزي خير الجزاء كل من عزّانا وواسانا في فارسنا العظيم -رحمه الله-، ونخص بالذِكر أمير المؤمنين الملا محمد عمر، فنرجو الله تعالى أن ينصره وإخوانه المجاهدين على الكافرين. ثم إنني أقول لمن يتهم فارس أمتنا بأنه يقتل بعض فئات الشعب العراقي، أقول له؛ إذا جاءك من يدَعِي أن رجلاً فقأ عينه فتريث حتى ترى المدَعَى عليه، فلعل المُدَعِي قد فقأ عينيه!

وهذا ما بدأ يزداد وضوحاً في الأسابيع الأخيرة، حيث تحدث النائب محمد الدائن عن حجم الظلم والتعذيب الذي يُمارس ضد المسلمين في السجون العراقية، كما تحدث كذلك من قبل قادة هيئة علماء المسلمين عن حرب إبادة يتعرض لها أبناء الإسلام في العراق.

وإن أبا مصعب، عليه رحمة الله، كانت لديه تعليمات واضحة؛ بأن يركز قتاله على الغزاة المحتلين وعلى رأسهم الأمريكيون، وأن يُحَيد كل من رَغِبَ في الحياد، وأما من أبى إلا أن يقف يقاتل في خندق الصليبيين ضد المسلمين، فليقتله كائناً من كان، بغض النظر عن مذهبه وعشيرته، فمناصرة الكفار على المسلمين ناقضٌ من نواقض الإسلام العشرة، كما هو مقررٌ عند أهل العلم.

ثم إني أقول لبوش؛ يجب عليكم تسليم جثمان البطل لأهله، ولا تُكثِروا الفرح، فالراية لم تسقط بحمد الله، وإنما انتقلت من أسدٍ إلى أسد مِن أُسدِ الإسلام، وسنواصل –بإذن الله– قتالكم وحلفائكم في كل مكان، في العراق وأفغانستان، والصومال والسودان، حتى نستنزف أموالكم، ونقتل رجالكم، وترجِعوا مهزومين –بإذن الله– إلى بلادكم، كما هزمناكم من قبل بفضل الله في الصومال.

كما أقول لوكيلك في الأردن؛ كفاك استبداداً، فقد منعت أبا مصعب الدخول إلى موطنه حياً، فلا تَحُل بينه وبين ذلك الآن، وأولى الناس بالخروج من الأردن هو أنت؛ إلى الحجاز فتلك بلادك وبلاد آبائك قبل أن تُنَصِبَ بريطانيا جدك عبد الله الأول عميلاً لها على الأردن، وما يُخيفُكَ من الزرقاوي –عليه رحمة الله– بعد أن فارق الحياة، إلا لأنك

تعلم أن جنازته إن تُرِكَ المسلمون وشأنهم فيها فستكون -بإذن الله- جنازةً كبيرة، تُظهِر مدى تعاطف المسلمين مع أبنائهم المجاهدين.

وفي الختام أقول؛ إن أبا مصعب -عليه رحمة الله- لا يشرف قبيلته ووطنه وأمته فحسب؛ بل يشرف البشرية جمعاء. فقد جسَّدَ لها معاني العزة والإباء، والتضحية والفداء، وإن سيرته مادةٌ قيِّمَة لنموذجٍ مُعاصر، فإن دَرَست الدُنيا سيرته العطرة تعلَّمَ أبناؤها كيف يصنَع الإيمان بالله الرجال، ليقاوموا أهل الظلم والضلال، وحريٌ بكل مُربٍّ وكاتبٍ وروائي أن يقتَبِسَ من سيرته ما يُحيي به الأجيال الناشئة والأجيال القادمة.

قال أبو عبد الرحمن العراقي: من أبي عبد الرحمن العراقي إلى أمة الحبيب عليه الصلاة والسلام؛ إنا نبشركِ باستشهادِ شيخنا المجاهد -بإذن الله- أبي مصعب الزرقاوي على أرض الرّافدين، الّتي فتحها عمر الفاروق -رضي الله عنه- وجُلّلت بدماء الصحابة والتابعين، ثمّ جلّلت بدماء المهاجرين والأنصار طوال ثلاث سنوات؛ منهم الشيخ أبو أنس الشامي والشيخ أبو عزام العراقي، وها هو اليوم شيخنا أبو مصعب -رحمه الله-.

إننا نؤكّد لأمّتنا أنّ ما أصابنا كرامةٌ لك يا أمّتي، وإنّ الفتح بإذن الله قريب، فإن أمة الحبيب ولودةٌ والأمل باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما أُصيبت الأمّة مثل موت نبيها عليه الصلاة والسلام، ولكن استمرت بالعطاء والفتوحات والقتال حتّى تكون كلمة الله هي العليا، واستمرت الأمة بإنجاب الرّجال تلو الرّجال حتّى يومنا هذا، فأنجبت الأمّة في العقود الماضية شيخنا أسامة بن لادن، والشيخ أبا مصعب الزرقاوي -رحمه الله-، وستنجب الأمّة -بإذن الله- تعالى الرّجال الرّجال، وإنّ هذا الدّين محفوظ، والله

متمّ نوره ولكنّ الصليبيين والروافض والمرتدين ومن معهم لا يعلمون.

إنّ موت قادتنا حياةٌ لنا ولا يزيدنا إلا إصراراً على مواصلة الجهاد حتّى تكون كلمة الله هي العُليا، فإنّنا نجاهد طاعةً لله عزّ وجل وتعبّداً إليه فإنّها من أعظم الطاعات في مثل هذه الأيام. وإنّ الله أكرمنا في الأشهر الأخيرة بالاجتماع مع إخوتنا بتشكيل مجلس شورى المجاهدين بإمرة شيخنا عبد الله بن رشيد البغدادي وكان لشيخنا –رحمه الله– الأثر الطيب في إنشاء هذا المجلس ليكون النّواة الأولى لدولة الإسلام الّتي سَتقام –بإذن الله– على أرض الرافدين.

إنّنا نعاهدُ الله على المُضيّ لإقامة شرعه على هذه أرض الرافدين أو نهلكَ دونه، ونقول الله لأمّتنا لن تُؤْتَيَ بإذن الله من قبلنا، ونقول لشيخنا وأميرنا أسامة بن لادن إنّ جندكَ في تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين ماضون على نفس الخطّة الّتي رسمتها لشيخنا أبي مصعب، وسنُكمِلُ مسيرة شيخنا وأميرنا أبي مصعب –رحمه الله–، وبيننا وبينهم حربٌ سجالٌ وسيرى الذين كفروا لمن عاقبةُ الدّار.

قال أبو يحيى الليبي: فاليوم قتل أسد من أسود الإسلام، واستشهد بطل من أبطال التوحيد، فمضى بذلك أحد مسعري الحروب، فالق هامات الروم، الصارم المسلول على أعداء الدين القائد المجاهد أبو مصعب الزرقاوي –رحمه الله تعالى–، فطويت بذلك صفحة مشرقة من صفحات التاريخ المعاصر، والتي سجلت أسطرها بمداد الدم وخطت كلماتها بنور العزم ودبجت أحرفها بلآلئ الإيمان.

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي، قتل كما يقتل الرجال في ساحات الوغى،

ومضى كما يمضي البواسل بين قراع الصوارم، فودع الدنيا مهاجراً مجاهداً ثابتاً مستيقناً، لم تمله عواصف المحن أو تكسره صوارف الزمن، فلطالما خاض المعامع غير هياب، وتقحم المخاطر دون تردد أو ارتياب، فكم طارد الموت في كل موطن، وقرع أبوابه في كل محفل، فلم يزل يطلبه ويسعى له حتى نال شرف الممات كما اكتسى قبله ثياب العزة والشهامة في الحياة.

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي ليثبت بالبرهان القاطع أن الكلمات النيرات التي كان يبعثها لأمته ويقتطعها صدقاً وإخلاصاً من صميم قلبه لم تكن مجرد دعاوى فارغة أو عبارات مزخرفة أو خطب رنانة، وإنما كانت منهجاً وعقيدة ومبدءًا تسفك من أجله الدماء وتتطاير لإحيائه الأشلاء وتوهب لإعلائه الحياة، فلم يكتف بأن يكون دليل صدقه جهده وعرقه وسهره حتى جعل مسك ختامه روحه ودمه، ليقول للعالم كله؛ إن عقيدتي وديني ومنهجي أغلى وأعلى من كل شيء حتى ولو كانت نفسي التي بين جنبي، والبينة ما رأيتم وعاينتم لا ما سمعتم وخُبرتم.

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي، ولكن هل يفقه أعداؤه الذين صفقوا لموته أنهم قد قدموا له أعظم أمنية وأشرف هدية وأسمى غاية كان يطلبها؛ إنها الشهادة في سبيل الله، وهل بعد الشهادة مطلب.

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي، ولكن كلماته لم تمت، وفكره لم ينبتر، كيف؟ وحب الجهاد والاستشهاد والتضحية الذي زرعه في قلوب الشباب لم يزل ينمو ويزهو ويخضر ويثمر، حتى صار الاستشهاديون شباباً وشيوخاً رجالاً ونساءً صفوفاً تترى.

ومن هنا فإني أقول؛ لقد أحسنت العزاء لأمة الإسلام يا وغد العراق (نوري المالكي) حينما قدمت الخبر، بقولك: "إلى كل الزرقاويين"، فها أنت قد علمت أن وراء الزرقاوي؛ زرقاويين لم يموتوا، فكرهم فكره، وعقيدتهم عقيدته، وطريقهم طريقه، لن يغيروا ولن يبدلوا، سبيلهم الجهاد، وزادهم الصبر، ودافعهم الشوق للجنات.

فليعلم عبدة الصليب، وسلائل الخيانة، ورُضع النذالة، وعملاء اليهود الذين تبجحوا بمشاركتهم في مقتل الشيخ؛ أن انتفاشتهم لن تطول، وأن نقمات المجاهدين ستتوالى عليهم صواعقَ يتبع بعضها بعضاً، وأن الثأر لكل قطرة زكية من دم القائد المجاهد سيكون باهظاً وثقيلاً وعاجلاً، وأن هذه المفاخرة التي قرت بها أعين أسيادكم الكفرة ستكون لعنات مُرة تعضون عليها أصابع الندم فانتظروا إنا منتظرون.

فيا أمة الإسلام، ها هو أحد أبنائك البررة الأوفياء، الذين صدقوا في الانتماء إليك والغيرة عليك والحرص على عزتك وعلو شأنك، قد قدم حياته ثمناً لرفعة دينك وتمكين شريعتك وتخليصك من ذل العبودية والتبعية للعبيد، فلتكوني وفية له بالمضي على طريقه، والاستمرار في دعم أصحابه وأنصاره بالنفس والمال والدعاء.

ولتعلمي أن الشيخ أبا مصعب -رحمه الله-؛ ما قتل طالباً عرضاً من الدنيا، ولا حرصاً على متاعها، ولا تكالباً على زهراتها، فنفسه وهمته أسمى من أن تهبط إلى هذا الحضيض الوضيع، وهو الذي تنفس نسائم العز في ساحات الوغى، وعرف بحق عزة المؤمن بدينه وعقيدته فلم يبغ بها بدلاً، فسلك هذا السبيل صابراً مجتهداً يذلل الصعاب ويكسر القيود حتى بوأه الله تلك المنزلة السامية.

فأحسن الله عزاءكم، ولتعلموا إخوتي الأحبة: أن هذا الدين؛ دين الله، وقد تكفل بحفظه وتولى أمر بقائه، وما استشهاد الشيخ المجاهد إلا حلقة من حلقات الابتلاء التي يختبر الله بها عباده المؤمنين، ليظهر توكلهم عليه، وثقتهم به، وثباتهم على دينه.

ولتعلموا إخوتي الأحبة أن أعظم وفاء لهم -بل لا وفاء إلا به- هو الثبات على طريقهم والاستمساك بمنهجهم الذي قتلوا فيه وضحوا من أجله، وإياكم وبنيات الطريق، فلقد تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فصل في ما قيل فيه من الشعر والنثر

قال أبو الليث الليبي: أما أنت أيها الجبل الأشم، أما أنت أيها الصخرة العتيدة العنيدة على الكفار والمرتدين والأعداء والصليبيين..

أما أنت يا رافع اللواء، أما أنت يا إمام هذا الدين في هذا الزمان، أما أنت يا قرة العين ويا لب الفؤاد...

أما أنت يا من أسرتنا، أما أنت يا من أخلصنا لك حبك لله عز وجل..

أما أنت يا زرقاوي، يا زرقاء العين..

أما أنت يا زرقة القلب، أما أنت يا زرقة السماء..

أما أنت يا نجمًا في الأفق..

اللهم تقبل منه.. نسأل الله عز وجل أن يتقبل منك.

والله ما سمعت كلمة من كلماتك إلا لقنتني فيها في هذا الزمن دروسًا ودروسًا، والله إن الله قد أعطاك فاحذر أن تجحده، والله إن الله قد رفعك فاحذر أن تجهل سنن إسقاط الله عز وجل لأمثال الرفعة.

الله الله في عملك، احذر يا أخي أبا مصعب، والله إنا نراك في هذا الزمن إمامًا من أئمة الدين نسأل الله عز وجل أن يمكن لك دينك في قلبك نسأل الله عز وجل أن يثبّتك، والله إنك لرفعتنا رفعة، والله إنني لأحمد الله عز وجل صباح مساء أنه في يوم من

الأيام أحببتني في الله، والله ما فخرت بشيء بعد الإسلام والجهاد كما افتخرت بحبك، اللهم إنني أحببته فيك خالصًا اللهم إنني أشهد ولا أتألى عليك وأحسبه وأنت حسيبه يا رب العالمين عبد من عبادك ولي من أوليائك رجل من رجالاتك أسد من أسدك، أبى أن يعيش الذل ورفض أن يبحث عن الأعذار، بل ما ترك بابًا للمنية إلا اقتحمه نسأل الله عز وجل أن يقحمك كما اقتحمت في الدنيا منايا الموت وجميع أبوابها نسأل الله أن يدخلك في الجنة من جميع أبواب الجنة يوم القيامة.

ذلك يوم الفخر يا أخي، احذر يا أخي احذر غضب الله عز وجل كما هو غاضب علينا، احذر مقت الله عز وجل كما هو ماقت علينا، احذر ترك معية الله عز وجل كما نراها متروكة فينا، احذر يا أخي والله إننا فرحنا بمعية الله لك، احذر يا أخي أن تغرك الشمس فتغتر بظلك، احذر يا أخي والله إنك لرجل هذا الدين في هذا الزمان، والله بقدر حبنا لك بقدر خوفنا عليك من نفسك، احذر العُجب، احذر الكبر، احذر الرياء، احذر احذر احذر. وبإذن الله الله ينصر. يا أخي والله إنك في العراق وما أدراك ما العراق ذات الأحاديث الطِوال وذات الأمجاد العراض العِظام.

الله الله يا فالجة الخير، الله الله يا زرقاوي..

أستودعك الله أخي أبا مصعب..

وقال أبو الليث: الحديث عن أبي مصعب شخصه وحياته ثم ما من الله عز وجل عليه وأفضل، من قيادة الجهاد -ليس في العراق إنما في العالم الإسلامي- وتحويله إلى هذه الحالة التي نعيشها ونقلتنا نقلة كبيرة. الحديث عن أبي مصعب ذو شجون؛ فأبو مصعب الزرقاوي عاش في قلبي كأخ قريب حبيب، وعاش في قلبي مجاهدا، وعاش في قلبي زاهدا عابدا، لا تخطئه العين في مواطن الرباط، وكذلك يفتقد في المواطن التي ينأى بها كل مسلم عن نفسه. قليل الكلام، كثير الفعال، يجلس المجالس الطوال في تجمعات المجاهدين، لا تكاد تراه رافعًا رأسه حياءً، يغضي حياء. أبو مصعب الزرقاوي لا يغضبه شيء بالكاد، إلا محارم الله إذا انتهكت، مقتديًا بنبيه ﷺ.

عندما سمعت بنبأ مقتل أبي مصعب، -نسأل الله عز وجل أن يسكنه الفردوس الأعلى- أغمي علي، وفقت ثم سمعت الخبر مرة أخرى، وأغمي علي مرة أخرى. أبو مصعب بغير أنه أخ وقريب من قلبي، كنت أتمنى من الله عز وجل أن يبقيه للأمة. دائمًا كنت أقول لإخواني: قادة الجهاد وعظماؤهم ثلاثة في هذا الزمن: الشيخ عبد الله عزام -نسأل الله أن يسكنه الفردوس الأعلى-، هو الذي أحيا في الأمة الجهاد وحول قضية أفغانستان من قضية إقليمية قطرية، إلى قضية تجمع إليها كل المسلمين من كل حدب وصوب، فلا تكاد تسأل عن بلد إسلامي في جهاد أفغانستان إلا ووجدت منه مسلمين. ثم الرجل الثاني والعظيم الثاني: هو الشيخ أسامة بن لادن، وجهنا نحن المجاهدين إلى عدونا الحقيقي، وإلى رأس الكبير الذي إذا ضُرب وقطع، لا يستطيع أن يقوم أعضاؤه. والثالث: هو أبو مصعب الزرقاوي نقل الجهاد من أطراف الصراع الحقيقي، إلى بؤرة

الصراع وهي العراق. كما كان ينادي أبو مصعب: نحن على مرمى حجر من الحرمين الشريفين مكة والمدينة، ونقاتل في العراق، وأعيننا مصوبة إلى البيت المقدس إلى المسجد الأقصى. فالله عز وجل أكرمه بأن دخل للعراق شريدًا طريدًا، فكان مع إخوانه المجاهدين في العراق كان لهم الدور الأسمى والأسنى في استنهاض الأمة، وتحويلها من العبث واللهو، ومن أن الجهاد عبارة عن فضول أوقات، وفضول أعمال، وفضول أموال، إلى عمل أساسي رسمي لا بد من القيام به حتى نصل إلى الدولة المباركة (دولة الإسلام). عمره في إمامة الجهاد وقيادة الأمة قصير، لم يتجاوز ثلاث سنوات؛ ولكن الذي يعرف ما قدمه ويعلم ما كان قبل جهاد أبي مصعب وقيادته للأمة، وما بعده يعلم ويعرف ما قدمه أبو مصعب من عمل جليل عظيم يجب أن يحترمه ويجب أن يقدره كل مسلم. نقول للأمريكان: إن قتلتم أبا مصعب، فإن هناك أجيالا أنشأها أبو مصعب ستحاربونهم، وستكون حياة أبي مصعب خيرا من حياة قاتليه، وسيكون عمر أبي مصعب أطول وأكثر بركة وأعظم من عمر قاتليه، والتاريخ شاهد وحكم، وبإذن الله من تركهم وراءه لم يتركوكم.

قال أبو حمزة المهاجر: أرسَل إليّ الشّيخ أبو مصْعَب –رحمهُ اللهُ– بعد إصابته رسالة مُداعباً ومُعاتباً قلّة همّتي فيْ رسائلي إليه، وممّا قال: "أين شعرك في إصابتي، فلو كنت محباً حقاً لكتبت"، فأجبته قائلاً:

طَلَبَ الْفُؤادُ مِنَ الْفُؤادِ قَصِيْدَةً ... وَعَلامَةً أنِّي أُحِبُّ أكِيْدَا
فَأجَابَهُ إنَّ الكَلَامَ مكبلٌ ... بَيْنَ الدّمُوعِ عَلَى الحَبِيْبِ وَئِيْدَا
تَاهَتْ حُرُوْفُ قَصِيْدَتِي بَيْنَ الْأسَى ... وَ تَنَاثَرَتْ فَوْقَ الجُرُوْحِ خُلودَا
حَتَّى تَمَلّحَتْ عُيونِي فَجْأةً ... بِرسَالَةٍ كَانَتْ عَلَيَّ وُرُوْدَا
و تَعَانَقَتْ كَلِمَاتُنا وَتَرَاقَصَتْ ... قَالتْ هَنِيْئا بِالثّوَابِ حَصِيدَا
أبْقَى الحْكِيمُ بِمَا يَسُوءُ حقودَهُمْ ... حَتّى يُعِيدَ ضِرَابَهُ ويَسُودَا
يَرْعَى خِرَافًا للذّئابِ فَرِيْسَةٌ ... وَيُهَدْهَدُ الحْمَلَ الرَّضِيعَ سَعِيدَا
وَيُمِيطُ عَنْ وَجْهِ الكَفُوْرِ لِثَامَهُ ... وَجْهُ الذّئابِ خِيَانَةً وَجُحُودَا
يُشْفِي الصدَاعَ حسامَهُ بصرامةٍ ... في نَحْرِ مَنْ للدِّيْنِ كَادَ عُقودَا
فاحْفَظْ بِفَضْلِكَ يا إلهِي مُسْلِمَاً ... جَعَلَ الجِهَادَ نَشِيدَهُ وَ قَصِيدَا

وقال أبو حمزة: بعدَ مقتلِ الشّيخ الإمامِ أسد الفُراتِ أبي مصعبٍ الزّرقاوي، أسْكنَه الله فَسيح جنّاته، انتابَني ألَمٌ عصرَ فُؤادي وفتّت عِظامي، زادَه كبتٌ لمَشاعري فرضتْه ضَرورة المهمّة والمرحلة، وفي لحظةٍ من لحظاتِ التّنفيس الذّاتي، أمسكتُ قلَمي وكتبتُ تلكَ الكلمات.

وتَنافَرتْ من هوْلِها حسراتُهُمْ ... حَمِدَ البلاءُ لِهوْلِها كُلّ التّعبْ
إنّي بِصحْراءِ الكَآبةِ مُبْتلى ... لا شوْكَ لا شَيئاً يجيرُ مِنَ اللّهبْ
دُنيا الهمومِ تربّعتْ في ساحتي ... وبَدتْ تقوْلُ مِنْ نصائِحها العَجَبْ
وتلفّحَتْ بِسوادِها وَتَبسّمتْ ... لا تَنْقمِ الأتراحَ فالحبُّ السّببْ
لا تَطْلبِ الأفراحَ إني عاشِقَةْ ... لسوادِ عينكَ لا فكاكَ ولا هَربْ
اليومَ أكْشِفُ عَنْ قناعِ صبابتِي ... فَإلى مَتىْ يَبْقَى الحَياءُ مِنَ اللّعبْ
منْذُ الطفولةِ فيْكَ أذْبحُ بَسْمةً ... شيطانُ حبّي قدْ تبَلْوَرَ بالرّغبْ
اليومَ أنْشِبُ وصْلنا بفؤادكَ ... لا للنجاةِ رَمَيْتُ سَهْمِي بِالوَصبْ
عاجَلْتُها بِكتابِ ربّي قارئا ... هذا الكتابُ بهِ النجاةُ مَنَ العَطبْ
صاحَتْ تُوَلْوِلُ وَيْلَتِي راحَ الأمَلْ ... حَلّ الفِراقُ نَجا ابْنُ آدمَ مِنَ نَصَبْ
غَفلاتُ قَلْبِكَ ماءُ كُلِّ بَليّةٍ ... فغَداً أعودُ وحِينها يَاتِي الْعَتبْ
"صَبْراً جَمِيلاً" تِلكَ أحسنُ عُدَّتِي ... يا ربّ عَفْوكَ عَنْ فؤادٍ قدْ خَربْ
فَالحَمْدُ وَالشّكْرُ الجَزِيْلُ فَإننا ... مَهْما نقومُ فلَنْ نُوفيَ بِالطّلبْ
فاقْبلْ بِفَضْلِكَ يا إلهي مُذْنِبا ... عَرفَ السَّعادةَ في رِياضٍ مِنْ رَغبْ

وقال أبو حمزة: هذهِ كلماتٌ بُعيد مقتلِ الشّيخ الشّهيد نَحسبُه واللهُ حَسيبُه أبي مصعبٍ، والله يتولّانا برحمتِه ويوفّقنا بفضلِه.

أسَــــدُ الفراتِ لقَـدْ رَحـلْ ... لَـيْـتَ الشــــجـاعَ مـا نـزلْ
إنَّ الــفــؤادَ مُــكَــذِّبٌ ... جُــرْحِــي محـالٌ يــنْــدمِــلْ
صَــــبْراً أخــيْ لم أحْــتَـمِــلْ ... تِــلْــكَ الْــبَــلــيَّــةُ كــالجَــبَــلْ
صَــــبْراً فَــتــلْــكَ رَعــيَّــتُــهْ ... غَــنــمٌ تَســــيرُ بِــلا فَــحــلْ
حَمَــلٌ هُــنــالِــك تائِــهــا ... أخشــــى الــذئابَ لــهُ دَغــلْ
صَــــبْراً نُــروِّضُ نَــفْسَــــنــا ... هــذا الــبــلاءُ لَــقَــدْ حَصــــلْ
هــيَّــا نُــعــاهِــدُ رَبَّــــــنــا ... صِــــدْقَ الــتَّــوجُّــهِ والــعَــمَــلْ
شــــدّوا الخُــيــوطَ وأحْــكِــمــوا ... عَــهْــدَ الــوفــاءِ بــلا وجــلْ
مَــوتُ الــنّــبيِّ لَــنــا عَــزاءْ ... تِلــــــكَ المُصــــيبةُ والجَلَــلْ
عَهْداً نَســــيْرُ لِــــــربِّــــــنــا ... حتَّــــــى يُوَافيْنــا الأجَــلْ

قال أبو محمد العدناني في منظومة وقعة الفلوجة عن الزرقاوي:

وَأَتَى مِنَ الزَّرْقَاءِ لَيْثٌ غَاضِبٌ   خَلَعَ الْقُلُوبَ عَدَا يَصُولُ وَيَزْأَرُ
سَيْلٌ تَحَدَّرَ مِنْ جِبَالِ عَقِيدَةٍ   إِعْصَارُ إِيْمَانٍ وَرِيحٌ صَرْصَرُ
حَارَتْ طُغَاةُ الْعَصْرِ مِنْ ضَرَبَاتِهِ   أَصْنَامُهَا مِنْ هَوْلِهَا تَتَكَسَّرُ
هُوَ رَايَةٌ جَمَعَتْ كُمَاةَ الدِّيْنِ بَلْ   مِرْآةُ كُلّ مُجَاهِدٍ لَا أَكْثَرُ
مُتَوَاضِعٌ سَكَنَ الْقُلُوبَ بِصِدْقِهِ   أُمٌّ بِرَأْفَتِهِ وَرَاعٍ يَسْهَرُ
وَلِمَنْ رَآهُ غَدَا أَسِيرَ وَقَارِه   مُتَعَلِّقًا وَيَهَابُهُ مَنْ يَحْضُرُ
مُتَحَدِّيًا جَازَ الصِّعَابَ مُذَلِّلًا   فَعَظَائِمٌ بِأَبِي الْمَصَاعِبِ[1] تَصْغُرُ
خَلَطَ الْمُرُوءَةَ بِالشَّهَامَةِ صَاعِقًا   بِفَتِيلِ تَوْحِيدٍ رِجَالًا تَنْصُرُ

[1] أبي المصاعب: هو أبو مصعبٍ الزَّرقاويُّ.

قال صالح العوفي في الثناء عليه:

يا للرجالِ لأمة مأسورةٍ تبكي الصخور لوضعها المآسوي
صرخت فعاد لها صداها خلفه أُسد الشرى وقريعها الزرقاوي
بكتيبةٍ خرساء أسمع صوتها بالسيف لا بوثيقةٍ وفتاوي
لم يرتضِ عيش الخلوف كأنه أعمى أصم إن دعاه الغاوي
فانوِ اللحاق إذا نويتَ بركبنا تُمسي من الثقلين أعظم ناوي

رثاء زوجته أم محمد:

وداعًا يا أبا مصعب وداعا ... إلى الجنّات عالية رِفاعا
تركتَ العين دامعةً فسالت ... سخاءً غير منقطعٍ تِباعا
وقلبي من شجاه وقد تدمّى ... وقد فاضت حناياي التياعا
ألا يا ربّ فاجمعني بِحِبّي ... سراعاً كي أرافقه سراعا
جواراً لا يودّعني فيرحل ... ويتركني كما الرّملى تُراعَ
فلا والله ما امتلأت عيونٌ ... بمرآه ولم تشبع ذراعا
فمتعني لذيذ الهمس منه ... بِدار الخلد.. باقية متاعا
أتيتَ إلى (العراق) وقد دهاها ... "كلابُ الروم" داروها صراعا
فكنت لها ونعم الابن فيها ... تصول على معاقلهم صواعا
نحرت الكُفْر حين ذبحت فيهم ... علوجاً قد تعاطوها رعاعا
فهالتهم فعالك.. يا أميري ... (بسكينٍ) رددت الصّاع صاعا!!
ورافضةً أقمت (الشّرع) فيهم ... وبينت (الدّليل) فلا نزاعا
أعزّ الله بك (الإسلام) ديناً ... وأنت "به" عزيزٌ لا تُراعَ
ستبكيك العراق.. وكل شبر ... وطئت على ثراه وقد تداعى
وأرض الرافدين وكنت (رفدًا) ... لها دهراً.. فبات اليوم (ساعة)
فعش في الجنة الخضراء خُلداً ... فلا همًّا هناك.. ولا ارتياعا
ألا يا ربّ.. ألحقني بحِبي ... سراعاً كي أعانقه.. سراعا

قالت أم أسامة الدمشقية الملقبة بأحلام النصر: حين قُتِل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي -تقبله الله-، وكنتُ حينها في المرحلة الإعدادية؛ تأثَّرتُ كثيرًا لمقتله وقمتُ برثائه، إلا أن المرتد جدّي لأمي (مصطفى ديب البُغا) أتلف لي وَقْتَهَا تلك القصيدة خوفًا من اطلاع أحد عليها! ورغم أنني فقدتُها إلى غير رجعة، إلا أنني لم أنسَ واجب الرثاء للشيخ -تقبله الله-؛ لذلك: هو ذا رثاء متواضع جديد، بعون الله تعالى.

(أبا مصعبٍ)؛ هاكَ منّا سلامًا ... يفيضُ وفاءً يَسودُ الرّحابا
فكم كانَ خَطْوُكَ في خيرِ دربٍ ... يسطّرُ للقادمينَ الخطابا!
وَخيرُ الكلامِ: فِعالٌ تدوّي ... دماءً تجودُ لديني انسكابا
فيبقى النداءُ قويًّا أبيًّا ... يُشيدُ المعالي، يُزيحُ السّرابا
نفضتَ سفاسفَ دنيا خَدُوعٍ ... وَأقبلتَ لَهْفًا لِتتلوْ الكتابا
فأبصرتَ فيهِ أوامرَ ربي ... بِخَوضِ الجهادِ طِعانًا ضِرابا
فإنَّ قوامَ الشريعةِ: سيفٌ ... كتابٌ؛ لِنسموْ وَنعلوْ السّحابا
صدعْتَ وَلبَّيتَ، قمتَ اقتحمْتَ ... وَكم كنتَ في المعمعاتِ عُقابا!
وَخضتَ غِمارَ الحروبِ شجاعًا ... وَدرّبتَ فيها أسودًا غِضابا
رَعَيتَ غِراسَ الجهادِ حريصًا ... وَشَيّدْتَ فيهِ صروحًا قِبابا
فهذي الروافضُ تلتاثُ ذعرًا ... وَهذي النصارى تموتُ ذبابا!
وَهذي اليهودُ تَرَقَّبُ حربًا ... تَسُوقُ الفناءَ لها وَاليَبابا

وَهـذي الخلافـةُ عـادت رشـــادًا وَقـطـفُ الـثـمـارِ الحـبـيـبـةِ طـابا
جـزاكَ الإلـهُ عـنِ الـديـنِ خـيرًا وَأعـلـى لـكَ الـدرجـاتِ ثـوابا
وَإنّا عـلـى العـهـدِ لا لـن نحـيـدَ* بـلِ العزمَ منـا يُميطُ الصّـعـابا*
ســنفتحُ رومـا، وَنرجعُ أقصـى لِـيَـخـنـسَ كـفـرٌ وَيخـبـوْ ذهـابا*

* حاشية: بعون الله تعالى.

ورثاه أحدهم بقوله:

أهلَ العَقِيدَةِ أيُّهَا الأحبَابُ ... مَا دُونَكُم سَيْلَ الغُثَا وَسرابِ
وَجُمُوعُكم مَنْصورَةٌ مَهدِيَّةٌ ... تَدعو إلى الإحسانِ والإرهابِ
وَتُجاهِدونَ إلى قِيامِ قِيامةٍ ... نبّأ بِهذا سيّدُ الأطيابِ
أهلُ العَقِيدَةِ فِي فِداكُم أُمَّةٌ ... للمَشْرَفِي تَنكَّرَت وحِرابِ
قَعَدت ونامت في عَميقِ سُباتِهَا ... وتخاذلت عَن نُصرَةِ التَّوابِ
أهلَ العَقِيدَةِ فِي فِداكُم أمَّةٌ ... عُلمَاءُ سوءٍ للكِلابِ كلابِ
لهثت لُهاثَ الكلبِ باعت دينها ... وتنحلت لِعبادةِ الأنْصابِ
رَكعت إلى الطَّاغوتِ يا لهوانِها ... بُشرى لها بِلعائنٍ وَعَذابِ
يا راحلًا بَغدادَ لا تَخشى الرَّدى ... حُثَّ الخُطى واسأل عَنِ الفُرسانِ
قَومٌ دَعتهُم للجِهادِ دِماؤنا ... ونوائحُ النِسوانِ والشيبانِ
جاءَ الصليبيون حَلّوا في الحِمى ... وَعلى الفُرَاتِ تُرَفرِفُ الصُلبانِ
جاسوا الدِّيارَ فأعملوا فِي أهلِها ... قتلًا وتشريدًا وأسرَ العاني
فَبرى لهم أَسَدُ العَقِيدَةِ مُصْعَبٌ ... وَكَتائبُ التَّوحِيد والدَّيَّانِ
ذاكَ الذي دَربُ الجِهَادِ سَبِيلُهُ ... ما كانَ في ساحاتِها بِجَبَانِ
تخشى الكَريهةُ ضَربَهُ وَجِلادَهُ ... والكَرُّ يَغبِطُ كَرّهُ البُركانِ
سَهلُ السَّجيَّة صَاغَ مجدًا خالدًا ... ضوَّى سناهُ روابي البُلدانِ

وارتصَّ أهلُ العِزِ تَحتَ لِوائهِ ... فنكا بأمريكا النَّجيعَ القاني
زلزل قوى أسطورة الكفر التي ... تستعبدُ الحُكَّامَ والأوطانِ
وتحالفُ الأوباشِ خارَ أمَامَهُ ... وطوائفُ الكُفرانِ والشَّيطانِ
لله دَركُ يَا ابن نزَّارَ الذي ... قُدُمًا مضيتَ تُقابِل الرَّحمَنِ
وحَّدتَ شَمل المُسلمين مُبَايعًا ... أسدَ الزمانِ أُسامةَ القحطانِ
يُرثِيك صَحبُكَ في الجِهَادِ لطالما ... كُنتَ الأبَ الثاني لَهم والحاني
وكذا الأرامِلُ واليتامى نابها ... وجدٌ عَليكَ ولوعةٌ الأشجانِ
يا فاتحًا قَلبي بَكاكَ تألمًا ... والدَّمعُ رَقراقٌ على الخدَّانِ
بصحابةِ المُختارِ قَد ذكَّرتَني ... فإذا ذَكرتُك أذكُرُ العُمَرَانِ
شَوقي أراكَ بِجَنَّةِ الفِردَوسِ فِي ... كَنَفِ الإلهِ وَمُنتَهى الرِّضوانِ

محمد الزهيري رثاه بمطولة أسماها بـ(زمجرة القصيد: وصية الشيخ لأيتامه). وهذه قصيدة في مدحه (وعاد العلقمي): وقال: مهداة للشيخ أبي مصعب وقد وصلته.

علـى عَـزفِ الـبـواتـر أيـقـظـيـنـا   وإن بـدأ المســـيرُ فـودّعـيـنـا
صـــهيـلُ الخيـلِ يجتـازُ الـفـيـافي   تجيشُ لـه الـنـفوسُ فـيَـجْـتَـوينـا
ويـوقـظُ نخوةَ الـفرســـانِ صـــوتٌ   وســـوطُ الـذلِ يجلـدُ خـالفينـا
ربـيـبـاتُ الـخـدورِ مُحَـزّمـاتٌ   نـطـاقـاً لـلـشـــهـادةِ يـرتَجـيـنـا
ولمْ تـكـن الـعـواتـكُ في بـلادي   يحيـقُ بهـنّ شــرٌ مـا حـيـيـنـا
إذا نطقـتْ سمعـتُ لهـا نشـــيـجـاً   وفـاضَ الحـرفُ آياتٍ وديـنـا
وإنْ كـانـتْ كـأن لهـا قـتـادٌ   تُشـــاكُ بـه عيونُ المعتـدينـا
وإنْ عضّـــتْ بهـا نابٌ أكـولٌ   لكـنـتُ فِـدا جـديلتهـا طعينـا
نحـاورهـنّ عـنْ حـرصٍ ونُجـري   لهنّ الـدمعَ هَطّـالاً ســـخينـا
ضـــباعُ الغربِ عـاثـتْ في حمـانا   ومـا تركوا بهـا سِـــترا مَصـــونا
فـلا طـابَ المـعـاشُ ولا حـيـيـنـا   إذا هتـكَ الكلابُ لنـا ظَعينـا
وعـادَ الـعـلـقـمـيُّ لـهُ شِـــفـارٌ   يَجُـذُّ بهـا رؤوسَ المـؤمـنـيـنـا
يَسُـــلُ لنـا الســـنـانَ لفرطِ غـدرٍ   وتـقـطـعُ نابُـهُ مـنـا الـوتـيـنـا
يُـؤجـجُ مـنْ مجـامـرِ حـقـدِ (مـانا)[١]   ومن غـدرِ المجوسِ الرافضـــينـا

[١] مانا: هو جد من أجداد المجوس صاحب.

رمـى بهـمُ الإلـه بـعَصْـلَـبيٍّ ... فـتى الـزرقـاءِ وابـنِ الأكـرمـيـنـا
وكـلِ مـقـنـعٍ ركـبَ المـنـايا ... وأسقى الأرضَ من دمٍ غاصبينا
وعشـاقِ الشـهادةِ منْ سـتفري ... عواصـفُهمْ صـدورَ الـدارعينـا
ومصـطـبرٍ يـعُـدُ المـوتَ مُـهـراً ... عـلـى صَـهَـواتـهِ مجـداً ولـيـنـا
بهـمْ ذُلَّ الصـلـيـبُ وباتَ هـزوا ... لـنـحّـارِ الـعـلـوجِ مصـفـديـنـا
فَـوَطّـأ رجَـلـهِ الـعـرجـاءَ فـجـاً ... بـهِ اجتمعَ القسـاورُ مُصْلتينا
ويحـدوهـمْ لجـنـاتٍ وحـورٍ ... حِصـانٍ عنْ عيونِ الـنـاظرينـا
نُـكَـبرُ لـلشـهـادةِ وهـي تهـمـي ... نحـثُّ لهـا خـطـانا مـا ونـيـنـا
ونمـطـرُ كـلَّ يـومٍ مـنْ دمـانا ... ضـفـافَ الـرافـدينِ فَـيَرْتَـويـنـا
ومـنْ مـاءِ الـكـرامـةِ فـاضَ نحـري ... وريحُ المسـكِ تخْتَضبُ الجبينا
تخُـبُّ بـنـا الـركـابُ وكـان ظـهـري ... تسـربـلَ منْ خنـاجرِ غـادريـنـا
ويُـثـقـلُ سَمْـعَـنـا إرجـاف لُـكْـعٍ ... ومـا قـاءتْ حـنـاجرُ خـاذلـيـنـا
ويمـنـعـنـا الـوصـولَ بـنـو لـقـيطٍ ... وحـكـامُ الـتـذلـلِ مُحـبـطـيـنـا
ضَـوامرُ في سجونِ الغـدرِ غُلّتْ ... وأُسـدُ شـرى بقيـدِ الحـاكمينا
ألا أبـلـغْ كـلابَ الـغـربِ عـني ... يمـيـنـاً قـدْ خـلـعـنـاكـمْ يمـيـنـا
وبـايـعـنـا أسـامـةَ دونَ خـوفٍ ... ومنْ يحمي ذمـارَ المسـلمينـا

ومما جاء في مدح الأمير وجيشه قصيدة للشاعر **سعيد بن واحش الغامدي (ت: ١٤٢٧هـ)**:

يا خاطري كل ضيقة مفروجة — والله على جيش التحالف قاوي
لولا السنين الماحلات العوجة — ما كان ميزنا الملي والخاوي
و(البيت الأبيض) وإن علا بروجه — ينهد فوق الغاوي ابن الغاوي
اللي تحكم فالدول بعلوجه — رش الذباب يرش بالكيماوي
يا هيه ياللي راكب المسروجة — بالله وين من المنازل ناوي
بالله إذا إنك رايح (الفلوجة) — سلم على (أبو مصعب الزرقاوي)
وأهل الجهاد اللي ذوو في فوجه — أهل اللثايم والسلاح الطاوي
نور القتال وشعلته وسروجه — قبر الصليب وجيشه المتهاوي
لبى عيون الماجدة المغنوجة — بنتٍ نسيبه وأخت ذيبٍ عاوي
فلت جدايلها كما المرجوجة — وطلت بوجه لكل زين حاوي
تلفح عبايتها بوسط الهوجة — بين النشامى والرصاص الضاوي
تهيض رجال وسيوفٍ عوجة — لبى العزاوي والجديل الراوي
ولبى العراق ونخله ومنتوجة — ونهرٍ إلي منه جرف ما ياوي
وأرض غدت برجالها مسيوجة — لأهل العدا سم وطريق لاوي
ولأهل الهدى وادٍ وساع فجوجه — مرقاب راسه والشرف متساوي
وأسماؤهم فوق السما مدروجة — ولهم عليها عزوةٍ ونخاوي

واللي تسلــــط واعتـــزى بنعوجـــه ما له سوى ضرب الشطير الكـــاوي
لو يعجبـــك بمزبرقـــات هروجـــه فلنا مـــع كـــل الجـــروح مـــداوي
رجـــال توطـــا رجلـــه العروجـــه غارب جيوش البيـــرق المتهـــاوي
لكـــل جيـــش عندنـــا (فلـــوجـــة) ولكل بوش عندنـــا (زرقـــاوي)!!
يا سعدهـــم إلـــي ذوو فـــي فوجـــة ويا خيبة اللـــي قايـــده (عـــلاوي)

درر القلائد

في سيرة الزرقاوي القائد

الموارد



مؤسسة صرح الخلافة

موارد الروايات

الراوي	المورد	تعليق
أبو أنس الشامي	يوميات مجاهد في الفلوجة	ذكر بعض العبارات والأوصاف الأدبية فاختصرت.
أبو بكر البغدادي	الكلمة الصوتية: (وبشر المؤمنين)	
أبو دجانة		عادل أبو حميد، أكثر من الأوصاف الأدبية.
أبو حمزة المهاجر	سلسلة سير أعلام الشهداء اللقاء الصوتي الأول ديوان هموم وآلام	ذكر بعض العبارات والأوصاف الأدبية فاختصرت.
أبو جرير الشمالي	مجلة دابق عدد ٦	
أبو جعفر الأنصاري	الزرقاوي كما صحبته	في بعض المواضع استطرد وكرر فاختصرت.
أبو سليمان الحلبي	مقالة: ألا في الفتنة سقطوا مقالة: الرافضة طائفة مرتدّة محاربة: الجزء الأول والثاني	أبو ميسرة الشامي
أبو عبد الأعلى المضري	سير أعلام الشهداء: أبو ميسرة العراقي، أبو زهراء العيساوي	
أبو عبد الملك	سير أعلام الشهداء: أبو عبد الله الشامي	
أبو عبيدة عبد الله العدم	الجامع لسلسلة صناعة الإرهاب المفرغة القائد أبو زبيدة هكذا عرفته.. وهكذا أسر	أدخل روايته في سياق دروس في الأمن.
أبو علي الأنباري	البراعة في تبيان شرك الطاعة شرح فقه النوازل ومضات من تاريخ العراق	
أبو عمر البغدادي	الكلمة الصوتية [فأما الزبد فيذهب جفاء]	أبو عمر البغدادي
أبو مارية القرشي	مقالة (الإمارة الإسلامية في العراق!) ذكريات سائح في أرض الرافدين "سياحة أمتي الجهاد" (الحلقة الأولى) الحرب الأهلية	

أبو محمد العدناني	جزء من مناظرته مع أبي يزن الشامي الكلمة الصوتية [ما أصابك من حسنة فمن الله] قصيدة: وقعة الفلوجة الثانية	ذُكِرَت بعض العبارات والأوصاف الأدبية فاختصرت.
أبو قدامة صالح الهامي	كتاب فرسان الفريضة الغائبة الزرقاوي، برنامج تحت المجهر، قناة الجزيرة	أكثر من الاستطرادات والعبارات الأدبية. فهذبت روايته واختصرت استطراداته.
أم محمد	الهيئة الإعلامية لمجلس شورى المجاهدين في العراق	رسالة من زوجة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي –رحمه الله– للعالم أجمع.
أم الخطاب	الزرقاوي كما صحبته	
مجلس شورى المجاهدين في العراق	بيان أريج العبير في رؤى الأمير في جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ	الهيئة الإعلامية لمجلس شورى المجاهدين في العراق
جراح القداح	الزرقاوي، برنامج تحت المجهر، قناة الجزيرة	
جهاد القشة		أدخل على روايته الاستطرادات، فاختصرت.
صحيفة النبأ	سلسلة قصة شهيد في الأعداد: ٢٢، ٢٤، ٤١، ٥٤، ١٠٥، ١٧٥، ٢٠٣، ٢٨٥	
فؤاد بن حسين	كتاب الزرقاوي: جيل القاعدة الثاني	استطرد في روايته فاختصرت.
عبد البصير	الزرقاوي، برنامج تحت المجهر، قناة الجزيرة	
عبـد الله بن أبي علي الأنباري	الوقف الداري في ترجمة الشيخ الأنباري	
عطية الله الليبي	لقاء مع مركز اليقين في ١٤٢٨هـ	
محمد أبو المنتصر	كتاب الزرقاوي: جيل القاعدة الثاني	أدخل بعضًا من الاستطرادات وآرائه السيئة فاختصر على الرواية.
مجلة دابق	العدد ١٢	
ميسرة الغريب	سلسلة خفايا من التاريخ	في حلقاته الأول استطرد كثيراً وفي الأخيرة أكثر من الرواية، المسماة (الزرقاوي كما عرفته).
مؤسسة البتار الإعلامية	سيرة رجال الدولة الإسلامية	أبو عمر البغدادي

***

موارد كلام الزرقاوي

العنوان	التاريخ
إِفَادَةُ أَسِيرٍ؛ وَ يَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلى النَّارِ!	ذو القعدة ١٤١٤هـ
رِسَالَةٌ إِلى عَشَائِرِ بَنِي حَسَنٍ؛ يَا قَومِ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ	صفر ١٤٢٤هـ
الْحَقْ بِالقافِلة...	ذو القعدة ١٤٢٤هـ
مِنْ أَبِي مُصْعَبٍ الزَّرقَاوِيّ إِلى أُمَّتِي الغَالِيةِ؛ خَير أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ	صفر ١٤٢٥هـ
تَفْجِيرُ مَقَرِّ المُخَابَرَاتِ؛ الرَّدُّ عَلى كَذِبِ المُخَابَرَاتِ الأُرْدُنِيَّةِ	ربيع الأول ١٤٢٥هـ
الشَّيخُ أَبُو مُصعَبٍ الزَّرقَاوِيّ يَرثِي أَبَا البَرَاءِ الكُوَيْتِيُّ فَيْصَل المطِيرِي	ربيع الآخر ١٤٢٥هـ
عِندَمَا يَبكِي الرِّجَالُ!	جمادى الأولى ١٤٢٥هـ
أحفاد ابن العلقمي	ربيع الآخر ١٤٢٦هـ
رِسَالَةٌ مِن جُندِيّ إِلى أَمِيرِهِ	ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ
أَبُو مُصعَبٍ الزَّرقَاوِيّ يُبَشِّرُ بِاستِشهَادِ الشَّيخِ عَبدِ اللهِ الرُّشُود رَحِمَهُ اللهُ	جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ
دَعُوا عَطِيَّة اللّه فَهُو أَعلم بِمَا يقُول	جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ
أَيَنْقُصُ الدِّينُ وَأَنَا حَيٌّ	جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ
بَيَانٌ وَتَوضِيحٌ لمَا أَثَارَهُ المَقدِسِيُّ فِي لِقَائِهِ مَعَ قَنَاةِ الجَزِيرَةِ	جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ
القِتَالُ؛ قَدَرُ الطَّائِفَةِ المَنصُورَةِ	شعبان ١٤٢٦ هـ
حَولَ أَحدَاثِ تَلعفَر	شعبان ١٤٢٦ هـ
هَذَا بَيَانٌ للنَّاسِ وَ لِيُنذَرُوا بِهِ	شعبان ١٤٢٦ هـ
ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ	شوال ١٤٢٦هـ
فسيكفيكهم الله	ذو الحجة ١٤٢٦هـ
هل أتاك حديث الرافضة	جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ
حوار أبي اليمان البغدادي مع الزرقاوي	١٤٢٧هـ

***

موارد الخطابات

الملقي	العنوان	التاريخ
أسامة بن لادن	رثاء شهيد الأمة وأمير الاستشهاديين أبي مصعب الزرقاوي	رجب ١٤٢٧ هـ
أبو حمزة المهاجر	بيان من الأمير الجديد لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ	جمادى الأولى ١٤٢٧هـ
عبد الله بن رشيد البغدادي الثاني	بيان من أمير مجلس شورى المجاهدين في العراق: إلَى الأمّةِ الإسْلامِية	جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ
الملا محمد عمر	رسالة فضيلة أمير المؤمنين بمناسبة شهادة الشيخ أبي مصعب الزرقاوي –رحمه الله–	جمادى الآخرة ١٤٢٧ هـ
أبو عبد الرحمن العراقي	بيان من تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين حول استشهاد الشيخ الزرقاوي	جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ
أبو يحيى الليبي	الزرقاوي.. نور ونار	
أبو الليث الليبي	رسالة إلى المجاهدين أبطال الإسلام في العراق لقاء مع السحاب	١٤٢٥هـ ١٤٢٨هـ

***

موارد البيانات

العنوان	الناشر	التاريخ
جماعة التوحيد والجهاد تُعلن بيعتها للشيخ المجاهد أسامة بن لادن	جماعة التوحيد والجهاد	رمضان ١٤٢٥هـ
بيان عن إعلان تشكيل مجلس شورى المجاهدين في العراق	مجلسُ شُورى المجاهدينَ في العراق	في عام ١٤٢٧هـ
بيان القاعدة في بلاد الرافدين حول الاستثناء	مقالة: الرافضة طائفة مرتدّة محاربة: الثاني| أبو ميسرة الشامي	في عام ١٤٢٦هـ
تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين يُعْلِن عن أميره الجديد	الهيئة الإعلامية لمجلس شورى المجاهدين في العراق	في عام ١٤٢٧هـ
حول ما أثاره الصليبيون من أكاذيب بعد استشهاد الشيخ الزّرقاوي	الهيئة الإعلامية لمجلس شورى المجاهدين في العراق	في عام ١٤٢٧هـ
حقيقة الوثائق الّتي "زعمت" الحكومة العراقية العثور عليها!!	الهيئة الإعلامية لمجلس شورى المجاهدين في العراق	في عام ١٤٢٧هـ

***

وبعد هذا؛ فلتعلم الدُّنيا بأسرها أن منهجنا لا يقبل الرق، ولا يرضى أن يُباع في سوق المساومات، وسنبقى ماضين -بعون الله- مهما طالت الطريق واشتدت اللأواء، ومهما تكاثرت العملاء، فالقضية أكبر؛ إنه رب العالمين، وإنها جنة الفردوس، فمن لم يُسمِعْه صرير الأقلام، وصدى زئير الكلام؛ فسيسمعه صليل السيوف.



الأمير أبو مصعب الزرقاوي -تقبله الله-

من الكلمة الصوتية: أَينَ أَهْلُ المُروءَاتِ؟